



- . المملكة العربية السعودية
- . وزارة التعليم العالي
- . كلية الآداب والعلوم الإنسانية
- . قسم اللغة العربية
- . البلاغة العربية

الصورة البديعية في الأحاديث القدسية

(دراسة بلاغية تحليلية)

(بحث تكميلي مقدم لقسم اللغة العربية ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير في البلاغة العربية)

إعداد الطالبة :

عائشة سعود معيوف العروي .

إشراف :

الدكتور / بدر عبد العال حسين .

(أستاذ البلاغة المشارك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة)

٢٠١٤ م / ١٤٣٥ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا

لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

[الأعراف : ٤٣]

الإهداء :

- إلى من غرسا في نفسي حب العلم . . .
- إلى من مهدا لي طريقه و دروبه . . .
- إلى من مكناني من ورود مناهله . . .
- إلى من سهرت علي الليالي الطوال . . .
- إلى أبي و أمي . . .
- إلى من ساندني و آزرني في دروبي . . .
- زوجي العزيز . . .

أهدي هذا العمل الباحثة

شكر و تقدير

الحمد لله الموصوف بصفات الجلال ، امتن على خلقه بجزييل الإنعام و
الإفضال ، أحمده فهو المحمود على كل حال ، لا غنى إلا بطاعته ، و لا عز إلا
بالتذل لعظمته ، و أصلي وأسلم على محمد بن عبد الله رسوله وصفيه و خليله ،
و على آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب و بعد :

أتقدم بالشكر والتقدير إلى والدي الكريمين . . .

و إلى أستاذي المشرف الذي منحني خالص نصحه وسديد توجيهاته . . .

و إلى أساتذتي الأفاضل الذين قدموا لي كل نقد بناء ، وإرشاد صادق . . .

و إلى كل من مدّ لي يد العون حتى خرج هذا البحث على هذه الصورة . . .

مستخلص الرسالة

العنوان ((الصورة البديعية في الأحاديث القدسية دراسة بلاغية تحليلية)) .

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله ﷺ و بعد :

فقد كان منهجي في الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، و قسمت بحثي إلى فصلين : و اقتضت طبيعة البحث أن يتكوّن من تمهيدٍ وفصلين ، تسبقها مقدّمة وتتلوهما خاتمة ، وكانا الفصلان كالتالي : الفصلُ الأوّل : الألوانُ البديعيةُ المعنويةُ في الأحاديثِ القدسية ، و قيمتها البلاغيةُ ، و يتضمّنُ : المبحثُ الأوّل : الطباق و المقابلة ، و المبحثُ الثاني : المشاكلة ، و المبحثُ الثالث : التورية ، و المبحثُ الرابع : المبالغة ، و المبحثُ الخامس : مراعاةَ النظيرِ ، و المبحثُ السادس : الجمعُ و التقسيمُ ، و المبحثُ السابع : حسنَ الابتداءِ و حسنَ الانتهاءِ .

و الفصلُ الثاني : الألوانُ البديعيةُ اللفظيةُ في الأحاديثِ القدسية و قيمتها البلاغية ، و يتضمّنُ : المبحثُ الأوّل : الجناسَ ، و المبحثُ الثاني : السجعَ ، و المبحثُ الثالث : ردَّ العجزِ على الصدرِ ، و المبحثُ الرابع : لزومَ ما لا يلزمُ .

و لعلّ من أبرزِ النتائجِ التي توصلتُ إليها ما يلي : أولاً : أن الصورةَ البديعيةَ في الحديثِ القدسيّ ليست من قبيلِ الحليةِ اللفظيةِ التي يمكنُ الاستغناءَ عنها ، بل هي من صلبِ المعنى جاءت لأنَّ السياقَ والمقامَ يتطلبُها و يستدعي وجودها في الكلامِ . ثانياً : يعدُّ فنُّ الطباقِ و الجناسِ من أبرزِ الفنونِ البديعيةِ الموجودةِ في الأحاديثِ القدسيةِ و أشهرها و أكثرها شيوعاً و انتشاراً . ثالثاً : تتراوحُ المقابلاتُ في الأحاديثِ القدسيةِ بين معنيين إلى ثلاثة معانٍ ، و لم توجدْ أكثرَ من ذلك - كما بدا لي - . رابعاً : قلّةُ ظهورِ فني المبالغةِ و التوريةِ في الأحاديثِ القدسيةِ بالنسبةِ للألوانِ البديعيةِ الأخرى - كما بدا لي - . خامساً : خلوّ الأحاديثِ القدسيةِ - كما أظهرتْ الدراسةُ - من جناسِ التركيبِ لما يظهرُ فيه من تكلفٍ و تصنعٍ ترفضُهُ الفطرةُ السليمةُ و الطبعُ القويمُ .

و صلى الله على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم ،،،،،

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً بحسب المصالح منجماً ، جعله متشابهاً و محكماً ، استأثر بالأولية و القدم ، و وسم كل شيء بالعدم ، أنشأ كتاباً ساطع التبيان ، قاطع البرهان ، حيا ناطقاً بينات و حجج ، قرآناً عربياً غير ذي عوج ، مفتاح كل منفعة دينية و دنيوية ، مصدقا لما سبقه من كتب سماوية .

و الصلاة و السلام على معدن البلاغة و الفصاحة ، و منبع الجود و السماحة ، رسول الله محمد بن عبد الله أبي القاسم ، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، ذي اللواء المرفوع في بني لؤي ، و ذي الفرع المنيف في بني عبد مناف بن قصي ، المثبت بالعصمة ، و الناطق بالحكمة ، الواضح الغرة و التحجيل ، المذكور في التوراة و الإنجيل ، المؤيد بجبريل ، و على آله الأطهار ، و خلفائه الأبرار ، و من تزوج الأختان منهم و الأصهار ، و على جميع المهاجرين و الأنصار ، ثم أمّا بعد :

فإن الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم قد وقفت دونه العقول ، و قصرت عنه الأفهام ليكون حجة بالغة على بلاغة العربية و فصاحتها ، التي كان يتباهى بها أصحابها قبل نزوله ، ثم كانت البلاغة النبوية قبساً من نور الله أضاء به وجه البيان العربي عامة .

و قد شاءت الرحمة الربانية أن تكون لي مع سنة الحبيب المصطفى ﷺ صحبة تضيء دربي بحمد الله و منته ، فكان موضوع هذه الدراسة الصورة البديعية في الأحاديث القدسية دراسة بلاغية تحليلية ، و هذا بتوفيق من الله ثم بتوجيه من الأستاذ المشرف سعادة الدكتور : بدر عبد العال - حفظه الله و رعاه - الذي أعانني على إدراك الموضوع و الإحاطة به ، و قد أخذ هذا الموضوع يلح علي إلحاحاً ، و يتسرب إلى منافذ إحساسي و شعاب تفكيرني تسرباً يجبرني على بحثه و معالجته ، فقلت في

نفسى: لعلّ يكون لي شرف المحاولة في وضع جزءٍ و لو كان بسيطاً من لبنات هذا الصرح الشاهق ألا و هو البلاغة النبوية .

و عندما أتحدث عن الصورة البديعية في الأحاديث القدسية ، " فإنما نتحدث عن لون من ألوان الإبداع النبوي ، جاء على أكمل تمامه و أبهى أصباغه و أورف ظلاله و به ارتفع أسلوبه إلى منزلة لم يبلغها أديب في العربية ... فإن المتتبع للآثار النبوية يجد صورها الفنية من أحسن المثل لما تنجذب إليه النفوس من القول لما فطر عليه ﷺ من معرفة عناصر التأثير في البيان و أوجه الجمال في اللسان ، فجاء حديثه النبوي من البلاغة العالمية في موضع تتطلع نحوه الأبصار و تتقاصر دونه الأعناق " (١) .

و البلاغة سمة واضحة جليّة في كلامه ﷺ ، حيث ورد في الحديث الشريف : (بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ) (٢) ، و قد وصف العلماء - رحمهم الله - بلاغته ﷺ ، و ما تميزت به من ميزات فاضت بلاغة كل بليغ ، فالجاحظ يصف بلاغته ﷺ فيقول في الجزء الثاني من البيان و التبيين : " و أنا أذكر بعد هذا فناً آخر من كلامه ﷺ ، و هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، و كثر عدد معانيه ، و جل عن الصنعة ، و نزه عن التكلف ، و كان كما قال الله تعالى : قل يا محمد : ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

فكيف و قد عاب التشديق و جانب أصحاب التعجير ، و استعمل المبسوط في موضع البسط ، و المقصور في موضع القصر ، و هجر الغريب الوحشي ، و رغب عن المهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، و لم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة و شيد بالتأييد ، و يسر بالتوفيق ، و هذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه ، و غشاه بالقبول ، و جمع بين المهابة و الحلاوة و بين حسن الإفهام و قلة عدد الكلام ، مع

(١) : البيان النبوي ، محمد رجب البيومي ، ط ٢ ، (مصر : دار الوفاء ، ١٤٢٣ هـ) ، ص ٢٢٩ .

(٢) : صحيح البخاري ، كتاب الجهاد و السير ، باب قول النبي ﷺ : (نصرت بالرعب مسيرة شهر) ، رقم

الحديث : ٢٩٧٧ ، (الرياض : بيت الأفكار الدولية ، ١٤١٩ هـ) ، ص ٥٧١ .

استغناؤه عن إعادته و قلة حاجة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة ، و لا زلت له قدم و لا بارت له حجة ، و لم يقم له خصم و لا أفحمه خطيب ، بل بيدُ الخُطْب الطوال بالكلام القصير ، و لا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، و لا يحتاج إلا بالصدق ، و لا يطلب الفلج إلا بالحق ، و لا يستعين بالخلابة ، و لا يستعمل المواربة ، و لا يهمز و لا يلمز ، و لا ييطئ و لا يعجل و لا يسهب و لا يحصر . ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ، و لا أقصدَ لفظا ، و لا أعدل وزنا ، و لا أجمل مذهبا و لا أكرم مطلبا ، و لا أحسن موقعا ، و لا أسهل مخرجا ، و لا أفصح معنى ، و لا أبين في فحواه من كلامه ﷺ " (١) .

كما تحدث الرافعي عن بلاغته ﷺ بقوله : " هذه البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها ، و حسرت العقول دون غايتها ، لم تصنع و هي من الأحكام كأنها مصنوعة ، و لم يتكلف لها و هي على السهولة بعيدة ممنوعة " (٢) .

" فقد صنف المتأخرون البلاغة في ثلاثة علوم : المعاني و البيان و البديع ، و جعلوا علم البديع مختصاً بوجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة و وضوح الدلالة (٣) ، و بهذا أنزلوه منزلة دانية بعد علمي المعاني و البيان ، و وصفوه في ذيل

(١) : البيان و التبيين ، الجاحظ ، ج ٣ ، ط ٤ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، د . ت .) ، ١٦٠ .

(٢) : إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، د . ط ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٠ هـ) ، ٢٧٩ .

(٣) : و من بين هؤلاء : السكاكي في كتابه مفتاح العلوم و الخطيب القزويني الذي عرف علم البديع بأنه : " علم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال و وضوح الدلالة " . انظر :

(الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، ط ١ ، (بيروت :

المكتبة العصرية ، ١٤٢٢ هـ) ، ٣٣٣ . و أيضا من بين هؤلاء : ابن خلدون حيث عرّف البديع بأنه :

" النظر في تزيين الكلام و تحسينه بنوع من التتميق : إما بسجع يفصله ، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه ، أو ترصيع يقطع أوزانه ، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه ، لا شتراك اللفظ بينهما ، أو طباق

البلاغة ، و حكموا على مباحثه بأنها محسنات عرضية لا ذاتية ، و حلي للترزين و التجميل ، لا دخل لها في بلاغة الأسلوب و لا تتوقف عليها مطابقته لمقتضيات الأحوال .

و قد صادف هذا الحكم رواجًا لدى أصحاب الشروح و الحواشي و التقارير ، و شايعهم بعض الدارسين و الباحثين ، و تمخض ذلك عن انصراف الهمم عن تحصيل مباحث هذا العلم و توقف الأذهان عن بحث أسرارهِ و سير أغواره ، فخلت معظم الكتب البلاغية الحديثة من مباحثهِ و اقتصر بعضها على عرض الذائع من ألوانهِ عرض الزاهدين .

و في هذا غمط لمكانة هذا العلم و حط لقدرهِ و شأنهِ ، و هو الذي احتل المنزلة العالية لدى السابقين ، و كثيرا ما أطلقوا اسمه على الفنون البلاغية كلها ^(١) .
و قد وقف علم البديع من البلاغة العربية وقوف الجزء من الكل الذي لا يجيا بدونه بقية الأجزاء ، لكن الخصوصية تبرز في كل جزء و تمدّه بالطاقة التي تجعله فاعلا في البقية . و هذه هي النقطة الفاعلة التي تبث الحيوية في التركيب .

و من يهمل الجانب البديعي عند تعرضه بالنقد لأي نص (قرآني ، نبوي ، شعري ، ...) ظنا منه أنه جانب لا يقدم و لا يؤخر عند الحكم على جودة التعبير و حسن الأداء للمعنى فقد جانب الصواب و أجحف في الحكم على النص .

بالتقابل بين الأضداد و أمثال ذلك " . انظر : مقدمة ابن خلدون ، ط ٤ ، (بيروت : دار القلم ، ١٩٨١ م) ، ١٠٦٦ .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، ط ١ ، (مصر : دن ، ١٩٩٤ م) ، ٣ .

و المتأمل في فنون البديع يرى أن بعضها لا يزيد عن كونه حلية شكلية ، و تلاعباً لفظياً ، و هذه الفنون ينبغي طرحها و عدم الاعتداد بها ، و يرى أن كثيرا من فنون البديع له أثر جليل في الأسلوب شكلا و مضمونا ، و هذه الفنون التي لها قيمة و وزن في الكلام ، و تؤدي أغراضاً لا توجد بدونها ، نعتبرها من جوهر البلاغة و لبها و صورها الأصلية و لا تقل قيمه عن التشبيه أو الاستعارة أو غيرها من الصور التي جعلوها داخله في حد البلاغة ^(١) .

و صور البديع بألوانها المختلفة - (طباق ، مقابلة ، جناس ، سجع ، مراعاة النظر ، حسن ابتداء ، حسن انتهاء ، تورية ، ...) - من الأساليب التي شاعت في أحاديثه ﷺ سواء أكانت قدسية أم غيرها ، في سياقات مختلفة ، و موضوعات متعددة ، لذلك فهي جديرة بالدراسة و التحليل ، إثراء و خدمة للدرس البلاغي العربي .

و عند دراستي لتلك الصور البديعية كانت دراسة بلاغية تحليلية دون التعرض لأصول الصور البديعية من الناحية التاريخية - باستثناء تعريف اللون البديعي - ، فتتبعْتُ فيها و رصدتُ كل ما وقع من حديث قدسي - ما أمكن لي - يحمل صورة بديعية سواء أكان هذا الحديث واردا في صحيح الإمام البخاري ، أم صحيح الإمام مسلم ، أم جامع الترمذي ، أم سنن الإمام أبي داود ، أم سنن الإمام النسائي ، أم سنن الإمام ابن ماجه ، أم موطأ الإمام مالك ، أم مسند أحمد . و قمتُ بدراستها دراسة بلاغية تحليلية لم أهمل فيها صياغة الجمل و ما فيها من دقائق انعكست على الصورة التي لا يمكن أبداً أن تدرك دلالاتها من غير تأمل للعلائق ، و الوشائج بين

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ٢٦١ .

كلماتها ، و الإيحاءات التي توحى بها الكلمة ، و التي هي بمثابة الخيوط و الخطوط التي لا يوجد التصوير إلا معتمداً عليها .

و تبرز أهمية الدراسة في الآتي:

- مكانة الحديث النبوي ؛ إذ إنه المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي .
- كون الصور البديعية من الأساليب البارزة في النظم النبوي عامة ، و في الحديث القدسي خاصة ، ما يدعو إلى دراستها دراسة جادة تكشف عن طبيعة هذا الأسلوب و أهميته في إيصال المعنى و القدرة على التأثير .
- تعد دراسة بيانه ﷺ - دراسة بلاغية تحليلية - دراسة لنموذج أسمى في البيان و الإبلاغ ، نموذج يحتذى به داخل الأسرة ، و المدرسة ، و المسجد
- تتطلب دراسة بيانه ﷺ دراسة بلاغية الكشف عن معاني الحديث و مقاماته ، مما يتيح معرفة واسعة بالمضامين النبوية : أحكام ، و تشريعات ، و عبادات ، و آداب ، و معاملات
- إبراز أهمية التصوير البديعي في نقل المعاني مع خصوصية البيان النبوي .
- أن دراسة الصورة البديعية في الأحاديث القدسية يتصل اتصالاً مباشراً بالتراث النقدي القائم على البلاغة العربية عامة و علم البديع خاصة .
- أن دراسة الصورة البديعية في الأحاديث القدسية دراسة بلاغية تحليلية فيها تحرير و بيان لمكانة الصور البديعية من الدرس البلاغي .

و للصورة البديعية في أحاديثه ﷺ القدسية ما يشري الفكرة و يحدد المعاني و يجعلها ماثلة في الذهن ، و مع ذلك لم تنل من الدرس و البحث ما تستحق ، فقد راسلت عددًا من المراكز البحثية فلم أعثر على أي دراسة تحمل هذا الموضوع ، و ربما قد علق في أذهان البعض أن تلك الفنون مجرد زخرف شكلي ، و تلاعب لفظي لا

دخل له في بلاغة الكلام ، و أنه في منزلة دون علم البيان و علم المعاني ، و أنه - في حدود اطلاعي - قد عومل الحديث القدسي معاملة الحديث النبوي . و قد اجتهدتُ - قدر ما يسر الله لي - في عرض اللون البلاغي البديعي ، من حيث:

❖ عمق الدلالة البلاغية الموضوعية .

❖ الإضافة اللفظية و المعنوية التي أضيفت إلى السياق .

❖ ربط اللون البلاغي بالخبر الوارد ارتباط الروح بالجسد .

❖ بيان الفضل الوارد في تعدد روايات الحديث التي تصحبها إضاءات

بيانية تجديدية موضوعية .

فإن أصبت فلي أجران ، و إن أخطأت فلي أجر واحد .

و تهدف الدراسة إلى :

- تحليل لفظي و معنوي في آن واحد للصورة البديعية في الحديث القدسي ، إذ إنَّ الصورة البديعية من طباق و مقابلة و جناس و سجع و مشاكلة و إلخ في الحديث القدسي ليست زحرفاً لفظياً و لا تحسيناً ظاهراً ، بل إنها لتمتج بالمعنى امتزاجاً لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر .
- الوقوف على معنى الحديث القدسي ، و كذلك إيضاح الحدود الفاصلة بين القرآن الكريم و بينه.
- إظهار أوجه الفرق بين الحديث النبوي و الحديث القدسي .
- إبراز أهمية الصورة البديعية في الحديث القدسي .
- بيان المقصود بالبديع لغة و اصطلاحاً ، و إيضاح منزلته بين الدراسات البلاغية.
- إبراز ألوان البديع المعنوية و اللفظية في الحديث القدسي و قيمتها البلاغية .

و قد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي ، بمعنى تحليل الصورة البديعية الموجودة في الحديث القدسي ، و الكشف عن كل الملابس المحيطة بها : الألفاظ ، المعاني ، الأسلوب الحقيقي و المجازي ، و خصائصه و صوره ، و مدى تأثير اللون البديعي في سياق الكلام و مقامه .

و الأنسب للوقوف على تلك الأبعاد هو استخدام المنهج الوصفي التحليلي إذ إنه " يقوم على رصد و متابعة دقيقة لظاهرة أو حدث معين بطريقة أو نوعية ، من أجل التعرف على الظاهرة أو الحدث من حيث المحتوى أو المضمون و الوصول إلى نتائج و تعميمات تساعد في فهم الواقع و تطويره " (١) .

و عند الوقوف على مصطلحات عنوان الدراسة (الصورة البديعية في الأحاديث القدسية - دراسة بلاغية تحليلية) نجد أنها تعني :

❖ الصورة :

الصورة في اللغة : الشكل و الهيئة ، جاء في تاج العروس : الصُّورة بالضم : الشكل و الهيئة و الحقيقة و الصنعة (٢) .

و قد أُخْتَلِفَ في المقصود بالصورة كل حسب توجهه ، فمثلاً يقصد بالصورة : صياغة الكلام أو التركيب ، إذ من التركيب " تبني علاقات جديدة بين الأشياء تكسبها صفات لم تكن لها من قبل ، اشترك العقل و الفكر و الفؤاد

(١) : البحث العلمي أسسه و مناهجه و أساليبه و إجراءاته ، ربحي مصطفى ، د . ط ، (عمان : بيت الأفكار الدولية . د . ت) ، ٤٨ .

(٢) : تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدي ، تحقيق : مصطفى حجازي ، د . ط ، (الكويت : التراث العربي ، ١٣٩٣ هـ) مادة " صور " ، باب : الرأ ، فصل : الصاد ، ١٢ / ٣٥٧ - ٣٥٨ .

في تكوينها " (١) . و " الصورة في الشعر هي : الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ و العبارات بعد أن نظمها الشاعر في سياق بياني خاص يعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدمًا طاقات اللغة و إمكاناتها في الدلالة و التركيب و الإيقاع ، و الحقيقة و المجاز ، و الترادف و التضاد و المقابلة و التجانس ، و غيرها من وسائل التعبير الفني " (٢) .

و قد سرت في هذه الدراسة على رأي من قصد بالصورة الفنون البديعية من طباق و مقابلة و جناس و مشاكلة و تورية ... إلى جانب دراسة الأصوات و الموسيقى و الحروف و الألفاظ داخل التركيب ما استطعت إلى ذلك سبيلًا .

❖ البديعية :

جاء في لسان العرب : بدع الشيء يبدعه بدعًا ، و ابتدعه : أنشأه و بدأه ، و بدع الركية استنبطها و أحدثها . و البديع و البدع : الشيء الذي يكون أولًا . و في التنزيل : ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٩] أي ما كنت أول من أرسل ، قد أرسل قبلي رسل كثير . و البديع المحدث العجيب ، و البديع المبدع ، و أبدعت الشيء : اخترعته لا على مثال سابق . و سقاء بديع : جديد ، و حبل بديع : جديد و أبدع الشاعر : جاء بالبديع (٣) .

(١) : الصورة البلاغية و أثرها في المتلقي ، نجاح الظهار ، ٢٠-٢١ .

(٢) : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، عبد القادر القط ، ط ٣ ، (لبنان : دار النهضة العربية . د . ت) ، ٣٩١ .

(٣) : لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور ، ط ١ ، (بيروت : دار صادر ، د . ت) ، مادة بدع .

البديعية عائدة إلى علم البديع ذلك العلم الذي نشأ و تطور على مر العصور و قد كان " عبد الله بن المعتز هو أول من قام بمحاولة علمية جادة في سبيل تأسيس علم البديع و تحديد مباحثه التي كانت من قبل مختلطة بمباحث علم المعاني و علم البيان . و تتمثل محاولته هذه في كتاب " البديع " الذي ألفه و ضمَّنه ثمانية عشر فنًا من فنون البديع . و قد مهدت محاولته السبيل أمام البلاغيين من بعده فتأثروها و أفادوا منها في تطوير هذا العلم و استكمال مباحثه و قضاياها .

فقدامة بن جعفر و هو من معاصري ابن المعتز أولى البديع اهتمامه و زاد فيه تسعة أنواع جديدة ، و أبو هلال العسكري اعتمد ما أتى به ابن المعتز و قدامة من فنون البديع و أضاف إليها حتى بلغت عنده سبعة و ثلاثين نوعًا ، ثم جاء ابن رشيق القيرواني فزاد على من تقدموه تسعة أنواع لم يرد لها عندهم .

و هكذا أخذت فنون البديع تنمو و تتكاثر على تعاقب الأجيال و العصور حتى بلغت في القرن الثامن الهجري عند الشاعر صفي الدين الحلبي مائة و خمسة و أربعين محسنًا بديعًا . و هذه المحسنات يقصد بها تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، و رعاية وضوح الدلالة بخلوها من التعقيد المعنوي . و المحسنات البديعية ضربان : معنوي يرجع إلى تحسين المعنى أولاً و بالذات ، و إن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضًا . و ضرب لفظي يرجع إلى تحسين اللفظ أصلاً ، و إن تبع ذلك تحسين المعنى لأن المعنى (إن) عُبر عنه بلفظ حسن استتبع ذلك زيادة في تحسين المعنى " (١) . و الذي يعيننا في ذلك إن هذه الدراسة ركزت على أهم ألوان البديع و أبرزها و بيان أثرها في جودة الكلام و بلاغته لفظاً و معنى .

(١) : في البلاغة العربية علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، د . ط ، (بيروت : دار النهضة العربية ،

❖ الأحاديث القدسية :

للحديث القدسي تعريفات عديدة و متنوعة ، و هي إن اختلفت في الشكل فمضمونها - إلى حد ما - سواء ، و سوف أقتصر على تعريفين من تلك التعريفات ، أولهما ما أورده صاحب كتاب الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية :

قال رحمه الله تعالى : " (الخاتمة في شرح معنى الحديث القدسي) القدس بضمين و بإسكان الثاني ، هو الطهر ، و الأرض المقدسة : المطهرة . و بيت المقدس منها معروف - و تقديس الله: تنزّه ، و هو القدوس كذا في المصباح .

و إنما نسب الأحاديث ، لإضافة معناها إلى الله وحده على ما في التعريفات للحديث القدسي : فإن ما أخبر الله به نبيه ﷺ بالإلهام أو بالمنام ، فأخبر عليه الصلاة و السلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه - فالقرآن مفضل عليه ؛ لأن لفظه منزل أيضاً - أي من عند الله تعالى . انتهى .

و قال مولانا على القارئ - عليه الرحمة - : الحديث القدسي ما يرويه صدر الرواة ، و مصدر الثقات - عليه أفضل الصلوات و أكمل التحيات - عن الله - تبارك و تعالى - تارة بواسطة جبريل - عليه السلام ، و تارة بالوحي أو الإلهام أو المنام ، مفوضاً إليه التعبير بأي عبارة شاء ، من أنواع الكلام .

و هي تغاير القرآن الحميد ، و الفرقان المجيد بأن نزوله لا يكون إلا بواسطة الروح الأمين ، و يكون مقيداً باللفظ المنزل من اللوح المحفوظ على وجه اليقين ، ثم يكون

نقله متواتراً قطعياً ، في كل طبقة ، و في كل عصر و حين ، و يتفرع عليه فروع كثيرة عند العلماء ... " (١) .

و ثانيهما ما ورد في كتاب الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية : " الحديث القدسي كل ما رواه النبي ﷺ عن ربه عز و جل ، لأنه منسوب إلى النبي ﷺ تبليغاً ، و ليس من القرآن بالإجماع ، و إن كان كل واحد منهما قد بلغه النبي ﷺ أمته عن الله عز و جل و قد اختلف العلماء رحمهم الله في لفظ الحديث القدسي ، هل هو كلام الله تعالى ، أو أن الله تعالى أوحى إلى رسوله ﷺ معناه و اللفظ لفظ رسول الله ﷺ ؟ على قولين :

القول الأول : أن الحديث القدسي من عند الله لفظه و معناه ؛ لأن النبي ﷺ أضافه إلى الله تعالى ، و من المعلوم أن الأصل في القول المضاف أن يكون بلفظ قائله لا ناقله . لا سيما أن النبي ﷺ أقوى الناس أمانة و أوثقهم روايةً .

و القول الثاني : أن الحديث القدسي معناه من عند الله و لفظه لفظ النبي ﷺ ؛ و ذلك لوجهين : **الوجه الأول :** لو كان الحديث القدسي من عند الله لفظاً و معنى ، لكان أعلى سنداً من القرآن ؛ لأن النبي ﷺ يرويه عن ربه تعالى بدون واسطة ، كما هو ظاهر السياق ، أما القرآن فنزل على النبي ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام . **الوجه الثاني :** أنه لو كان لفظ الحديث القدسي من عند الله ، لم يكن بينه

(١) : الإتحافات السننية في الأحاديث القدسية ، الشيخ العلامة : محمد المدني ، د . ط ، (الهند : دار

و بين القرآن فرق ؛ لأن كليهما على هذا التقدير كلام الله تعالى ، و الحكمة تقتضي تساويهما في الحكم حين اتفقا في الأصل " (١) .

❖ دراسة بلاغية تحليلية :

يقصد بدراسة بلاغية تحليلية : هو تحليل الصور البديعية في الأحاديث القدسية تحليلًا بلاغيًا ، كاشفًا ما بهذه الأحاديث القدسية من محسنات معنوية أو لفظية ، سواء أجمعت تلك الألوان في حديث واحد أم كانت متفرقة .

و البحث في هذا الموضوع عظيم النفع ، بليغ الأثر ، محمود العاقبة ؛ لاتصاله الوثيق بل لنبعه من مصدر ديني تشريعي جاء تاليًا في الأهمية لكتاب الله عز و جل ، و كان عنان هذه الدراسة ملزما بخصوصية الخبر و خصوصية القائل ، و ملزمًا قبل ذلك بالنظر إلى الحديث قيد الدراسة أنه ضمن رسالة سماوية هي خاتمة الرسالات و قائلها هو خاتم المرسلين ، و أنها النذير الذي لا يخفت صوته حتى قيام الساعة ، و المبشر الذي لن يزال حتى تلتقي كل نفس باليقين .

و نظرًا لتداخل الصور البديعية و تزامهما في حديث قدسي واحد ، فقد وجدت من الصعب أن أدرس الحديث القدسي مرة تحت مبحث الطباق ، و مرة تحت مبحث المشاكلة ، و مرة تحت مبحث السجع ، و مرة تحت مبحث الجناس ... ، لذا فضلت أن أقسم الأحاديث القدسية على فصول بحسب الموضوعات و أدرس و

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، لأصحاب الفضيلة العلماء - الإمام/ ابن شرف النووي ، و شيخ الإسلام / ابن تيمية ، و الإمام / ابن القيم الجوزية ، و الشيخ عبد العزيز بن باز . و الشيخ / محمد العثيمين ، و الشيخ / صالح آل الشيخ، و الشيخ / عبد العزيز الراجحي ، جمع و ترتيب : محمد سيد فرج ، ط ١ ، ج ١ ، (مطبعة العمرانية ، ١٤٣١ هـ) ، ٥-٦ .

أحلل كل حديث على حدة ، و عند الانتهاء من المبحث الأول وجدت نفسي أشكو من أمرين :

أولهما : طول البحث نظرا لكثرة الأحاديث القدسية التي قد تجاوزت ثلاثمائة و خمسين حديثًا قدسيًا .

ثانيهما : التكرار المتسرب عنوة إلى حشايا البحث .

و لذا ، و بعد معاودة النظر ، و جدت أنه من الأجدى تقسيم البحث إلى مقدمة و تمهيد و فصلين : فصل خاص بالألوان البديعية المعنوية ، و فصل خاص بالألوان البديعية اللفظية ، و خاتمة ، و بهذه الطريقة سأتلخص من تلك الصعوبات ، و قد اعتمدت عند اختياري لتلك الألوان البديعية إلى مقياسي الأشهر و الأكثر ذيوغًا و انتشارًا .

خطة البحث :

جاء البحث في مقدمة و تمهيد و فصلين ثم خاتمة ، على النحو الآتي :

المقدمة :

ذكرت فيها أهمية الدراسة و أهدافها ، و أسباب اختيارها ، و خطة البحث ، و الصعوبات التي واجهتني ، كما قمت بتحليل لمعاني المصطلحات الواردة في عنوان الدراسة .

التمهيد ، و يتضمن :

- ١ . معنى الحديث القدسي .
- ٢ . الفرق بين القرآن الكريم و الحديث القدسي .

٣. الفرق بين الحديث النبوي و الحديث القدسي .
 ٤. البديع و منزلته بين الدراسات البلاغية .

الفصل الأول : الألوان البديعية المعنوية في الأحاديث القدسية ، و

قيمتها البلاغية ، و يتضمن :

- ❖ المبحث الأول : الطباق و المقابلة .
- ❖ المبحث الثاني : المشاكلة .
- ❖ المبحث الثالث : التورية .
- ❖ المبحث الرابع : المبالغة .
- ❖ المبحث الخامس : مراعاة النظر .
- ❖ المبحث السادس : الجمع و التقسيم .
- ❖ المبحث السابع : حسن الابتداء و حسن الانتهاء .

الفصل الثاني : الألوان البديعية اللفظية في الأحاديث القدسية و قيمتها

البلاغية، و يتضمن :

- ❖ المبحث الأول : الجناس .
- ❖ المبحث الثاني : السجع .
- ❖ المبحث الثالث : رد العجز على الصدر .
- ❖ المبحث الرابع : لزوم ما لا يلزم .

الخاتمة ، و تتضمن :

❖ خلاصة البحث .

❖ النتائج .

❖ التوصيات و المقترحات .

الفهارس الفنية ، و تشمل :

١ . فهرس الآيات .

٢ . فهرس الأحاديث .

٣ . فهرس المصطلحات البلاغية .

٤ . فهرس المصادر و المراجع .

٥ . فهرس الموضوعات .

ثم لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر أولاً إلى الله وَعَلَيْكَ على إتمام هذا البحث ، ثم إلى جميع أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب و العلوم الإنسانية بجامعة طيبة فجزاهم الله خير الجزاء ، ثم أخص بالشكر سعادة الدكتور بدر عبد العال حسين على ما بذله من جهد و توجيه و نصح ، و ما أكرمني به من وقته حتى تم هذا البحث .

ثم أتقدم بخالص الدعاء إلى والديّ اللذين حرصا على توجيهي و الدعاء لي بالتوفيق في الدنيا و الآخرة .

ثم أتقدم بالشكر إلى كل من مد لي يد العون حتى خرج هذا البحث إلى النور .
و أخيراً أرجو من الله العليّ القدير أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ،
كما أسأله أن يضاعف لنا أجر ما بذلنا من نظر في كتابه الكريم و حديث نبيه
الأمين ، و الحمد لله رب العالمين .

انتهى ...

التمهيد

و يحتوي على :

١. معنى الحديث القدسي .
٢. الفرق بين القرآن الكريم و الحديث القدسي .
٣. الفرق بين الحديث النبوي و الحديث القدسي .
٤. البديع و منزلته بين الدراسات البلاغية .

١ . معنى الحديث القدسي :

الحديث لغة :

" الْحَدِيثُ : نقيضُ القديم . و الحُدُوثُ : نقيضُ القُدَمَةِ . و الحديثُ : الجديِدُ من الأشياء . و الحديث الحَبْرُ يأتي على القليل و الكثير ، و الجمع : أحاديثُ ، كقطع و أقاطيعَ ، و هو شاذُّ على غير قياس . و الحديثُ ما يُحدَّثُ به المُحدِّثُ تُحدِّثاً ؛ و قد حَدَّثَهُ الحديثُ و حَدَّثَهُ به " (١) .

الحديث اصطلاحاً :

" ما أُضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير - فالقول مثل : روى أنه عليه الصلاة و السلام قال : إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى . و الفعل مثل ما روى أنه عليه السلام كان يعلم أصحابه الصلاة و مناسك الحج . و التقرير : أن يصدر من أحد عملٌ أو قولٌ في حضرة الرسول ، أو في غيبته ثم يبلغه و لا ينكر عليه الفعل أو القول ، أو تظهر عليه إمارات الرضا و الاستبشار ، و لم يكن قد سبق الرسول نهي عن هذا الفعل ، كالذي روى عن الرسول ﷺ على من أكل لحم الضب على مائدته .

و بعض العلماء يضم إلى الحديث ما كان من وصف خُلُقِي للرسول عليه السلام ككونه عليه السلام كان ربة (غير طويل و لا قصير) - أو خُلُقِي ككونه ﷺ في رمضان أجود من الريح المرسلة .

(١) : لسان العرب ، ابن منظور المصري ، ، مادة : " حدث " ، مرجع سابق ، ٥٣-٥٢ / ٤ ،

و من الناس من خص الحديث : بما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل ، أو تقرير و الأوصاف بنوعيتها فليست من مفهوم الحديث ، بل إن بعض الناس خص الحديث بما أضيف إلى النبي ﷺ من قول فقط ، و لعل هذا الرأي الأخير يراعي المعنى اللغوي للحديث و هو الصوت الذي يعبر عما في النفس " (١) .

القدسي لغة :

" التَّقْدِيسُ : تنزيه الله عز و جل . و في التهذيب : القُدُسُ تنزيه الله تعالى ، و هو المَتَقَدَّسُ القُدُّوسُ المُقَدَّسُ . و يقال : القُدُّوسُ فَعُولٌ من القُدُسِ ، و هو الطهارة ، و القُدُسُ و القُدْسُ ، بضم الدال و سكونها ، اسم و مصدر ، و منه قيل للجنة : حَصِيرَةُ القُدْسِ . و التَّقْدِيسُ : التَّطْهِيرُ و التَّبْرِيكُ . و تَقَدَّسَ أي تَطَهَّرَ . و في التنزيل : و نحن نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ و نُقَدِّسُ لَكَ ؛ الزجاج : معنى نُقَدِّسُ لَكَ أي نُطَهِّرُ أَنفُسَنَا لَكَ ، و كذلك نَفَعَلُ بِمَنْ أَطَاعَكَ نُقَدِّسُهُ أي نَطَهِّرُهُ . قال : و من هذا بيت المَقْدِسِ ، أي البيت المُطَهَّرُ ، أي المكان الذي يُتَطَهَّرُ به من الذنوب . ابن الكلبي : القُدُّوسُ الطَّاهِرُ ، و قوله تعالى : الملك القُدُّوسُ الطَّاهِرُ في صفة الله عز و جل ، و قيل قُدُّوسٌ ، بفتح القاف ، قال : و جاء في التفسير أنه المبارك . و القُدُّوسُ : هو الله عز و جل . و القُدْسُ : البركة . و الأرض المُقَدَّسَةُ : الشام ، منه ، و بيت المَقْدِسِ من ذلك أيضا ، و رُوحُ القُدْسِ جبريل ، عليه السلام " (٢) .

(١) : الحديث النبوي الشريف تاريخه و مصطلحاته ، بدران أبو العينين بدران ، د . ط ، الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣ م) ، ٥ - ٦ .

(٢) : لسان العرب ، ابن منظور المصري ، مرجع سابق ، مادة : " قدس " ، ١٢ / ٣٩ - ٤٠ ، و انظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدي ، مرجع سابق ، مادة : " قدس " ، ١٦ / ٣٥٤ - ٣٦٠ ، و مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، مرجع سابق ، مادة : " قدس " ، ٢١٩ .

الحديث القدسي اصطلاحاً :

ورد للحديث القدسي تعريفات عديدة و هي إن اختلفت في الشكل فمضمونها

- إلى حد ما - سواء . و تعود أغلب التعريفات التي وجدتها في ثنايا الكتب^(١)

للشيخ العلامة محمد المدني صاحب كتاب الإتحافات السننية في الأحاديث القدسية ، وكذلك تعريف السيد جمال الدين القاسمي الدمشقي ، و سأورد هذين التعريفين يعقبهما تعريفات عدة للحديث القدسي .

عرّف الشيخ المدني الحديث القدسي بأنه : " قال رحمه الله تعالى : (الخاتمة في

شرح معنى الحديث القدسي) القدس بضمّتين و بإسكان الثاني ، هو الطهر ، و الأرض المقدسة : المطهرة . و بيت المقدس منها معروف - و تقديس الله : تنزّه ، و هو القدوس كذا في المصباح .

و إنما نسب الأحاديث ، لإضافة معناها إلى الله وحده على ما في التعريفات للحديث القدسيّ :- فإن ما أخبر الله به نبيه - ﷺ - بالإلهام أو بالمنام ، فأخبر عليه الصلاة و السلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه - فالقرآن مفضل عليه ؛ لأن لفظه منزل أيضاً - أي من عند الله تعالى . انتهى .

و قال مولانا علي القاري - عليه الرحمة - : الحديث القدسيّ ما يرويه صدر

الرواة ، و مصدر الثقات - عليه أفضل الصلوات و أكمل التحيات - عن الله -

تبارك و تعالى - تارة بواسطة جبريل - عليه السلام ، و تارة بالوحي أو الإلهام أو

المنام ، مفوضاً إليه التعبير بأي عبارة شاء ، من أنواع الكلام .

(١) : على سبيل المثال لا الحصر : الأحاديث القدسية ، د. م ، ط ٢ ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٦هـ) ، ٧ . و أيضاً : الأحاديث القدسية و منزلتها في التشريع ، شعبان محمد اسماعيل ، ط ١ ، (الرياض : دار المريخ للنشر ، ١٤٠٢هـ) ، ٢٣ .

و هي تغاير القرآن الحميد ، و الفرقان المجيد بأن نزوله لا يكون إلا بواسطة الروح الأمين ، و يكون مقيداً باللفظ المنزل من اللوح المحفوظ على وجه اليقين ، ثم يكون نقله متواتراً قطعياً ، في كل طبقة ، و في كل عصر و حين ، و يتفرع عليه فروع كثيرة عند العلماء ، بها شهيرة : منها عدم صحة الصلاة بقراءة الأحاديث القدسية ، و منها عدم حرمة لمسها و قراءتها للجنب و الحائض و النفساء ، و منها عدم تعلق الإعجاز بها ، - و منها عدم كفر جاحدها . اهـ . " (١) .

و قد عرّف الإمام أبي الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد القاري الحديث القدسي بتعريف قريب جدا من التعريف السابق فقال : " يطلق هذا الاصطلاح على مجموعة من الأحاديث النبوية يرويها الرسول ﷺ عن الله تبارك و تعالى ، بالوحي و الإلهام و المنام ، و تبدأ بعض الأحاديث بقوله ﷺ : (قال الله تعالى ...) أو (يقول الله تعالى ...) ، و البعض الآخر يروي فيه الرسول ﷺ مشاهد يوم القيامة و الشفاعة و الصراط و في أثناء كلامه ﷺ يقول : (يقول الله : ...) مثل حديث الشفاعة الذي تكلم فيه النبي ﷺ بكلام نبوي ثم يروي لنا قول المولى تبارك و تعالى له : (ارفع رأسك ، و قل ، تسمع ، و اشفع تشفع ...) ، و حديث الإسراء و غيرهما كثير " (٢) .

و عرّف الدكتور أحمد الشرباصي الحديث القدسي بعبارة قريبة مما سبق فقال : هو " ما أخبر الله تعالى به رسول الله ﷺ ، بطريق جبريل عليه السلام ، أو بطريق

(١) : الاتحافات السننية في الأحاديث القدسية ، محمد المدني ، د . ط ، (الهند : دار المعارف ،

١٣٢٢هـ ، ٢٣٥ .

(٢) : معجم الأحاديث القدسية الصحيحة و معها الأربعون القدسية ، الإمام أبي الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد القاري ، إعداد و تحقيق : أبي عبد الرحمن كمال بن بسيوني الأبياري المصري ، ط ١ ، (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤١٣ هـ) ، ٣ .

الإلهام ، أو بطريق الرؤيا في النوم ، فأخبر رسول الله عن ذلك المعنى بعبارة وفقه الله سبحانه إليها " (١) .

في حين عرّف الأستاذ محمد سيد فرج الحديث القدسي بأنه " كل ما رواه النبي ﷺ عن ربه عز و جل ، لأنه منسوب إلى النبي ﷺ تبليغاً ، و ليس من القرآن بالإجماع ، و إن كان كل واحد منهما قد بلغه النبي ﷺ أمته عن الله عز و جل و قد اختلف العلماء رحمهم الله في لفظ الحديث القدسي ، هل هو كلام الله تعالى ، أو أن الله تعالى أوحى إلى رسوله ﷺ معناه و اللفظ لفظ رسول الله ﷺ ؟ على قولين :

القول الأول : أن الحديث القدسي من عند الله لفظه و معناه ؛ لأن النبي ﷺ أضافه إلى الله تعالى ، و من المعلوم أن الأصل في القول المضاف أن يكون بلفظ قائله لا ناقله . لا سيما أن النبي ﷺ أقوى الناس أمانة و أوثقهم روايةً .

و القول الثاني : أن الحديث القدسي معناه من عند الله و لفظه لفظ النبي ﷺ ؛ و ذلك لوجهين :

الوجه الأول : لو كان الحديث القدسي من عند الله لفظاً و معنى ، لكان أعلى سنداً من القرآن ؛ لأن النبي ﷺ يرويه عن ربه تعالى بدون واسطة ، كما هو ظاهر السياق ، أما القرآن فنزل على النبي ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام .

الوجه الثاني : أنه لو كان لفظ الحديث القدسي من عند الله ، لم يكن بينه و بين القرآن فرق ؛ لأن كليهما على هذا التقدير كلام الله تعالى ، و الحكمة تقتضي تساويهما في الحكم حين اتفقا في الأصل " (١) .

(١) : أدب الأحاديث القدسية ، أحمد الشرباصي ، ط ٢ ، (د . م : دار الاعتصام ، ١٣٩٨ هـ) ، ٧ .

و بالنسبة لخلاف العلماء رحمهم الله في لفظ الحديث القدسي ، أهو كلام الله تعالى ، أم من كلام الرسول ﷺ ؟ أشار الدكتور أحمد الشرباصي إلى أن " هناك من يقول إن الألفاظ في الحديث القدسي من عند الله لا من عند الرسول ، لأن الله تعالى هو المتكلم به أولاً ، و من المستبعد أن ينسب الرسول إلى الله إلا ما نسبه الوحي إلى الله جل جلاله . و إذا كان الحديث القدسي يُنسب في الجملة إلى الرسول ، فهذه النسبة نسبة إخبارية ، لأن الرسول هو الذي أخبر الناس بهذا الحديث .

و هناك من يقول إن لفظ الحديث القدسي من عند الرسول ، و إنما تُنسب إلى الله لأن معناه قد أُوحى به من عند الله . و لكن هناك من يعترض على هذا بأن الرواة يقولون عند رواية الحديث القدسي : (قال رسول الله فيما يرويه عن ربه ...) .

و يرد بعض العلماء على هذا الاعتراض بأن الله تعالى فَوَّض نبيه بأن يبلغ عنه ، و ينسب الحديث إليه .

و الذي لا شك فيه أن الرسول ﷺ قد روى بعض الأحاديث القدسية بمعناها لا بلفظها ، كما في الحديث الذي جاء بهذه الصورة : (قال رسول الله ﷺ : أتاني آت من ربي فأخبرني أو فبشّرني أنه من مات من أمتي لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة) .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، الإمام النووي ، ابن شرف ، و شيخ الإسلام ابن تيمية ؛ و الإمام ابن القيم الجوزية ؛ و الشيخ عبد العزيز بن باز ؛ و الشيخ محمد العثيمين ؛ و الشيخ صالح آل الشيخ ؛ و الشيخ عبد العزيز الراجحي ، جمع و ترتيب : محمد سيد فرج ، مرجع سابق ، ٥/١ - ٦ .

فهذه العبارة التي قالها الرسول لا يمكن أن تكون حكاية لنفس الألفاظ التي أُوحيت إليه " (١) .

(١) : أدب الأحاديث القدسية ، أحمد الشرباصي ، مرجع سابق ، ٧ - ٨ ، و انظر أيضا تعليق الدكتور شعبان محمد اسماعيل على هذه القضية : الأحاديث القدسية و منزلتها في التشريع ، شعبان محمد اسماعيل ، مرجع سابق ، ٢٧ - ٢٨ .

٢. الفرق بين القرآن الكريم و الحديث القدسي :

فرق العلماء بين القرآن الكريم و الحديث القدسي بمجموعة من الفروق ، ذكر صاحب الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية عدداً كبيراً منها ، و من بعده أخذ العلماء و ما وجدته في عددٍ من المؤلفات ^(١) ما هو إلا تكراراً لما ورد في هذا الكتاب .

قال رحمه الله : " فائدة في الفرق بين القرآن و الحديث القدسي ، قال المولى الكرمانى في أول كتاب الصوم : القرآن لفظ معجز ، و منزل بواسطة جبرائيل - عليه السلام - و هذا غير معجز ، و بدون الوسطة ، و مثله يسمى بالحديث القدسي و الإلهي و الرباني .

ثم قال : فإن قلت : الأحاديث كلها كذلك ، كيف لا ، و هو ما ينطق عن الهوى ؟ قلت : الفرق بأن الحديث القدسي مضاف إلى الله تعالى ، و مروري عنه بخلاف غيره .

و قد يفرق بأن القدسي ما يتعلق بتزيه ذاته و صفاته الجلالية و الجمالية . قال الطيبي : القرآن هو اللفظ المنزل به جبرائيل - عليه السلام - على النبي ﷺ - و القدسي : إخبار الله معناه بالإلهام أو المنام ، فأخبر النبي عليه الصلاة و السلام - أمته

(١) : انظر المؤلفات التالية : أدب الأحاديث القدسية ، أحمد الشرباصي ، مرجع سابق ، ٩-١٠ . و الأحاديث القدسية و منزلتها في التشريع ، شعبان محمد اسماعيل ، مرجع سابق ، ٦ . و معجم الأحاديث القدسية الصحيحة و معها الأربعون القدسية ، الإمام أبي الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد القاري ، إعداد و تحقيق : أبي عبد الرحمن كمال بن بسيوني الأبياري المصري ، مرجع سابق ، ٤-٥ . و التعريف بالحديث الشريف ، محمد السعدي فرهود ، مرجع سابق ، ١٩ . و د . م ، الأحاديث القدسية ، مرجع سابق ، ٧-٨ .

بعبارة نفسه ، و سائر الأحاديث لم يضيفها إلى الله ، و لم يروها عنه ، كذا في كتاب الفوائد لحفيد التفتازاني .

و هناك أيضاً وجوه في الفرق بين القرآن و الحديث القدسي ذكرها الشيخ محمد علي الفاروقي ، في (كشاف الاصطلاحات و الفنون) .

عند بيان أنواع الحديث و تقسيمها ، فقال :

الحديث إما نبويّ و إما إلهيّ ، و يسمى حديثاً قدسياً أيضاً . فالحديث القدسيّ ؛ هو الذي يرويه النبيّ - ﷺ - عن ربه عزّ وجلّ . و النبويّ : ما لا يكون كذلك . هكذا يفهم مما ذكر ابن حجر في (الفتح المبين ، في شرح الحديث الرابع و العشرين) .

و قال الحلبي في حاشية التلويح ، في الركن الأول عند بيان معنى القرآن : الأحاديث الإلهية : هي التي أوحاها الله تعالى ، إلى النبيّ - ﷺ - ليلة المعراج ، و تسمى بأسرار الوحي . أ هـ .

(فائدة) قال ابن حجر هناك : لا بدّ من بيان الفرق بين الوحي المتلوّ ، و هو القرآن ، و الوحي المرويّ عنه - ﷺ - عن ربه عزّ وجلّ و هو ما ورد من الأحاديث الإلهية ، و تسمى القدسية ، و هي أكثر من مائة ، و قد جمعها بعضهم في جزء كبير . - قال :

اعلم أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسام : أولها و أشرفها القرآن لتميزه عن البقية بإعجازه ، و كونه معجزة باقية على مرّ الدهور ، محفوظة من التغيير و التبديل ، و بجرمة مسه للمحدث ، و تلاوته للجنب ، و روايته بالمعنى ، و بتعيينه في الصلاة ، و

بتسميته قرآنًا ، و بأن كل حرف منه بعشر حسنات و بامتناع بيعه ، في رواية عند أحمد ، و كراهته عندنا ، و بتسمية الجملة منه آية و سورة .

و غيره من بقية الكتب ، و الأحاديث القدسية ، لا يثبت لها شيء من ذلك ، فيجوز مسه و تلاوته لمن ذكر ، و روايته بالمعنى ، و لا يجرى في الصلاة ، بل يبطلها ، و لا يسمى قرآنًا ، و لا يعطى قارئه بكل حرف عشر حسنات ، و لا يمنع بيعه ، و لا يكره اتفاقًا ، و لا يسمى بعضه آية و لا سورة اتفاقًا أيضًا .

و ثانيها - كتب الأنبياء - عليهم الصلاة و السلام - قبل تغييرها و تبدلها .

و ثالثها - بقية الأحاديث القدسية ، و هي ما نقل إلينا آحادًا عنه - ﷺ - مع إسناده لها عن ربه ، فهي من كلامه تعالى ، فتضاف إليه و هو الأغلب ، و نسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء ، لأنه المخبر بها عن الله تعالى ، فيقال فيه : قال الله تعالى - و فيها قال رسول الله ﷺ ، فيما يروي عن ربه .

و اختلف في بقية السنة ، هل كل السنة بوحى أو لا ؟ و آية ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ

الْهَوَىٰ ﴾ تؤيد الأول ، و من ثم قال ﷺ : (ألا إني أوتيت الكتاب و مثله معه) - و لا تنحصر تلك الأحاديث في كيفية من كيفيات الوحي ، بل يجوز أن تنزل بأي كيفية من كيفياته ، كرؤيا النوم و الإلقاء في الروع ، و على لسان الملك .

و لراويها صيغتان : إحداهما أن يقول : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ، و هي عبارة السلف .

و ثانيهما : أن يقول قال الله تعالى ، فيما رواه عنه رسوله ﷺ و المعنى واحد . ا . ه . كلامه .

و في فوائد الأمير حميد الدين : (الفرق بين القرآن و الحديث القدسي) على ستة أوجه :

الوجه الأول : أن القرآن معجز ، و الحديث القدسي ليس معجزاً .

و الثاني : أن الصلاة لا تكون إلا بالقرآن ، بخلاف الحديث القدسي .

و الثالث : أن جاحد القرآن يكفر ، بخلاف جاحد الحديث القدسي فلا يكفر .

و الرابع : أن القرآن لا بدّ فيه من كون جبرائيل - عليه السلام - واسطة بين النبي ﷺ و بين الله تعالى ، بخلاف الحديث القدسي .

و الخامس : أن القرآن يجب أن يكون لفظه من الله تعالى ، بخلاف الحديث

القدسي ، فيجوز أن يكون اللفظ من النبي ﷺ .

و السادس : أن القرآن لا يمس إلا بالطهارة ، و الحديث القدسي يجوز مسه من المحدث . ا . ه .

ثم قال : و تبين بهذا الفرق بين الحديث القدسي ، و بين ما نسخ تلاوته أيضاً ، لما عرفت فيما نقلناه من الإتقان ، من أنه يسمى بالقرآن و الآية " (١) .

و ذكر الأستاذ محمد سيد فرج أنه " من المعلوم أن بين القرآن و الحديث القدسي فروقاً كثيرة :

(١) : الإتحافات السننية في الأحاديث القدسية ، محمد المدني ، مرجع سابق ، ٢٣٥-٢٣٦ .

منها : أن الحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته ، بمعنى أن الإنسان لا يتعبد الله تعالى بمجرد قراءته ، فلا يثاب على كل حرف منه عشر حسنات ، و القرآن يتعبد بتلاوته بكل حرف منه عشر حسنات .

و منها : أن الله عز و جل تحدى أن يأتي الناس بمثل القرآن أو آية منه ، و لم يرد مثل ذلك في الأحاديث القدسية .

و منها : أن القرآن محفوظ من عند الله عز و جل ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، و الأحاديث القدسية بخلاف ذلك ، ففيها الصحيح و الحسن ، بل أضيف إليها ما كان ضعيفاً أو موضوعاً ، و هذا و إن لم يكن منها لكن نسب إليها ، و فيها التقديم و التأخير و الزيادة و النقص .

و منها : أن القرآن لا تجوز قراءته بالمعنى بإجماع المسلمين ، أما الأحاديث القدسية ، فعلى الخلاف في جواز نقل الحديث النبوي بالمعنى ، و الأكثرون على جوازه .

و منها : أن القرآن تشرع قراءته في الصلاة ، و منه ما لا تصح الصلاة بدون قراءته ، بخلاف الأحاديث القدسية .

و منها : أن القرآن لا يمسه إلا طاهر على الأصح ، بخلاف الأحاديث القدسية .

و منها : أن القرآن ثبت بالتواتر القطعي المفيد للعلم اليقيني ، فلو أنكر منه حرفاً أجمع القراء عليه ، لكان كافراً ، بخلاف الأحاديث القدسية ، فإنه لو أنكر شيئاً منها

مدعياً أنه لم يثبت لم يكفر ، أما لو أنكروه مع علمه أن النبي ﷺ قاله لكان كافراً لتكذيبه النبي ﷺ " (١) .

و يُلاحظ على الفروق التي ذكرها الأستاذ محمد سيد فرج أنها تعود في مجملها إلى ما ذكره صاحب الإتحافات السننية في الأحاديث القدسية في كتابه ، في حين أضاف كل من الدكتور شعبان محمد إسماعيل ، و الدكتور عمر علي عبد الله محمد فرقاً آخر إضافة إلى ما سبق ذكره ، و هو " أن القرآن الكريم يحرم بيعه عند الإمام أحمد - رحمة الله - ، و يكره عند الإمام الشافعي - رحمه الله - ، و الحديث القدسي ليس كذلك " (٢) .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، الإمام النووي ، ابن شرف ، و شيخ الإسلام ابن تيمية ، و الإمام ابن القيم الجوزية ، و الشيخ عبد العزيز بن باز ، و الشيخ محمد العثيمين ، و الشيخ صالح آل الشيخ ، و الشيخ عبد العزيز الراجحي ، جمع و ترتيب : محمد سيد فرج ، مرجع سابق ، ٦ .

(٢) : انظر : الأحاديث القدسية جمعاً و دراسة ، عمر علي عبد الله محمد ، ط ١ ، (المدينة المنورة : مكتبة العلوم و الحكم ، ١٤٢٤هـ - ١٤٢٥هـ) ، ٢٥ . و انظر أيضاً : الأحاديث القدسية و منزلتها في التشريع ، شعبان محمد إسماعيل ، مرجع سابق ، ٢٥ .

٣. الفرق بين الحديث القدسي و الحديث النبوي :

يختلف الحديث القدسي عن الحديث النبوي بعدة فروق ، ذكر الدكتور محمد إسماعيل عددًا منها ، حيث قال : " يفرق بين الحديث القدسي و الحديث النبوي بأن الحديث القدسي ، لفظه و معناه كلاهما من الله سبحانه و تعالى على أشهر القولين ، موحى بهما ، سواء أوحى إليه بوحى جلي ؛ بأن ينزل بهما جبريل عليه السلام على النبي ﷺ يقظة ، أو بوحى خفي كإلهام أو منام ، و الحديث النبوي لفظه من عند النبي ﷺ ، أما معناه فتارة يكون بوحى جلي ؛ بأن ينزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ يقظة ، مثل ما رواه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : (سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول : آتاني الليلة آت من ربي فقال : صلّ في هذا الوادي المبارك ، و قل عمرة في حجة) . و تارة يكون بوحى خفي كإلهام و منام مثل حديث : (إن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها ، فاتقوا الله و أجملوا الطلب) ، و تارة يكون باجتهاد منه ؛ لأن اجتهاده منزل منزلة الوحي ؛ إذ لا يقر على خطأ ، مثل حديث البخاري الذي رواه في صحيحه عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : (حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير و قطع و هي البويرة فنزلت ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ

اللَّهِ ﴾ [الحشر : ٥] ... إن الحديث القدسي معناه يتعلق في الغالب بالحق سبحانه و تعالى بتبيين عظمته ، أو بإظهار رحمته ، أو بالتنبيه على سعة ملكه و كثرة عطائه ، فينزل هذا المعنى على رسول الله - ﷺ - و يترك له التعبير عنه بعبارة يؤلفها من عنده ، على أنها صادرة عن الحق سبحانه ، فينطق - ﷺ - بها على لسان الله سبحانه و تعالى ... أما الحديث النبوي : فإنه يتعلق بما يصلح البلاد و العباد ، بذكر

الحلال و الحرام ، و الحث على الأمثال ، بذكر الوعد و الوعيد ، و ترك لرسول الله - ﷺ - التعبير عنه ، على أنه صادر عنه ، لا عن الحق سبحانه و تعالى (١) " .

أمّا الدكتور محمد السعدي فرهود فقد ذكر أن الحديث القدسي هو الحديث المسند إلى الله - سبحانه و تعالى - فيما يرويه عنه رسول الله ﷺ ، و الحديث النبوي هو الحديث المسند إلى رسول الله ﷺ إسنادا مباشرا ، و أن الفرق بينهما على رأيين :

الرأي الأول : أن الحديث القدسي من عند الله - جل شأنه - باللفظ و المعنى ، و أمّا الحديث النبوي فقد أُلهم الرسول ﷺ معناه ، أو أُوحى إليه به ، و صاغه الرسول ﷺ بلفظ من عنده .

و الرأي الآخر : أن الحديث القدسي معناه من عند الله بإلهام ، و لفظه من عند الرسول ﷺ . و الحديث النبوي لفظه و معناه من عند الرسول ﷺ (٢) .

و أشار الدكتور عمر علي عبد الله محمد أن من الفروق بين الحديث القدسي و الحديث النبوي الآتي :

١. " أن الحديث القدسي لفظه و معناه من عند الله تعالى ، كما هو القول الراجح . و الحديث النبوي معناه من عند الله عز و جل ، و لفظه من كلام الرسول ﷺ .
٢. الحديث القدسي يسنده النبي ﷺ و يضيفه إلى الله تعالى . و الحديث النبوي ليس كذلك .

(١) : الأحاديث القدسية و منزلتها في التشريع ، شعبان محمد اسماعيل ، مرجع سابق ، ٢٧-٣٠ .

(٢) : التعريف بالحديث الشريف ، محمد السعدي فرهود ، مرجع سابق ، ١٩ .

و قد فرق بعضهم بينهما من حيث المحتوى و الموضوع .

فقال الكرمانى : و قد يفرق بأن القدسي ما يتعلق بتنزيه ذات الله تعالى ، و بصفاته الجلالية و الجمالية ، منسوبا إلى الحضرة المقدسة ، تعالى و تقدس . ا هـ . و الحديث النبوي يتعلق ما يصلح البلاد و العباد بذكر الحلال و الحرام ، و الحث على الامتثال بذكر الوعد و الوعيد . قلت : و هذا هو الغالب ، و إلا فهناك أحاديث قدسية فيها الوعد و الوعيد " (١) .

و ذكر الدكتور أحمد الشرباصي أنهم فرقوا بين الحديث القدسي و الحديث النبوي " بأن الحديث القدسي يكون عن طريق الإيحاء ، سواء أكان بوساطة جبريل ، أم بوساطة الرؤيا ، و أما الحديث النبوي فقد يكون بوحي ، و قد يكون باجتهاد من رسول الله ﷺ " (٢) .

(١) : الأحاديث القدسية جمعاً و دراسة ، عمر علي عبد الله محمد ، مرجع سابق ، ٢٥ .

(٢) : أدب الأحاديث القدسية ، أحمد الشرباصي ، مرجع سابق ، ١٠ .

٤. تعريف البديع و منزلته بين الدراسات البلاغية :

تعريف البديع لغة : جاء في لسان العرب بدع الشيء يبدعه بدعًا و ابتدعه : أنشأه و بدأه . و بدع الركيبة : استنبطها و أحدثها . و البدع الشيء الذي يكون أولًا . و في التنزيل : قل ما كنت بدعًا من الرسل ؛ أي ما كنت أول من أرسل ، قد أرسل قبلي رسل كثير .

و البديع المحدث العجيب . و البديع المبدع . و أبدعت الشيء : اخترعته لا على مثال . و البديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء و إحداثه إيّاها و هو البديع الأول قبل كل شيء ، و يجوز أن يكون بمعنى مبدع أو يكون من بدع الخلق أي بدأه ، و الله تعالى كما قال سبحانه : بديع السموات و الأرض ؛ أي خالقها و مبدعها ، فهو سبحانه الخالق المخرع لا عن مثال سابق ، قال أبو إسحق : يعني أنه أنشأها على غير حذاء و لا مثال ... (١).

تعريف البديع في اصطلاح البلاغيين : علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال و وضوح الدلالة (٢) .

و هذا التعريف يجعل وظيفة فنون البديع في الأسلوب مقصورة على مجرد تحسينه و تنميته ، دون أن تكون من عوامل بلاغته . كما أنه يضع علم البديع في مرتبة دانية و مرحلة متأخرة بعد علمي المعاني و البيان ، فعلم المعاني مختص باعتبارات مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، و علم البيان مختص باعتبارات وضوح الدلالة ، و بمراعاة الاعتبارات المقررة في العلمين تتحقق بلاغة الكلام ، ثم تأتي فنون البديع بعد ذلك على الكلام البليغ لتكسوه رداء الحسن و تلبسه قلائد الزينة ، دون أن تكون أساسا في بلاغته .

(١) : لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور ، المجلد الثاني . ط ١ ، مرجع سابق ، مادة بدع ، ص ٣٧ .

(٢) : الإيضاح ، الخطيب القزويني ، مرجع سابق ، ٣٣٣ .

و هذه نظرة مجحفة بعلم كان البحث فيه الخطوة الأولى في مسيرة البلاغة ، و كثيرا ما أطلق عليها ، و ضم تحت رايته - لفترات طويلة - معظم فنون البلاغة ، و منها ما هو من علم المعاني ، و ما هو من علم البيان حسب مصطلحات المتأخرين ^(١) .

و الحق أن علم البديع له مدخل كبير في مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، إن استدعى المقام وجوده ، فربط الألوان البديعية بالمقام والسياق مهم في بلاغة الكلام ، و هذا ما سوف نلاحظه - بعون الله تعالى - في القادم من البحث .
و المحسنات البديعية عند البلاغيين على قسمين : معنوية و لفظية .

فالمحسنات المعنوية : هي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى المعنى أولاً ، و يتبع ذلك تحسين اللفظ ، و منها : الطباق و المشاكلة و التورية ... الخ .

و المحسنات اللفظية : هي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى اللفظ أولاً ، و يتبع ذلك تحسين المعنى ، و منها : الجناس و السجع و رد العجز على الصدر الخ ^(٢) .

منزلة البديع من الدراسات البلاغية :

بدأت الدراسات المنهجية في البلاغة العربية بدراسة فنون البديع على يد عبد الله ابن المعتز ٢٩٦ هـ ، و ذلك في كتابه " البديع " و مضت مسيرة البحث البلاغي عبر العصور الأدبية ، و نالت فيها فنون البديع جل اهتمام العلماء ، كما نرى في مؤلفات قدامة بن جعفر و أبي هلال العسكري و ابن رشيق و ابن سنان الخفاجي و غيرهم ، و كان البديع عندهم يطلق على معظم الصور البلاغية التي صنفت بعد ذلك في علوم ثلاثة : المعاني و البيان و البديع .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .

(٢) : الإيضاح ، الخطيب القزويني ، مرجع سابق ، ٣٣٣ .

ثم عصفت رياح الضعف الأدبي حاملة معها تيارا مفرقا في الصنعة مولعا بالتفنن و التشعيب في ألوانه الأصيلة . و ظهرت البديعيات و تفرغت عقول صائغيها لرصد كل الوشي البديعي صحيحه و عليه ، أصيله و دخيله ، فتراكم من ذلك كم هائل من فنون البديع منها ما له قيمة في التعبير ، و منها ما لا وزن له ، و منها ما تداخل مع غيره فلا يفترقان إلا في الاسم .

و من جراء ذلك تحول الفن التعبيري الجميل إلى زخرف شكلي و تلاعب لفظي ، و هذا مما هون من شأن البديع لدى المتأخرين من علماء البلاغة ، و أضعف من قيمته ، و اعتبروه حليه و زينة في الأسلوب ، و لا دخل له في بلاغة الكلام^(١) .

و يحمل الباحثون الخطيب القزويني تبعة إخراج البديع من الخصائص البلاغية التي تتوقف عليها بلاغة الكلام ، حيث عرف البلاغة بأنها " مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته " ^(٢) و بعد أن شرح التعريف و بين مراتب البلاغة قال : " و اعلم أنه يتبعها وجوه كثيرة غير راجعة إلى مطابقة مقتضى الحال ، و لا إلى الفصاحة ، تورث الكلام حسنا و قبولا " ^(٣) - يعني وجوه البديع - . و بهذا أخرج فنون البديع من تعريف البلاغة ؛ إذ عدها غير راجعة إلى مقتضى الحال و لا إلى الفصاحة ^(٤) .

و يرى بعض الباحثين أن الخطيب مقتد في هذا بالسكاكي ، الذي حصر البلاغة في علمي المعاني و البيان ، و بعد أن انتهى من شرح أبوابهما قال : " و إذ تقرر أن البلاغة بمرجعيها - المعاني و البيان - و أن الفصاحة بنوعيها - اللفظية و المعنوية - مما يكسو الكلام حلية التزيين ، و يرقيه أعلى درجات التحسين ، فههنا وجوه

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧ .

(٢) : الإيضاح ، القزويني ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

(٣) : المرجع السابق ، ١٨ .

(٤) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٥٨ .

مخصوصة كثيرا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نشير إلى الأعراف منها ، و هي قسمان : قسم يرجع إلى المعنى ، و قسم يرجع إلى اللفظ " (١) ، ثم مضى يشرح هذه الوجوه دون أن يطلق عليها اسم البديع (٢) .

" و يظهر أن أول من جعل هذه المسائل - مسائل البديع - علماً مستقلاً بدر الدين بن مالك في مصباحه ، حيث قسم البلاغة إلى ثلاثة فنون هي المعاني و البيان و البديع ، و هذا هو ما استقر عليه الأمر إلى يومنا هذا " (٣) ، و مضى في جل مباحثه على نهج السكاكي ، إلا أنه أعطى وجوه تحسين الكلام مزيدا من الأصالة ، و وضعها في مرتبة مباحث المعاني و البيان (٤) .

و المتأمل في فنون البديع يرى أن بعضها لا يزيد عن كونه حلية شكلية و تلاعبا لفظيا ، و هذه الفنون ينبغي طرحها و عدم الاعتداد بها ، و يرى أن كثيرا من فنون البديع له أثر جليل في الأسلوب شكلا و مضمونا ، فهذه الفنون لها قيمة و وزن في الكلام ، و تؤدي أغراضا لا توجد بدونها ، فنعتبرها من جوهر البلاغة و لبها و صورها الأصيلة ، و لا تقل قيمة عن التشبيه أو الاستعارة أو غيرهما من الصور التي جعلوها داخلة في حد البلاغة .

و هذا الرأي يؤيده و يؤكدُه عدة أمور منها :

- أن صور البديع تفيد أغراضا و قيما في التعبير لا يمكن إغفالها أو التقليل من قيمتها ، ففي الألوان البديعية ما يفيد التوضيح و التقرير ، و منها ما يفيد بيان

(١) : مفتاح العلوم ، السكاكي ، ط ١ ، (مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، د.ت) ، ٢٠٠ .

(٢) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٥٨ .

(٣) : البلاغة فنونها و أفنانها (علم البيان و البديع) ، فضل حسن عباس ، ط ١١ ، (عمان : دار الفرقان ، ٢٠٠٦ م) ، ص ٢٧٦ .

(٤) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٥٩ .

- الإمكان و المبالغة ، و منها ما يحقق التناسب و التلاؤم و تلاحم الأجزاء ، و قد تعرضت في بحثي لعدد كبير منها .
- بعض صور البديع تدخل في علم المعاني ، أو علم البيان ، و قد درسها بعض العلماء في مواطنها من هذين العلمين ، من ذلك : الالتفات ، و التذليل ، و التكميل ... الخ ، و هذه الصور تدخل في تعريف البلاغة عندما تدرس في أحد هذين العلمين ، فكيف لا تدخل في حد البلاغة إذا درست في علم البديع .
 - وردت فنون البديع في الأدب الجاهلي و الإسلامي شعره و نثره ، و استخدمها العرب الخالص في التعبير عن أغراضهم كغيرها من طرق التعبير بطريقة فطرية لا تستند إلى قواعد ، فجاء في أساليبهم التشبيه و القصر و الاستعارة بجوار الطباق و السجع و الجناس دون فرق ، فالحكم على الأساليب الأولى بالذاتية و الأخرى بالعرضية حكم غير صحيح ؛ لأن جميعها عند الناطقين بها من طرق التعبير التي يؤدون بها معانيهم .
 - يشتمل القرآن الكريم على قدر كبير من فنون البديع ، و قد جاءت فيه على نهجه المعجز ، لا تختلف في سمو بلاغتها عن بقية الأساليب و الصور القرآنية ، و الحكم على فنون البديع بالعرضية يعني اشتغال النظم القرآني ، على حلّ عرضية ، و هذا اتهام تدحضه البلاغة القرآنية العالية التي أعجزت الإنس و الجن .
 - سلك الشيخ عبد القاهر الجرجاني المزاجية ، و التقسيم ، و التشبيه المتعدد في سلك واحد حين جعلها من النظم العالي الذي يتحد في الوضع و يدق فيه الصنع^(١) ، فهو لا يفرق في النظم بين لون بديعي و لون بياني ما دام كل منهما يزيد من حسن النظم و يرفع من شأنه و يعلي من قيمته .
 - لا يصح الحكم على الفنون البديعية احتجاجا بما لها من أثر شكلي في الأسلوب ، لأن وراء هذا الأثر الشكلي أغراضا معنوية هي المقدمة في الحكم عليها بالحسن ، و قد أكد الشيخ عبد القاهر على أن الحسن في هذه الفنون راجع إلى المعنى أولا ،

(١) : انظر : دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه و علق عليه : محمود محمد شاكر ، ط ٣ ،

(مصر : مطبعة المدني ، ١٤١٣ هـ) ، ص ٩٣-١٠٥ .

و ضرب أمثلة بالطباق و التجنيس و السجع بين فيها أن حسنها راجع إلى ما لها من آثار معنوية ، و أن الحكم عليها ينبغي أن يكون من خلال المعنى ^(١) .

و بناءً على ما سبق نرى أن فنون البديع إذا جاءت غير متكلفة و كان لها أثر في الأسلوب يقتضيه المقام فإنها تكون محسناً ذاتياً و لا فرق بينها و بين الصور البلاغية الأخرى التي تدخل في علمي المعاني و البيان ^(٢) .

و قد ركزت في تناولي لألوان البديع على تعريف تلك الألوان ، و الكشف عن سرِّ بلاغتها ، و بيان أثرها في المعنى و قيمتها في الأسلوب .

و أرجو أن يكون هذا البحث مزيلاً لبعض ما تراكم من غبار على ألوان البديع و معيناً على كشف لطائفها و تذوق حسنها و جمالها ، و باعثاً على مواصلة البحث في أفنانها الوارفة .

و لعله قد اتضح فيما تقدم معنى الحديث القدسي ، و الفرق بينه و بين القرآن الكريم ، و بينه و بين الحديث النبوي ، و تعريف البديع و منزلته بين الدراسات البلاغية . و فيما يلي ندخل إلى صلب الموضوع و هو تحليل الصور البديعية في تلك الأحاديث القدسية .

(١) : انظر : أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه و علق عليه : محمود محمد شاكر ، ط ١ ، (مصر : مطبعة المدني ، ١٤١٢ هـ) ، ص ٥ - ١٨ .

(٢) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٦١ - ٢٦٦ .

الفصل الأول

الألوان البديعية المعنوية في الأحاديث القدسية ،

و قيمتها البلاغية ، و يتضمن :

- ❖ المبحث الأول : الطباق و المقابلة .
- ❖ المبحث الثاني : المشاكلة .
- ❖ المبحث الثالث : التورية .
- ❖ المبحث الرابع : المبالغة .
- ❖ المبحث الخامس : مراعاة النظر .
- ❖ المبحث السادس : الجمع و التقسيم .
- ❖ المبحث السابع : حسن الابتداء و حسن الانتهاء .

المبحث الأول :

أولاً : الطباق.

ثانياً : المقابلة.

أولاً : الطباق .

التعريف باللون البديعي :

و الطباق عند ابن أبي الإصبع المصري : " الطباق اللغوي الذي أخذ منه الصناعي هو قول العرب : طابق البعير في مشيه إذا وضع خفَّ رجله موضع خف يده ، و قد رد ابن الأثير على كل من أَلَّف في الصناعة هذا الباب ، وقال : إن الجمع من تسميتهم الضدين في هذا الباب خطأ محض ؛ لأن أصل الاشتقاق يقتضي الموافقة لا المُضادَّة ، و هو أولى بالخطأ منهم ؛ لأن القوم رأوا أن البعير قد جمع بين الرجل و اليد في موطنٍ واحد ، و الرجل و اليد ضدان ، أو في معنى الضدين ، فرأوا أن الكلام الذي قد جمع فيه بين الضدين يحسن أن يسمى مطابقاً لأن المتكلم به طابق فيه بين الضدين " (١) .

و المطابقة عند السكاكي : " هي أن تجمع بين متضادّين " (٢) .

و المطابقة عند الخطيب القزويني : " هي الجمع بين المتضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة " (٣) .

و فسّر سعد الدين التفتازاني قول الخطيب السابق : " أي يكون بينهما تقابل و تناف و لو في بعض الصور ، سواء كان التقابل حقيقاً أو اعتبارياً ، و سواء كان تقابل

(١) : تحرير التحرير في صناعة الشعر و النشر و بيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري ، تقدّم و تحقيق : حنفي محمدشرف ، يشرف على إصدارها : محمد توفيق عويضة ، الجمهورية العربية المتحدة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث ، د . ط . د . ن ، د . ت ، ١١١ .

(٢) : مفتاح العلوم ، السكاكي ، مرجع سابق ، ٢٠٠ .

(٣) : الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، مرجع سابق ،

التضاد ، أو تقابل الإيجاب و السلب ، أو تقابل العدم و الملكة ، أو تقابل التضاييف ، أو ما يشبه شيئاً من ذلك " (١) .

و شرح ابن يعقوب قول الخطيب بقوله : " (الجمع) أي هو أن تجمع (بين متضادين) في كلام واحد ، أو ما هو كالكلام الواحد في الاتصال ، و لما كان المراد بالتضاد هنا و جود مطلق التقابل و التنافي لا التضاد الذي هو أن يكون بين شيئين وجود بين غاية الاختلاف فسّر المتضادين بقوله : (أي معنيين متقابلين في الجملة) أي من غير تفصيل في ذلك التقابل و التنافي بأن يعين مقداره من كونه فيما بين معنيين كالنقيضين أو الضدين أو غير ذلك . . . " (٢) .

و شرح أيضا بهاء الدين السبكي قول الخطيب فقال : " قوله : (و هي) أي المطابقة (الجمع) أي في الذكر (بين متضادين) أي معنيين متضادين ، و المراد بالمتضادين المتقابلان في الجملة ، أي : سواء أكان التقابل من وجه ما أم من كل وجه ، و سواء أكان التقابل حقيقاً أم اعتبارياً ، و سواء أكان بين وجوديين كما هي في حقيقة التضاد أم بين وجودي و عدمي أو عدميين ، فإن قوله تعالى ﴿ و لكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ﴾ ليس فيه تقابل حقيقة بين العلم المنفي و العلم المثبت في الآية ، و لكن بينهما تقابل في الجملة إذا أخذنا على الإطلاق ، كذا قالوه و فيه نظر ؛ لأنهما إذا أخذنا على الإطلاق كان بينهما تناقض لا تضاد ، و يمكن الجواب بأنه إذا كان المراد بالتضاد التقابل فهو بين النقيضين أوضح ، و قد جمع بين الحقيقي و غيره في قوله :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة*** و من إساءة أهل الشرّ إحسانا

(١) : شروح التلخيص ، تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ، سعد الدين التفتازاني ، ج٤ ، ٢٨٦-٢٨٧ .

(٢) : شروح التلخيص ، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، ابن يعقوب المغربي ، ج٤ ، ٢٨٦-

فمقابلة الإحسان بالإساءة حقيقية و مقابلة الظلم بالمغفرة غير حقيقية ، ... " (١) .

و ذكر الدسوقي على شرح سعد الدين : " (قوله الجمع بين متضادين) أي في كلام واحد ، أو ما هو كالكلام الواحد في الاتصال ، و قوله : بين متضادين أخذ بالأقل ، كما في قولهم : الكلام ما تضمن كلمتين بالإسناد و إلا فالجمع بين الأمور المتضادة مطابقة و لو كثرت تلك المتضادات . (قوله : و تناف أي معنيين متقابلين) لما كان يتوهم أن المراد بالمتضادين هنا خصوص الأمرين الوجوديين المتواردين على محل واحد بينهما غاية الخلاف كالسواد و البياض و ليس ذلك شرطا بين المصنف أن المراد بالمتضادين هنا ما هو أعم من ذلك أعني الأمرين اللذين بينهما تقابل و تناف . (قوله : في الجملة) أي و لو في الجملة فليس التنافي في بعض الأحوال شرطا بدليل التعميم . (قوله : و تناف) تفسير لما قبله (قوله : و لو في بعض الصور) أي و لو في بعض الأحوال و من المعلوم أن المتقابلين في بعض الأحوال ، إنما يكون التنافي بينهما باعتبار ذلك البعض فلذا قال : لبيان عموم التقابل سواء كان التقابل حقيقيا الخ (قوله : و لو في بعض الصور) أي كما في الاعتباري ، فإن التنافي فيه باعتبار المتعلق (قوله : سواء كان التقابل حقيقيا) أي كتقابل الأمرين اللذين بينهما غاية الخلاف لذاتيهما كتقابل القدم و الحدوث (قوله : أو اعتباريا) أي كتقابل الإحياء و الإماتة فإنهما لا يتقابلان إلا باعتبار بعض الأحوال و هو أن يتعلق الإحياء بحياة جرم في وقت الإماتة بإماتته في ذلك الوقت و إلا فلا تقابل بينهما باعتبار أنفسهما و لا باعتبار المتعلق عند تعدد الوقت ، (قوله : و سواء كان) أي التقابل الحقيقي تقابل التضاد كتقابل الحركة و السكون على الجرم الموجود بناء على أنهما وجوديان (قوله : أو تقابل الإيجاب و السلب) أي كتقابل مطلق الوجود و سلبه (قوله : أو تقابل العدم و الملكة) أي كتقابل العمى و البصر و القدرة و العجز بناء على أن العجز نفى القدرة عن شأنه الاتصاف بها (قوله : أو تقابل التضاييف) أي كتقابل الأبوة و البنوة و

(١) : شروح التلخيص ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، بهاء الدين السبكي ، ج٤ ، ٢٨٦ -

قيل : إن الجمع بين الأبوة و البنوة من باب مراعاة النظير لا من المطابقة ، ورد بأن مراعاة النظير الجمع بين أمور لا تنافي فيها كالشمس و القمر بخلاف ما فيه التنافي كالأبوة و البنوة (قوله : أو ما يشبه شيئاً من ذلك) أي أو تقابل ما يشبه شيئاً مما ذكر مما يشعر بالتنافي لاشتماله بوجه ما على ما يوجب التنافي كهاتا و تلك في قوله :
 مها الوحش إلا أن هاتا أو انس*** قنا الخط إلا أن تلك ذوابل
 لما في هاتا من القرب و تلك من البعد و كما في قوله تعالى ﴿ أغرقوا فأدخلوا ناراً ﴾ لما يشعر به الإغراق من الماء المشتمل على البرودة غالباً و ما يشعر به إدخال النار من حرارة النار" (١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي المعنوي " الطباق " ، و قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، حاشية الدسوقي على شرح السعد ، ٢٨٦-٢٨٧ .

الحديث الأول :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَشْرَمٍ . أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ زَائِدَةَ بْنِ نُشَيْطٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْوَالِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : (يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غَنَى وَأَسَدُ فَفَرَكَ ، وَإِلَّا تَفَعَّلَ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدُّ فَفَرَكَ) .

قال : هذا حديث حسنٌ غريبٌ ، و أبو خالدٍ الواليُّ اسمه هُرْمُزٌ^(١) .

المضمون العام للحديث :

وضَّح الحديث القدسي السابق فضل تفرُّغ القلب لعبادة الله و التوكل عليه ، حيث بدأ الحديث ببناء من الله ﷻ لابن آدم ، و في ذلك إشارة إلى العموم و الشمول و لم يخصَّ الله تعالى المسلم فقط ، حيث أمره الله بأن يتفرغ لعبادته و يترك انشغاله بالدنيا ، و إن فعل ابن آدم ذلك ملأ الله ﷻ صدره بالغنى أي " بالإيمان ... و بالقناعة و الرضا بالرزق المقسوم و بالزهد بالدنيا ، و عدم التعلق بزهرتها الفانية ، فمن خرج حب الدنيا من قلبه و غنى بربه كان أسعد الناس ؛ لأنه سلك سبيل النجاة يوم الدين " ^(٢) ، و كذلك سدَّ الله فقره " أي أصلح فقره بأن أرضيك به بحيث لا يحصل

(١) : سنن الترمذي ، إعداد : الشيخ هشام سمير البخاري ، د.ط ، ج٤ ، كتاب صفة القيامة ، باب

٣٠ ، رقم الحديث : ٢٤٧١ ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٥ هـ) ، ٦٤٢-٦٤٣ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، لأصحاب الفضيلة العلماء - الإمام / ابن شرف

النووي ، و شيخ الإسلام / ابن تيمية ، و الإمام / ابن القيم الجوزية ، و الشيخ عبد العزيز بن باز . و

الشيخ / محمد العثيمين ، و الشيخ / صالح آل الشيخ ، و الشيخ / عبد العزيز الراجحي ، جمع و ترتيب :

محمد سيد فرح ، ج٢ ، مرجع سابق ، ٦ .

لك ضجر ، و بفتح أبواب الرزق لك ، و إفاضة الخير عليك ، و جعل البركة فيما قسم لك ، فلا تحمل هم معاشك ؛ لأن الله تعالى تكفل لك برزقك " (١) .

و إن لم يتفرغ العبد لعبادة الله فهذا تهديد من الله وَعَلَى بأن يملأ يديه شغلا أي " جعلتك مشغولا بدنياك جميع أوقاتك ، و أتعبتك في طلب الدنيا ، و جعلتك تلهث خلفها ليلك و نهارك بلا راحة و لا هناء " (٢) ، و لم يسد الله فقره " أي تستمر فقير القلب منهمكاً في طلب الدنيا ، و إن كنت غنياً من المال " (٣) .

موضع الشاهد :

- (... تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي ، أَمَلْ صَدْرَكَ غِنَى ...) .
- (... وَأَسُدُّ فَقْرَكَ ، وَلَمْ أَسُدُّ فَقْرَكَ ...) .
- (... أَمَلْ صَدْرَكَ غِنَى ، وَأَسُدُّ فَقْرَكَ ...) .

التحليل البلاغي :

تكرر الطباق في الحديث السابق ثلاث مرات بأشكالٍ مختلفة ، حيث نجد بين الفعلين : (تَفَرَّغْ ، أَمَلْ) ، و كذلك الفعلين : (أَسُدُّ فَقْرَكَ ، وَلَمْ أَسُدُّ فَقْرَكَ) ، و بين الاسمين : (غِنَى ، وَفَقْرَكَ) ، " و ما من ريب في أن الجمع بين الأمور المتضادة يكسو الكلام جمالاً و يزيد بهاءً و رونقاً . فالضد - كما قالوا - يظهر حسنه الضد ، و لكن وظيفة الطباق لا تقف عند هذا الزخرف و تلك الزينة الشكلية بل

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٧ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٨ .

تتعداها إلى غايات أسمى ، فلا بد أن يكون هناك معنى لطيف و مغزى دقيق وراء جمع الضدين في إطار واحد و إلا كان هذا الجمع عبثاً و ضرباً من الهديان ... " (١) .

و حاشا أن يكون ﷺ قد جمع بينها عبثاً ، إلا أنه كان وراء انتقائه ﷺ لتلك الألفاظ و جمعه بين الأمور المتضادة سرُّ بلاغي وضَّحَّ به المعنى و أظهره و أكَّده و عمل على تقويته و إبرازه ، فعندما جمع بين الفراغ و الامتلاء قَرَّب و قرَّر المعنى في ذهن السامع ، فالإنسان المتفرغ لعبادة الله يملأ الله ﷻ قلبه غنى و المقصود بالغنى ليس المال إنما القناعة و الرضا بما قسم الله له و يسد فقره .

و عند جمع الرسول ﷺ بين : (أَسُدُّ فَفَرِّكَ ، وَلَمْ أَسُدُّ فَفَرِّكَ) أتى بعبارتين متشابهتين إلا أنه سبق الثانية بحرف نفي و هذا يسمى طباق سلب (٢) ، فقد عمل ﷺ على تقريب المعنى في ذهن السامع و تقريره ، فالأولى يسد فقره بالألا يحتاج إلى أحدٍ ، و تشبع نفسه وتزهد بالدنيا ، و الثانية لم يسد فقره بمعنى لا يشبع من حطام الدنيا لانهماكه فيه بحيث يكون دائماً محتاجاً فيها ، ظاهره الفقر و إن كان لديه مال كثير .

و لهذا فإن حقيقة الغنى إنما هي القناعة التي يقذفها الله تعالى في قلوب من شاء من عباده ، فيرضون معها بما قسم الله ، و لا يتطلعون إلى مطامع الدنيا أو يلهثون وراءها لهث الحريص عليها المستكثر منها .

و يظهر مما سبق قيمة الطباق البلاغية حيث أسهم في إيضاح المعاني و تقريبها إلى النفوس ، و ليس هو مجرد حلية لفظية و زينة شكلية .

(١) : علم البديع ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، ط ٣ ، (القاهرة : مؤسسة المختار ، ١٤٣١هـ) ، ١٣٩ .

(٢) : طباق السلب : هو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت و منفي ، أو أمرٍ و نهي ، (الإيضاح ،

الحديث الثاني :

حدثنا أبو جعفر السَّمْنَانِي حدثنا أبو مُسَهَّرٍ حدثنا إسماعيل بن عِيَّاشٍ عن بحير بن سعد عن خالد بن مَعْدَانَ عن جُبَيْرِ بن نُفَيْرٍ عن أبي الدَّرْدَاءِ أو أبي ذَرٍّ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (عَنِ اللَّهِ عِزُّ وَجَلٌّ أَنَّهُ قَالَ : ابْنُ آدَمَ ارْكَعْ لِي مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَكْفِكَ آخِرَهُ) .

قال أبو عيسى هذا حديث [حسن] غريب (١) .

المضمون العام للحديث :

إنَّ التأمُّل في مثل هذه الأحاديث القدسية العظيمة تبعث في قلب المؤمن معاني إيمانية عظيمة ، فقد وَضَّحَ ﷺ في هذا الحديث القدسي فضل صلاة الضحى ، و ممَّا لا شك فيه أَنَّ صلاة الضحى من الصلوات التي حثَّ عليها رسول الله ﷺ فهي صلاة الأوابين ، فعلها يسير و فضلها عظيم و ثوابها جزيل .

فقد قال الله ﷻ (ابْنُ آدَمَ) للعموم و الشمول و لم يخص المؤمن فقط ، (ارْكَعْ لِي) بمعنى صلِّ لي خالصاً لوجهي ، (مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ) أي منذ شروق الشمس ، (أَكْفِكَ آخِرَهُ) بمعنى يكفيه الله ﷻ شرور آخر النهار الحسية كالآفات أو

(١) : سنن الترمذي ، إعداد : الشيخ هشام سمير البخاري ، ج٢ ، كتاب الوتر ، باب ١٥ ، رقم

الحديث : ٤٧٤ ، مرجع سابق ، ٣٤٠ .

الشور المعنوية كحفظه من شرور المعاصي ^(١) ، و تعني أيضاً : أفرغ بالك بعبادتي في أول النهار أفرغ بالك في آخره بقضاء حوائجك ^(٢) .

موضع الشاهد :

(... اَرْكَعْ لِي مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَكْفِكَ آخِرَهُ) .

التحليل البلاغي :

تظهر لي بلاغة الطباق في الحديث القدسي السابق من ناحيتين : لفظية و معنوية ، فأما اللفظية فتتضح من خلال جمع الرسول ﷺ للاسمين : (أَوَّلِ النَّهَارِ) ، (آخِرَهُ) ، فعندما جمع الرسول ﷺ بين الاسمين جعل ذهن المتلقي أكثر تركيزاً و شد انتباهه لفضل صلاة الضحى و مدى عظم أجرها لمن أداها خالصة لوجهه الكريم ، فكان أسلوبه ﷺ سلساً يكسوه الجزالة و الفخامة .

و من الناحية المعنوية فعند جمع الرسول ﷺ بين الضدين حقق إيضاح المعنى و تأكيده و تقويته ، ففضل صلاة الضحى عظيم ، أيّاً كان عدد الركعات ، المحددة في هذا الحديث بأربع ركعات ، فصلاة الضحى سبب من أسباب كفاية العبد من كل شر ، و أدى فيحفظه الله ﷻ من جهتين : من جهة دنياه : فيحفظ بدنه و ولده و عقله و ماله ، و يتمتع بصحته و عافيته و سمعه و بصره و يحفظ ذريته من بعده ، و من جهة أخرى يحفظ دينه و إيمانه ، و أيضاً تعد سبباً من أسباب قضاء الحوائج ، فحريّ بالمؤمن المداومة عليها كي ينال هذا الثواب العظيم .

(١) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، د . ط ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) ، ١٠٧ .
 (٢) : انظر : معارف السنن شرح سنن الترمذي ، محمد يوسف بن السيد محمد الحسيني البنوري ، ط ٣ ، ٤٤ ، (باكستان : د.ن ، ١٤١٣ هـ) ، ٢٧١ - ٢٧٢ . / و أيضاً : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج١ ، مرجع سابق ، ٢٧٢ .

فيتضح مما سبق أنّ الطباق لم يأتِ مصنوعاً متكلفاً مجرد وشي بديعي و تلاعب
لفظي بمنأى عن البلاغة ، بل له قيمة بلاغية لا تنهاى .

الحديث الثالث :

حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَفُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ كِلَاهُمَا عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ (وَ اللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ) حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ زَوْيَ لِي الْأَرْضِ . فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا . وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا . وَأُعْطِيَتْ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ . وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ عَامَةٍ . وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ . فَيَسْتَبِيحَ بِيضَتَهُمْ . وَإِنَّ رَبِّي قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قِضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ . وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ عَامَةٍ . وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ . يَسْتَبِيحُ بِيضَتَهُمْ . وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا) (١) .

المضمون العام للحديث :

وَضَحَّ الحَدِيثُ القَدْسِي تَحْرِيمَ القِتَالِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ ، وَ إِهْلَاكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَ سَبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَ أَنَّهُمْ يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا أُمَّةً وَاحِدَةً حَتَّى تَبْقَى هَيْبَتُهُمْ بَيْنَ النَّاسِ وَ تَخْشَاهُمُ الْأُمَّةُ (٢) .

فَمَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ : " (إِنَّ اللَّهَ زَوْيَ لِي الْأَرْضِ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيَتْ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ) ، أَمَا

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ٤ ، ج ١٨ ، كتاب الفتن و
أشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، رقم الحديث : ٢٨٨٩ ، (لبنان : دار الكتب العلمية
، ٢٠١٠ م) ، ١١-١٢ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ٢٦٣ .

زَوَى فمعناه جَمَعَ ، و هذا الحديث فيه معجزات ظاهرة ، و قد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به ﷺ ، قال العلماء : المراد بالكنزين الذهب و الفضة و المراد كنزي كسرى و قيصر ملكي العراق و الشام فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق و المغرب و هكذا وقع و أما في جهتي الجنوب و الشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق و المغرب " (١) .

و قوله : (وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ عَامَّةٍ) و المعنى بمهلكة عامة ، (وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بِيُضَتَّهُمْ) أي : لا يسلط عليهم عدوًّا ، و العدو هو المعادي المبغض الحاقد ، و أعداء المسلمين هنا : هم الكفار ، و لهذا قال : (مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ) . و معنى (يَسْتَبِيحُ) : يستحل ، و البيضة : ما يجعل على الرأس من وقاية من السهام . و المراد يظهر عليهم و يغلبهم (٢) .

و قوله : (إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ) ، من كمال سلطان الله و قدرته و ربوبيته ما هو ظاهر ؛ ما من ملك سوى الله إلا يمكن أن يرد ما قضى به (٣) .

و قوله ﷺ : (... وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ عَامَّةٍ ...) ، " أي لا أهلكهم بقحط يعمهم بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام فله الحمد و الشكر على جميع نعمه " (٤) .

(١) : انظر : صحيح مسلم ، بشرح النووي ، ج ١٨ ، كتاب الفتن و أشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، مرجع سابق ، ١١ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٣) : المرجع السابق ، ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٤) : انظر : صحيح مسلم ، بشرح النووي ، ج ١٨ ، كتاب الفتن و أشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، مرجع سابق ، ١٢ .

و قوله ﷺ : (وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ . يَسْتَبِيحُ بِيَضَّتْهُمْ . وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا) ، و هذه من نعم الله ﷻ أن هذه الأمة لن تهلك بسنة بعامة أبدًا ؛ فكل من يدين بدين الرسول ﷺ ، فإنه لن يهلك ، و إن هلك قوم في جهة بسنة ؛ فإنه لا يهلك الآخرون فإذا صار بعضهم يقتل و يسبي بعضهم بعضًا ؛ فإنه سلط عليهم عدو من سوى أنفسهم " (١) .

موضع الشاهد :

(... فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَ مَغَارِبَهَا ...) .

(... وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَ الْأَبْيَضَ ...) .

التحليل البلاغي :

جمع الرسول ﷺ بين الاسمين : (مَشَارِقَهَا وَ مَغَارِبَهَا) ، و قد أتى بهما على صيغة الجمع لكثرة الغارب و الطالع من الكواكب ، فهذا دليل من دلائل النبوة ، و لم يأت ﷺ بالشمال و الجنوب ، و هنا يكمن السرُّ البلاغي من وجود الطباق ؛ و ذلك لأن الفتوحات الإسلامية من المشرق إلى السند و الهند و ما وراء ذلك ، و من المغرب إلى ما وراء المحيط .

ف عند جمع الرسول ﷺ للضدين : (مَشَارِقَهَا وَ مَغَارِبَهَا) أسهم ذلك في إيضاح المعنى و تأكيده و تقويته ، فليس وجوده كحلية لفظية و وشي بديعي ، لاسيما و قد استخدم صيغة منتهى الجموع التي أكسبت العبارة جرسًا موسيقيًا زانًا إضافة إلى ما لها من معنى أنيق .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج١ ، مرجع سابق ، ٢٦٢ - ٢٦٣ .

و يعد قوله ﷺ : (... وَأُعْطِيَتْ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ ...) طباق تدييج^(١) ، حيث استخدم ﷺ اللونين الأحمر و الأبيض كناية عن الذهب و الفضة ، فالمراد بالكنزين : الأموال النفيسة ، وخصَّ بذكر اللونين (الأحمر و الأبيض) ليس عبثاً ، إنما هما الذهب و الفضة كنوز كسرى و قيصر ، فالذهب عند قيصر و الفضة عند كسرى .

و قوله : (أُعْطِيَتْ) حيث ورد الفعل مبنياً للمجهول ، و العطاء كان بعد موته ﷺ فالمعطى لأمة ﷺ كالمعطى له ﷺ ؛ لأنه امتداد ملك الأمة ، لا لأنها أمة عربية كما يقول الجهال ، بل لأنها أمة إسلامية أخذت بما كان عليه الرسول ﷺ^(٢) ، فقد مات ﷺ قبل أن ينال شيئاً من كنوزها ، إنما فتح الله ﷻ لهذه الأمة و أعطهاها و مكَّنها في الأرض بعد وفاته ﷺ بفضل الفتوحات الإسلامية التي كان وراءها الخلفاء الراشدون و من بعدهم من المسلمين .

فهنا نلاحظ جمال طباق التدييج فعندما قال ﷺ : (وَأُعْطِيَتْ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ) تحقَّق سرُّ بلاغي و هو شد الانتباه و تشويق المتلقي و إثارة الذهن ، لم يتحقق ذلك لو قال : ﷺ (و أعطيت الكنزين الذهب و الفضة) .

(١) : طباق التدييج : هو أن يذكر في معنى من المدح أو غيره ألواناً بقصد الكناية أو التورية ، (الإيضاح ، مرجع سابق ٣٣٧) .

(٢) : انظر : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج١ ، مرجع سابق ، ٢٥٩ - ٢٦٠ .

الحديث الرابع :

حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) ^(١) .

المضمون العام للحديث :

بدأ الحديث القدسي السابق بقوله ﷺ عن الله عزَّ وجلَّ : (يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ) " بمعنى يعاملني معاملة توجب الأذى " ^(٢) ، و ذكر (ابنُ آدَمَ) فُقِصِدَ به العموم و الشمول للذكور و الإناث ، (يَسُبُّ الدَّهْرَ) : " الجملة تعليل للأذية أو تفسير لها ، أي بكونه يسبُّ الدهر ، أي يشتمه و يقبحه و يلومه ، و ربما يلعنه و العياذ بالله يؤذي الله ، و الدهر : الزمن و الوقت " ^(٣) .

" و سبُّ الدهرٍ ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يقصد الخبر المحض دون اللوم ، فهذا جائز .

الثاني : أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل ، كأن يعتقد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير و الشر ، فهذا شرك أكبر .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ط ٢ ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، سورة الجاثية ، باب و ما

يهلكنا إلا الدهر ، رقم الحديث : ٤٥٠٨ ، مرجع سابق ، ٨٨-٨٩ .

(٢) : المرجع سابق ، ٨٩ .

(٣) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ١٣٣ .

الثالث : أن يسب الدهر لا لاعتقاد أنه هو الفاعل ، بل يعتقد أن الله هو الفاعل لكن يسبه لأنه محل لهذا المكروه عنده ، فهذا محرم ، و لا يصل إلى درجة الشرك " (١) .

و معنى قوله (**وَ أَنَا الدَّهْرُ**) : " معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر فإذا سبَّ ابن آدم الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبُّه إليّ لأني فاعلها ، وإنما الدهر زمان جعلته ظرفاً لمواقع الأمور ، و كان من عادتهم إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر (و قالوا ما يهلكنا إلا الدهر) و سبوه و قالوا بؤساً للدهر و تبّاً له إذ كانوا لا يعرفون للدهر خالقاً و يرونه أزليّاً أبديّاً و لذا سموا بالدهرية فأعلم سبحانه و تعالى أن الدهر محدث يقبله بين ليل و نهار لا فعل له من خير و شر لكنه ظرف للحوادث التي يحدثها الله و ينشئها " (٢) .

و قوله (**بِيَدِي الأَمْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ**) : " تقلب الشيء تغييره و تحويله من حال إلى حال ؛ أي أحول الظلام ضياء ، و الضياء ظلاماً ... و تقلب الأمور تديرها و النظر فيها و من تديره سبحانه في خلقه خلق الليل و النهار ، و ضبط حركتهما بنظام متقن بديع ، و تصريفهما بما يقوم به حياة الخلق و يصلح على هدية معاشهم ... " (٣) .

موضع الشاهد :

(... أَقْلَبُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ) .

-
- (١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج١ ، مرجع سابق ، ١٣٣ .
 (٢) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ط ٢ ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، سورة الجاثية ، باب و ما يهلكنا إلا الدهر ، مرجع سابق ، ٨٩ .
 (٣) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج١ ، مرجع سابق ، ١٣٦ .

التحليل البلاغي :

جمع الرسول ﷺ في الحديث السابق بين الاسمين : (اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ) ، و كان بينهما طباق إيجاب ، و السرُّ وراء وجود الطباق هنا ليس زحرفاً شكلياً و زينة لفظية بل إن المعنى هو الذي قاده و استدعاه و طلبه .

فعندما جمع الرسول ﷺ بين هذين اللفظين اتضح - للباحثة - عدة أمور منها :

- دفع الشبهة أن يكون الدهر هو الله ، أو اسم من أسمائه يدعى به ، لمن فهم اللفظ على ظاهره ، فالله ﷻ صاحب الدهر المدبر لشؤونه المتصرف و المتحكم به .
- بيان أن الليل و النهار هما جزء من أجزاء الكون الذي خلقه الله سبحانه بنظام بديع دقيق ، يقلبهما الله بمحض إرادته و درأيته ، فالليل و النهار يُقَلَّبَانِ من طول إلى قصر إلى تساوٍ ، و الحوادث أيضاً تتقلب فيه في الساعة و اليوم و الأسبوع و الشهر و السنة ... ، فما يجري فيهما من خير أو شر بإرادة الله و تدبيره و بعلم منه تعالى و حكمة ، لا يشاركه في ذلك غيره ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن ، فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين ، و حسن الظن به سبحانه .

فيظهر لي أن الطباق أدَّى إلى وضوح المعنى و إبرازه ، فلولا وجود الطباق بين : (اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ) لما اتضحت كثير من المعاني ، فالطباق أسهم في تلاحم المعاني و ترابطها و كشفها و إظهارها .

الحديث الخامس :

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ عَنِ الْحُسَيْنِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ حَكِيمِ الضَّبِّيِّ قَالَ : إِنَّهُ خَافَ مَنْ زِيَادٍ أَوْ ابْنَ زِيَادٍ ، فَأَتَى الْمَدِينَةَ ، فَلَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ فَسَبَّيْنِي [فَانْتَسَبْتُ لَهُ] ، فَقَالَ : يَا فَتَى أَلَا أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا ؟ قَالَ : قُلْتُ بَلَى رَحِمَكَ اللَّهُ ، قَالَ يُونُسُ : وَ أَحْسَبُهُ ذَكَرَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ : الصَّلَاةُ ، قَالَ يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَ عَزَّ لِمَلَائِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ : انظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا ، فَإِنْ كَانَتْ تَامَةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَةً ، وَإِنْ كَانَ انتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ : انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ : أَتَمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَاكُمْ)^(١).

المضمون العام للحديث :

بيّن الحديث القدسي السابق أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة و عظم قدر الصلاة .

فقد بدأ ﷺ الحديث بقوله : (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الصَّلَاةُ) فقد جاء بيان المشددة لتأكيد الخبر الذي جاء به ، كيف لا ؟ و تلك الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادة ، وهي عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين ، و الصلاة ليست مجرد حركات و سكنات بل هي صلة و قربى من العبد لله ، و يُلاحظ استخدام الرسول ﷺ للفظ (الناس) و لم

(١) : سنن أبي داود ، إعداد و تعليق : عزت عبيد العاس و عادل السيد ، ط ١ ، ج ١ ، كتاب الصلاة ، باب قول النبي ﷺ : (كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه) ، رقم الحديث : ٨٦٤ ، (بيروت : دار ابن حزم ، ١٤١٨هـ) ، ٣٧٨-٣٧٩ .

يقول إن أول ما يحاسب به المؤمنون أو المسلمون بل قال الناس للعموم و الشمول ،
فالصلاة فرض على كل إنسان .

ثم دار الحوار بين الله ﷻ و ملائكة : (يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَ عَزَّ لِمَلَائِكَتِهِ وَهُوَ
أَعْلَمُ : انظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا ...) ، فالله ﷻ يسأل ملائكته -
و هو أعلم بعباده من هؤلاء الملائكة - : انظروا في صلاة عبدي (أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا)
هل كانت صلاة عبدي تامة أم ناقصة ؟ فإن أخلص العبد النية لله و أدَّى الصلاة تامة
الأركان و الواجبات بطهارة و استقبال القبلة و ستر العورة و خشوع و خضوع
و طمأنينة و استحضار للذهن و القلب ... كتبت تامة ، و إن انتقص الإنسان بأداء
هذا الفرض من حيث الأركان و الواجبات ، يُنظر هل للعبد من تطوع ؟ هل له
نوافل ؟ فإن وُجِدَ شيء من ذلك تكمل و تتم بها الفرائض ، ثم ذكر (تُوَخِّدُ الْأَعْمَالُ
عَلَى ذَاكُمْ) بمعنى الزكاة و الصوم ^(١) .

موضع الشاهد :

- (... أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا ...) .
- (وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ : انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ ؟ فَإِنْ
كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ : أَتَمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ ...) .

التحليل البلاغي :

جمع الرسول ﷺ بين الفعلين : (أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا) و (انْتَقَصَ ... أَتَمُّوا)
و هو طباق إيجاب ، و قد جيء بهما بالزمن الماضي للدلالة على الثبات و
الاستقرار ، بخلاف الأخير جاء به بصيغة الأمر ؛ فهو أمر من الله ﷻ لملائكة ،

(١) : انظر : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج١ ، مرجع سابق ، ٢٧٣ - ٢٩٢ .

و السرُّ البلاغي من الطباق يكمن في توضيح الرسول ﷺ عظم قدر الصلاة المفروضة و فضل صلاة التطوع .

فأراد الرسول ﷺ أن يبين عن طريق الطباق أنَّ الإنسان المؤدي للصلاة المفروضة تأدية تامة شاملة كاملة الأركان و الواجبات و الخشوع و الخضوع ، تأدية تامة كصلاته ﷺ ، كتبت تامة ، و إن انتقص منها شيء فهناك ما يسمى بصلاة التطوع حيث تجبر النقص الذي بدا بالصلاة المفروضة ، فهذا " من فضل الله ﷻ و رحمته و نعمته و إحسانه أن شرع لنا النوافل خلف الصلوات و قبلها و في كل وقت إلا الأوقات المنهي عنها ، و ذلك لأنَّ الإنسان لا بد أن يكون في صلاته خلل فيكمل بهذه النوافل " (١) .

و هنا نجد أن الطباق ليس زينة شكلية و زخرفاً لفظياً فقط ، بل أتى لأن المعنى طلبه و استدعاه و ساق نحوه ، فالطاق بما يحمله من رموز و إشارات و دلالات أثرت المعنى و قربته لذهن المتلقي .

" قالوا : و مجرد الجمع بين المتضادين في الكلام أمر ميسور ، فينبغي أن يرشح الطباق بلون آخر من ألوان البديع يشاركه البهجة و الرونق ، و يزيد من حسن الكلام و فخامة المعنى " (٢) .

و قد ورد في شرح عقود الجمان : " ... أن المطابقة مجردة ليس تحتها كبير أمر ، فإن قصارى ذلك أن يطابق الضد بال ضد ، و هو شيء سهل ، اللهم إلا أن يترشح بنوع من أنواع البديع يشاركه في البهجة و الرونق ... " (٣) .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج١ ، مرجع سابق ، ٢٧٨ .

(٢) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ٤٨ .

(٣) : شرح عقود الجمان في علم المعاني و البيان ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، د . ط ،

(بيروت : دار الفكر ، د . ت) ، ١٠٦ .

و عرّف الدكتور بسيوني فيود ترشيح الطباق بأن " يوجد بجانب التضاد بين المعنيين صورة أخرى من صور البديع أو لون من ألوان البلاغة ، فيتقوى الطباق بذلك ، و يكتسى الكلام طلاوة و بهاء ، و يزداد المعنى وضوحًا و بيانًا ... " (١) .

اقترن الطباق سابق الذكر (... أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا ...) ، بصورة بديعية و هو تجاهل العارف (٢) اكتسى به الكلام جمالا و بهاء و ازداد المعنى بهجة و رونقا ، فيلاحظ هنا

(١) : علم البديع " دراسة تاريخية و فنية لأصول البلاغة و مسائل البديع " ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، ط ٣ ، (القاهرة : مؤسسة المختار ، ١٤٣١ هـ) ، ١٥٢ .

(٢) : تجاهل العارف : عند ابن أبي الأصبغ المصري : " باب تجاهل العارف و قد سماه من بعد ابن المعتز الإعنات ، و هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه به ، ليُخرج كلامه مخرج المدح أو الذم ، أو ليدلّ على شدة التّدلُّه في الحب ، أو لقصده التعجب أو التقرير ، أو التوبيخ ، ... " ، (تحرير التحرير ، مرجع سابق ، ١٣٥) ، و ذكر السكاكي أن معناه : " سوق المعلوم مساق غيره ، و لا أحب تسميته بالتجاهل ... " ، (مفتاح العلوم ، مرجع سابق ، ٢٠٢) ، و الخطيب القزويني لم يذكر لتجاهل العارف تعريف إنما ذكر تعريف السكاكي السابق حيث ذكر " و منه - تجاهل العارف و هو كما سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره لنكتة " ، (الإيضاح في علوم البلاغة ، مرجع سابق ، ٣٧١) ، و شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب السابق : " (و منه) أي و من البديع المعنوي - : (تجاهل العارف ، و هو كما سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره لنكتة) ، و قال لا أحب تسميته بالتجاهل لوروده في كلام الله تعالى ... " ، (شروح التلخيص ، مرجع سابق ، ٤٠٣) ، و ذكر صاحب مواهب الفتاح : " (و منه) أي و من البديع المعنوي : (تجاهل العارف) أي النوع المسمى بذلك ، (و هو) أي و هذا النوع يسمى باسمين أحدهما هو ما تقدم و الآخر (كما سماه) أي على ما سماه (السكاكي) هو (سوق المعلوم مساق) أي سوقاً كسوق (غيره) بأن يعبر عنه بما يدل في الأصل على أنه غير معلوم ، (لنكتة) أي لفائدة ، فإن عبر عن المعلوم بعبارة المجهول لا لنكتة كأن يقال : أزيد قائم أم لا ؟ حيث يعلم أنه قائم لم يكن من هذا الباب في شيء ، و العبارة الثانية أفضل لوجهين ، أحدهما : ما أشار إليه السكاكي من أنه يقع في قول الله تعالى كما في قوله سبحانه : (و ما تلك يمينك يا موسى) قال فلا أحب أن يقال في الكلام المنسوب إلى الله تعالى تجاهل العارف ، يعني بخلاف غير هذه العبارة فإنها أقرب إلى الأدب و لفظ الغير فيها و إن كان عبارة عن المجهول لكن دلالة أستر لعمومه و الآخر أنه أكمل في الدلالة على المقصود ، و ظاهر عبارة المصنف أن هذا الثاني تعريف للأول إلا أن السكاكي اختار تسمية المعنى به و هو قريب مما ذكرنا ، ثم أشار إلى أمثلة النكتة المشروطة في هذا النوع ... " ، (شروح التلخيص ، مرجع سابق ، ٤٠٣) ، و علق بهاء الدين السبكي على قول الخطيب حيث أشار : " و منه تجاهل العارف و سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره و سماه ابن المعتز الإعنات لنكتة ، أي لا يفعل ذلك إلا لاعتبار مقصود " ، (شروح التلخيص ، مرجع سابق ، ٤٠٣) ، و أشار الدسوقي إلى أنه : " كان

طلب إقرار المخاطب و هم الملائكة بما يريد المتكلم ، فالله **عَلَّمَ** أعلم بما ستقول له ملائكته ، و لكنه أراد أن يستنطق ذلك منهم ؛ و ذلك أدعى إلى ترسيخ فضل صلاة التطوع في العقول و القلوب .

الظاهر أن يقول و هو ما سماه السكاكي الخ ، إلا أنه اعتبر المغايرة من حيث أنه يسمى بتجاهل العارف ، و من حيث أنه يسمى بالسوق فزاد كاف التشبيه أو الكاف بمعنى على أي و هو سوق المعلوم الخ بناء على ما سماه السكاكي به (قوله مساق غيره) مصدر ميمي بمعنى السوق ، أي سوق المعلوم سوقاً كسوق غيره بأن يعبر عنه مما يدل في الأصل على أنه غير معلوم ، (قوله لنكتة) متعلق بتجاهل و كان حقه أن يقدمه على قوله و هو كما سماه الخ إلا أنه أخره ليكون بيان النكات متصلاً به ، فلو عبر عن المعلوم بعبارة المجهول لا لنكتة كأن يقال أزيد قائم أم لا حيث يعلم أنه قائم لم يكن من هذا الباب في شيء ، (قوله : لا أحب تسميته) أي سوق المعلوم الخ (قوله لوروده في كلام الله) أي كما في قوله تعالى (و ما تلك بيمينك يا موسى) أي و تسمية الكلام المنسوب لله بتجاهل العارف فيه إساءة أدب بخلاف تسميته بسوق معلوم مساق غيره فإنه أقرب إلى الأدب من الأولى و إن كان الغير فيها عبارة عن المجهول لكن دلالته أستر لعمومه ... " ، (شروح التلخيص ، مرجع سابق ، ٤٠٣) .

الحديث السادس :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُمَيَّرٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ (وَاللَّفْظُ لِابْنِ مُمَيَّرٍ) قَالَ
 حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ
 يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَدْخُلُ الْمَلِكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ
 فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسَةَ وَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ؟
 فَيُكْتَبَانِ . فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ ! أَذَكَّرٌ أَوْ أُنْثَى ؟ فَيُكْتَبَانِ . وَ يُكْتَبُ عَمَلُهُ وَ أَثَرُهُ وَ
 أَجَلُهُ وَ رِزْقُهُ . ثُمَّ تُطَوَّى الصُّحُفُ فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَ لَا يُنْقَصُ) (١) .

المضمون العام للحديث :

وضعَّ الحديث القدسي السابق أن قدر ابن آدم مكتوب قبل أن يُخلق ، فآدم من
 تراب من طين من صلصال من حمأ مسنون ، و ذريته من نطفة من ماء مهين ،
 حفظت في قرار مكين ، أربعين يوماً تتحول فيها إلى دم متجمد ، يلتصق بجدار
 الرحم ، و قد ذكر ﷺ أَنَّ الْمَلِكَ الْمُوَكَّلَ بِالرَّحِمِ يَدْخُلُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ أَنْ تَسْتَقِرَّ فِي
 الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسَةَ وَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فيقول الملك سائلاً الله تعالى : (أَشَقِيٌّ أَوْ
 سَعِيدٌ) فيذكر الله أحد الحالين ، ثم يكتب هذين الملكين ما يذكره الله تعالى ، ثم
 يسألان الله تعالى : (أَذَكَّرٌ أَوْ أُنْثَى) ثم يذكر كذلك الله أحد الحالين .

ثم بين ﷺ (وَ يُكْتَبُ عَمَلُهُ وَ أَثَرُهُ وَ أَجَلُهُ وَ رِزْقُهُ) و قد أتى بالفعل المضارع
 المبني للمجهول ، فهؤلاء الملائكة تكتب عمله سواء أكان خيراً أم شراً ، و تكتب
 كذلك أثره سواء كان حسناً أو سيئاً ، و تكتب أيضاً متى يأتي أجله و تنقضي أيامه

(١): صحيح مسلم ، شرح النووي ، ط ٤ ، ج ١٨ ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه و
 كتابة رزقه و أجله وعمله و شقاوته وسعادته ، رقم الحديث : ٢٦٤٤ ، مرجع سابق ، ١٥٨ .

المحدودة له في الدنيا ، و تكتب كذلك رزقه سواء أكان كثيرا أم قليلا ، ثم تطوى صحف المقادير فلا يزداد فيها و لا ينقص منها شيء حدده الله لابن آدم (١) .

" هذه المعلومات و هذه الكتابة مبنية على سبق علم الله تعالى بما سيكون ، فعلمه تعالى بما سيكون كعلمه تعالى بما كان ، فقد أحاط بكل شيء علما ، و ما يعلمه سبحانه و تعالى مما سيكون لا يختلف أبدا ، و إلا كان علمه جهلا ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا " (٢) .

موضع الشاهد :

(... فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَيُكْتَبَانِ ...) .

(... فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ أَذْكَرٌ أَوْ أُنْثَى فَيُكْتَبَانِ ...) .

(... ثُمَّ تُطَوَّى الصُّحُفُ فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَ لَا يُنْقَصُ) .

التحليل البلاغي:

جمع الرسول ﷺ بين الاسمين : (شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ) ، و كذلك بين الاسمين : (ذَكَرٌ وَ أُنْثَى) ، و بين الفعلين : (لَا يُزَادُ فِيهَا وَ لَا يُنْقَصُ) و جميعهم طباق إيجاب .

و الطباق ليس حلية لفظية أو زينة شكلية كما قال البعض عن فنون البديع ، بل وظَّفه الرسول ﷺ أجمل توظيف ، فظهر في غاية البلاغة و الإعجاز ، و تكمن بلاغة

(١) : انظر : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ، ج١٨ ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه و كتابة رزقه و أجله وعمله و شقاوته وسعادته ، رقم الحديث : ٢٦٤٤ ، مرجع سابق ، ١٥٦ - ١٥٨ . / و أيضا انظر : فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، موسى شاهين لاشين ، ط ١ ، ج ١٠ ، (القاهرة : دار الشروق ، ١٤٢٣ هـ) ، ١٥٩ - ١٦٧ .

(٢) : فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، موسى شاهين لاشين ، ج ١٠ ، مرجع سابق ، ١٥٩ .

الطباق في هذا الحديث القدسي حيث فيه تصريح بإثبات القدر ، و هو الركن السادس من أركان الإيمان ، و كشف بأن مقادير الخلائق تكتب و هم في بطون أمهاتهم و كذلك فيه التنبيه على صدق البعث بعد الموت ؛ لأن من قدر على خلق الشخص من ماء مهين ، ثم تدرج في الخلق و نفخ الروح فيه قادر على نفخ الروح مرة أخرى بعد أن يصير ترابًا و يجمع أجزائه بعد تفرقها .

و أبرز الطباق أيضًا الحث القوي على القناعة و الزجر الشديد عن الحرص ؛ لأن الرزق إذا كان قد سبق تقديره ، لم يغن التعني في طلبه و إنما شرع الاكتساب ؛ لأنه من جملة الأسباب التي اقتضتها الحكمة في دار الدنيا ، فعدم العلم بما كُتِبَ يحتم على المسلم السعي بكل ما يستطيع إلى زيادة رزقه ، و بناء حياته ، و الحرص على كل ما ينفعه ، و القناعة و الرضا إنما تكون بعد بذل الجهد الكامل ، و الطلب المستطاع ^(١) .

و قد أُشْرِكَ مع اللون البديعي (الطباق) لون آخر هو التقسيم ^(٢) زاد من بهجته و رونقه و أعطى فخامة و جزالة للمعنى ، و يظهر هذا الترشيح في مواضع الطباق الثلاثة آنفة الذكر ففي الأول : (أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ) فالإنسان له إحدى الحالتين إما الشقاء أو السعادة فليس هناك حالة ثالثة ، و الموضع الثاني : (أَدَكَّرُ أَوْ أَنْشَى) فابن آدم إما أنه ذكر أو أنثى فلا جنس ثالث ، و الموضع الثالث : (ثُمَّ تُطَوَّى الصُّحُفُ فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَ لَا يُنْقَصُ) فالوضع إما زيادة أو نقصان فلا وضع ثالث أبدًا .

(١) : فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، موسى شاهين لاشين ، ج ١٠ ، مرجع سابق ، ١٦٧ .

(٢) : التقسيم : يطلق التقسيم على أمرين أحدهما النوع السابق هو استيفاء أقسام الشيء بالذكر ،

(الايضاح ، ٣٥٦) ، وقد أُفْرِدَ له مبحث قادم بإذن الله .

الحديث السابع :

حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
(إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، يَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ،
فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ، فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ
أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، فَيَقُولُ : أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالُوا : يَا رَبِّ وَأَيُّ
شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ
أَبَدًا) (١) .

المضمون العام للحديث :

أثبت الحديث القدسي السابق خطاب الله تعالى لأهل الجنة ، حيث بدأ الحديث
(بِإِنَّ) للتأكيد في إثبات الكلام لله تعالى مع أهل الجنة ، فقد قال الله تعالى : (يَا
أَهْلَ الْجَنَّةِ) و يردون عليه : (لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ) (٢) ، فيسألهم الله ﷻ (هَلْ
رَضِيتُمْ ؟) و هذا الخطاب عند دخول أهل الجنة الجنة ، فيقولون : (وَمَا لَنَا لَا
نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ) بمعنى أعطينا الجنة التي حُرِّمَ
منها الكثير ، ثم قال الله ﷻ : (أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالُوا يَا رَبِّ وَأَيُّ
شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ) ، فيتساءل هؤلاء العباد : أي شيء أفضل من الجنة

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ٢٣ ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة و النار ، رقم الحديث :

٦١٦٢ ، مرجع سابق ، ٤٨-٤٩ .

(٢) : معنى لَبَّيْكَ : حكى أبو عبيد عن الخليل أن أصل التلبية الإقامة بالمكان يقال (أَلَبَّ) بالمكان و

(لَبَّ) به إذا أقام به . (مختار الصحاح ، الرازي ، مرجع سابق ، ٢٤٦-٢٤٧) .

(٣) : معنى سَعْدَيْكَ : السعد اليُمن و سعديك إسعاداً لك بعد إسعاد . (مختار الصحاح ، الرازي ، مرجع

سابق ، ١٢٦) .

و نعيمها ، فأتى رد الله **رَجَّكَ** سريعاً و هو (**فَيَقُولُ أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**) و معنى كلمة (أَحِلُّ) : أنزل ، و " قوله (رِضْوَانِي) : بكسر أوله و ضمه ، و في حديث جابر قال " رضواني أكبر " وفيه تلميح بقوله - تعالى - (و رضوان من الله أكبر) لأن رضاه سبب كل فوز و سعادة وكل من علم أن سيده راض عنه كان أقر لعينه وأطيب لقلبه من كل نعيم لما في ذلك من التعظيم و التكریم و في هذا الحديث أن النعيم الذي حصل لأهل الجنة لا مزيد عليه " (١) .

و ورد في هذا الحديث شُبُهه مفادها قول ابن بطال : " استشكل بعضهم هذا ؛

لأنه يوهم أن له أن يسخط على أهل الجنة و هو خلاف ظواهر القرآن ، كقوله

﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ ﴿ **أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾

و أجاب بأن إخراج العباد من العدم إلى الوجود من تفضله و إحسانه ، و كذلك تنجيز ما وعدهم به من الجنة و النعيم من تفضله و إحسانه ، و أما دوام ذلك فزيادة من فضله على المجازاة لو كانت لازمة ، و معاذ الله أن يجب عليه شيء ، فلما كانت المجازاة لا تزيد في العادة على المدة و مدة الدنيا متناهية جاز أن تتناهى مدة المجازاة فتفضل عليهم بالدوام فارتفع الإشكال جملة انتهى ملخصا ، و قال غيره : ظاهر الحديث أن الرضا أفضل من اللقاء و هو مشكل وأجيب بأنه ليس في الخبر أن الرضا أفضل من كل شيء وإنما فيه أن الرضا أفضل من العطاء ، و على تقدير التسليم فاللقاء مستلزم للرضا فهو من إطلاق اللازم و إرادة الملزوم ، كذا نقل الكرماني ، و يحتمل أن يقال : المراد حصول أنواع الرضوان و من جملتها اللقاء فلا إشكال ، قال

(١) : انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، أخرجه الشيخ : عبد العزيز بن عبد

الله بن باز ، أكمل التعليقات : علي بن عبد العزيز الشبكي ، رقم كتبها و أبوابها و أحاديثها : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١ ، ج ١١ ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة و النار ، (الرياض : دار السلام ، ١٤٢١ هـ) ،

الشيخ أبو محمد بن أبي حمزة : في هذا الحديث جواز إضافة المنزل لسكانه ، و إن لم يكن في الأصل له فإن الجنة ملك الله عز وجل ، و قد أضافها لسكانها بقوله يا أهل الجنة ، قال : و الحكمة في ذكر دوام رضاه بعد الاستقرار أنه لو أخبر به قبل الاستقرار لكان خبرا من باب علم اليقين ، فأخبر به بعد الاستقرار ليكون من باب عين اليقين ، و إليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧] قال : و يستفاد من هذا أنه لا ينبغي أن يخاطب أحد بشيء حتى يكون عنده ما يستدل به عليه و لو على بعضه ، و كذا ينبغي للمرء أن لا يأخذ من الأمور إلا قدر ما يحمله ، و فيه الأدب في السؤال لقولهم : و أي شيء أفضل من ذلك ؛ لأنهم لم يعلموا شيئا أفضل مما هم فيه فاستفهموا عما لا علم لهم به ، و فيه أن الخير كله و الفضل و الاعتبار إنما هو في رضا الله سبحانه و تعالى ، و كل شيء ما عداه و إن اختلفت أنواعه فهو من أثره ، و فيه دليل على رضا كل من أهل الجنة بحاله مع اختلاف منازلهم و تنوع درجاتهم ؛ لأن الكل أجابوا بلفظ واحد و هو " أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك " و بالله التوفيق " (١) .

موضع الشاهد :

- (... فَيَقُولُ هَلْ رَضِيْتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى ...) .
 (.... وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ...) .
 (... أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) .

(١) : للاستزادة انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، أخرجه الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، أكمل التعليقات : علي بن عبد العزيز الشبكي ، رقم كتبها و أبوابها و أحاديثها : محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ١٣ ، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع أهل الجنة ، مرجع سابق ، ٦٠٥ -

التحليل البلاغي :

جمع ﷺ بين الفعلين : (رَضِيْتُمْ ، لَا نَرْضَى) و كان بينهما طباق سلب ،
وكذلك جمع بين الفعلين : (أَعْطَيْتَنَا ، لَمْ تُعْطِ) و كان بينهما طباق سلب أيضا ،
و جمع بين مختلفين اسم و فعل : (رِضْوَانِي ، أَسْحَطُ) و بينهما طباق إيجاب .

و يكمن السرُّ البلاغي من وجود الطباق حيث أثبت هذا اللون البديعي أولاً صفة
الكلام لله تعالى ، و من ثم أثبت كلام الله و خطابه مع أهل الجنة ، و بين الطباق
كذلك أنَّ هنا نعيماً أكبر و أفضل من نعيم الجنة اتضح في قوله : (فَيَقُولُ هَلْ
رَضِيْتُمْ فَيَقُولُونَ وَ مَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَ قَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ
خَلْقِكَ) ، و هذا النعيم هو رضا الله ﷻ الدائم ، فهذا الرضا هو الفلاح العظيم
و الفوز الكبير ، فكل نعيم الجنة من قصور و حور و أنهار و ثمار و و أشجار ... الخ
يعدُّ نعيماً جسمانياً و الإنسان مخلوق له جسد و روح ، فعندما حصل على الجنة فاز
بالسعادة الجسمانية ، و عندما حلَّ عليه رضا الرب فاز بالسعادة الروحية ، فهنا
اجتمعت السعدتان ، و لا تجتمع هاتان السعدتان إلاَّ بالفوز بالجنة و الفوز برضا الله،
و هنا تبين عن طريق الطباق أن السعادات الروحية أفضل من السعادات الجسمانية .

و مما لاشك فيه هنا أن الطباق ليس زينة شكلية و زحرفاً لفظياً كما قال البعض
عن فنون البديع بما فيها الطباق ، بل نجد أن الطباق هنا له وزن و قيمة في الكلام و له
تأثير جلي في الأسلوب ، و أدَّى أغراضاً لا توجد بدونها ، فيعتبر الطباق من جوهر
البلاغة و لبّها و صورها الأصيلة .

ثانياً : المقابلة

التعريف باللون البديعي :

عرّفها ابن أبي الأصبع المصري بأنها: " عبارة عن توحي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني لا يخرم من ذلك شيئاً في المخالف والموافق، ومتى أُخلّ بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة ، وقد تكون المقابلة بغير الأضداد" (١) .

و عرّفها السكاكي بقوله : " هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر و بين ضديهما ثم إذا اشترط هنا شرطاً شرطت هناك ضده " (٢) .

و ذكر القزويني أنها: " أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل" (٣) .

و وضّح التفتازاني ذلك بقوله : " (هو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم) يؤتى (بما يقابل ذلك) المذكور من المعنيين المتوافقين أو المعاني المتوافقة (على الترتيب) فيدخل الطباق لأنه جمع بين معنيين متقابلين في الجملة (والمراد بالتوافق خلاف التقابل) حتى لا يشترط أن يكونا متناسبين أو متماثلين ... " (٤) .

و أشار ابن يعقوب المزني بقوله : " (وهو) أي: ما يختص باسم المقابلة (أن يؤتى بمعنيين متوافقين ، أو) يؤتى (بأكثر) من المعنيين ، (ثم) يؤتى بعد المعنيين أو المعاني (بما يقابل ذلك) لما أتى به من المعنيين المتوافقين أو المعاني المتوافقة (على

(١) تحرير التعبير، ١٧٩ .

(٢) مفتاح العلوم ، ٢٠٠ .

(٣) الإيضاح ، ٣٣٨ .

(٤) شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٢٩٧ - ٢٩٨ .

الترتيب) أي: يكون ما يؤتى به ثانياً مسوقاً على ترتيب ما أتى به أولاً بحيث يكون الأول للأول والثاني للثاني إلى آخره ، و إنما دخل ما يسمى بالمقابلة في الطباق لأن فيه الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة أي من غير تفصيل وتعيين لكون التقابل على وجه مخصوص دون آخر ؛ لأن ذلك لا يشترط في الطباق حتى يمكن إخراج المقابلة عن الطباق فصدق حده عليها " (١) .

و أوضح السبكي أن المقابلة : " أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر " بأن يكون معان متوافقة ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب بأن يكون الأول للأول و الثاني للثاني " (٢) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي المعنوي (المقابلة) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٢٩٧ .

(٢) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٢٩٧ .

الحديث الأول :

أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ ابْنِ عَجَلَانَ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : (إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ : خُذْ مَا تَيْسَّرَ ، وَاتْرُكْ مَا عَسَرَ ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَلَمَّا هَلَكَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ ، قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ وَ كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى ، قُلْتُ لَهُ : خُذْ مَا تَيْسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسَرَ وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ) (١) .

المضمون العام للحديث :

بين الحديث القدسي السابق فضل حسن المعاملة و الرفق في المطالبة ، كذلك حثَّ على السماحة في البيع و الشراء ، و فيه أيضاً فضل العفو عن الناس و التجاوز عنهم .

و قد بدأ الحديث القدسي بقول صلى الله عليه و سلم : (إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا) و هذه جملة اسمية خبرية مؤكدة ، ضرب بها صلى الله عليه وسلم مثلاً رائعاً للحثِّ على التيسير على المعسرين و عدم العسر في المداينة و المعاملة ، و حث على إنظار المعسرين أو إعفائهم و مسامحتهم و أن ذلك من أسباب العفو عنهم يوم القيامة ، و كذلك تيسير الله عليهم يوم القيامة ، فهذا الرجل لم يعمل خيراً قط و تجاوز و عفى الله عنه ، فكيف يكون ذلك ؟ يعني مع إيمانه وتوحيده ضم هذا التيسير وهذا الإنظار ، و هذا الخلق الكريم إلى أعماله الطيبة فصار من أهل الجنة ، و زحزح بها عن النار ، و هذا لا بد أن يكون معه أصل التوحيد و أصل الإيمان، و عدم الشرك ؛ لأن

(١) : سنن النسائي ، بشرح الإمامين : السيوطي و السندي ، تحقيق : السيّد محمد سيّد ، علي محمد علي ، سيد عمران ، ضبط أصوله : مصطفى محمد حسين الذهبي ، ط ١ ، ج ٤ ، كتاب البيوع ، باب حسن المعاملة و الرفق في المطالبة ، رقم الحديث : ٤٧٠٨ ، (القاهرة : دار الحديث ، ١٤٢٠ هـ) ، ٣٠٤ .

الأحاديث الصحيحة و الآيات يفسر بعضها بعضاً و لهذا يقول الله عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) ، و يقول سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ ^(٢) فدلَّ على أن هؤلاء من المسلمين ، لكن عندهم سيئات لقوا الله بها فتجاوز عنهم ، بسبب تيسيرهم على المعسرين و إنظارهم لهم .

و المشروع لكل مؤمن أن يتخلق بهذا الخلق ، و أن يحرص على أن يكون من أهل التيسير ، و العفو و الإنظار و عدم المضايقة ^(٣) .

موضع الشاهد :

(... خُذْ مَا تَيْسَّرَ وَ اتْرُكْ مَا عَسَرَ ...) .

التحليل البلاغي :

تظهر روعة الصورة البديعية من خلال التقابل بين الجملتين ، فيظهر في الصدر : (خُذْ مَا تَيْسَّرَ) و يقابله في العجز (اتْرُكْ مَا عَسَرَ) ، المقابلة هنا بين اثنين باثنين . و يأتي السرُّ البلاغي من المقابلة السابقة أنها كانت سبباً من أسباب وفاء المعنى و تمام الغرض ، فلما كان الغرض كشف فضل حسن المعاملة و الرفق في المطالبة و أيضاً فضل العفو عن الناس ، و التجاوز عنهم ، كانت المقابلة أتم في أداء هذا المعنى و أوفى في الغرض ، فقابل بين جملة خذ ما تيسير للمدين أدأؤه و اترك ما عسر على المدين أدأؤه .

(١) : الأنعام : ٨٨

(٢) : النساء : ٤٨

(٣) : انظر : صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ - ١٧١ .

فجمع هذا الرجل بين عملين فاضلين للدلالة على نبهه و كرمه و هما : العمل الأول العفو و التجاوز ، و يدخل في لفظ التجاوز الإنظار و الإبراء ، و هناك فرق بين الإبراء و هو إسقاط الدين عن المعسر و بين الإنظار ، فالإنظار واجب و الإبراء سنة ، و لا شك أن الإبراء أفضل ، لأن الإبراء تبرأ به الذمة نهائياً و الإنظار تبقى الذمة منقولة لكن صاحب الحق لا يطالب به حتى يستطيع المطلوب أن يوفي^(١) .

و العمل الثاني الذي قام و فاز به هذا الرجل أنه وقف بجانب المحتاجين و فرّج عنهم ، و هذا عمل ندب إليه النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من الأحاديث .
 فنلاحظ فائدة المقابلة بوفائها للمعنى و إتمامها للغرض ، و بكلماتها المتلائمة ، و جملها المتوازية ، و إيقاعها الآخاذ و الذي لا يحدث شيء من هذا لو قصرنا الجمل عن نظمها المتقابل .

(١) : انظر : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

الحديث الثاني :

حدثنا إسماعيلُ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحَبَّتْ لِقَاءَهُ ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهَتْ لِقَاءَهُ) (١) .

المضمون العام للحديث :

إن محبة الله تعالى من أهم العبادات القلبية ، فهي قوت القلوب و غذاء الأرواح و قرّة العيون و سرور النفوس و نور العقول و عمارة الباطن.

و قد بين الحديث القدسي السابق نوعاً خاصاً من المحبة ، و هي محبة لقاء الله و وضع جزاء تلك المحبة ، فبدأ الحديث السابق بقوله صلى الله عليه وسلم على لسان ربه عز و جل : " إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي " : أي بأن يعمل عمل المحب لمحبهه عند لقائه، و ذلك بامتنال الأوامر و النواهي ، فاستعد بالأعمال الصالحة للقاء وجه ربه الكريم مؤثراً الآخرة على الدنيا ، و من كان على هذه الصفة العظيمة لا يجب استمرار الإقامة في دار الفناء ، بل يستعد للارتحال عنها إلى دار البقاء .

و لقد أوضح الله تعالى سبيل الاستعداد للقائه فقال : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٢) .

فالمؤمن الذي أعرض عن العصيان و لزم طاعة الرحمن ، و أخلص العمل لله يكون أكثر حرصاً على لقاء الله ، و شوقاً إليه من غيره ، فيحدو به ذلك الشوق إلى أن يبيع روحه لربه ، فلا يتقاعس عن معتركات الجهاد في سبيل الله ، بل يقذف بنفسه

(١) : صحيح البخاري، شرح الكرمانى ، ج٢٥، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا

كَلِمَةً﴾ ، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ رقم الحديث : (٧٠٥٠) ، مرجع سابق ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٢) : الكهف : ١١٠ .

إلى أتون القتال طمعاً بمغادرة الدنيا إلى ما عند الله تعالى من الأجر و الثواب و النعيم المقيم في جنات عرضها السماوات و الأرض أعدت للمتقين .

و قوله : " أَحَبُّتُ لِقَاءَهُ " : أي هيأت له الإكرام العظيم كما يهين المحب محبوبه الشيء العظيم إذا جاءه ، و قوله : " وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي " : أي بأن عمل عمل من يكره لقاء شخص ، و ذلك بارتكاب المعاصي. و قال بعض العلماء : المراد حب العبد للحياة الدنيا و ركونه إليها و كراهيته أن يصير إلى الله و الدار الآخرة .

و قوله : " كَرِهْتُ لِقَاءَهُ " : قال المازري : يحمل الحديث على كراهته سبحانه و تعالى الغفران له ، و إرادته لإبعاده من رحمته .

و يكون بما أعد له من العذاب في النار ؛ لأن المحب يستقبل محبوبه بأحب الأشياء إليه ، و المبغض يستقبل بغيضه بأكره الأشياء إليه ^(١) .

موضع الشاهد :

(إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحَبُّتُ لِقَاءَهُ ، وَ إِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ) .

التحليل البلاغي :

كانت المقابلة في الحديث القدسي السابق اثنين باثنين حيث ورد في الصدر : (إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحَبُّتُ لِقَاءَهُ) و ورد في العجز : (وَ إِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ) ، و يكمن السرُّ البلاغي من وجود المقابلة المعجزة التي تأسر الأسماع و تجلب الألباب بكلماتها القوية المتلائمة و جملها المتوازنة بأنها أدت المعنى بأوفى صورة و أتم غرض .

فقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يثبت و يقرر في هذا الحديث صفتي الحب و الكره لله تعالى كما ينبغي لعظيم وجهه و جلال سلطانه ، و كان له ما أراد ،

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، ص ٢٩ - ٣١ .

فقد قرر المعنى بأوفى صورة و أكملها وأتمها ، فالمؤمن إذا حضره الأجل بُشِّر بالرحمة من الملائكة و الرضا من الله ، فيحب لقاء الله و يحب الله لقاءه ، و أما الكافر إذا حضره الموت بُشِّر بغضب الله و عقابه فيكره لقاء الله فيكره الله لقاءه .

ذلك المعنى الذي أراد أن يؤديه صلى الله عليه وسلم ، و قد أداه و أحسن أداءه عن طريق الصورة البديعية ألا و هي المقابلة التي كان لها أثرها اللفظي المبهري في سبك الأسلوب سبكاً قوياً ، و أثرها على المعنى و إظهاره في صورة رائعة ، فريدة النوع .

و مما زاد الأسلوب رونقاً و جمالاً و بهاءً الشرط و الجزاء ، فالشرط في الصدر في قوله : (إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي) ، الجزاء : (أَحَبَّبْتُ لِقَاءَهُ) ، و الشرط في العجز : (وَ إِذَا كَرِهَ لِقَائِي) ، الجزاء : (كَرِهْتُ لِقَاءَهُ) فيظهر لونا موسيقياً أخاذاً وجرساً رناناً رائعاً .

الحديث الثالث :

حدّثنا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، : (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ . فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَطَّلَعُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَطَّلَعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ ، فَيُقَالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قالوا : نَعَمْ ، هَذَا الْمَوْتُ ، قال : فَيُؤَمَّرُ بِهِ فَيُذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كلاهما : خُلُودٌ فِيمَا تَجِدُونَ لَا مَوْتَ فِيهَا أَبَدًا) (١) .

في الزوائد : هذا إسناده صحيح رجاله ثقات ، و قد أخرج البخاري بعضه من هذا الوجه . و له شاهد في الصحيحين من حديث أبي سعيد .

المضمون العام للحديث :

أثبت الحديث القدسي السابق حقائق عقدية ، و هي أولاً : ذبح الموت يوم القيامة على الصراط أمام أهل الجنة و أهل النار ، و في ذلك دلالة على الخلود الأبدي ، و ثانياً : إثبات الخلود للمؤمنين في الجنة و الكافرين في النار ، و أيضاً عدم الفناء في الجنة و النار .

و مما لا شك فيه أن الفناء و النعيم ضدان يؤثر الأول منهما على كمال الثاني ، فكلما ظنّ المتنعم أو دار في خاطره و فكره أن ما هو فيه من النعيم سوف يذهب و ينقضي و يتلاشى ، ألمه ذلك و كدّر و نعّص عليه نعيمه ، و كذلك المعذب إذا ظنّ أنه سيأتي عليه يوم ينتهي عذابه و يذهب و ينقضي ، هوّن ذلك من عذابه ، و صبره يعظم و رجاؤه يخفف ما هو فيه من ألم و شقاء و وجع .

(١) : سنن ابن ماجه ، تعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ، د. ط ، ج ٢ ، كتاب الزهد ، باب صفة النار ، رقم

الحديث : ٤٣٢٧ ، (بيروت : دار الفكر ، ، د.ت) ، ص ١٤٤٧ .

و زيادة في نعيم المؤمنين و عذاب الكافرين قضى الله بذبح الموت ذبحاً حسياً أمام الجميع - أهل الجنة و أهل النار - و ذلك في قوله : (**فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كِلَاهِمَا : خُلُودٌ فِيمَا تَجِدُونَ لَا مَوْتَ فِيهَا أَبَدًا**) و ذلك ليدفع كل معاني الأمل من نفوس الكافرين في النجاة ، و ليقطع كل ظن في الفناء مما ينقص عيش أهل الجنة و يذهب كمال نعيمهم ، فيفرح أهل الجنة فرحاً عظيماً ، و يشقى أهل النار شقاءً مريعاً ، فلا نجاة لهم في حاضرهم ، و لا نجاة لهم في مستقبلهم ، فيعذبون حسياً لما هم فيه من العذاب و يعذبون معنوياً بانقطاع الرجاء من النجاة^(١) .

موضع الشاهد:

(... يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ ...) .

التحليل البلاغي :

جاءت المقابلة في الحديث القدسي ثلاثة بثلاثة ، و هذا أقصى ما وصلت إليه المقابلة في الحديث القدسي - كما يبدو لي - حيث جاء في الصدر : (**يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ**) و ورد في العجز : (**يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ**) ، فالمقابلة كانت بين : (الجنة ، خائفين ، وجلين) في الصدر و (النار ، مستبشرين ، فرحين) في العجز .

(١) : انظر : شروح سنن ابن ماجة ، تحقيق : رائد بن صبري بن أبي علقمة ، ط ١ ، ج ٢ ، (عمان : بيت الأفكار الدولية ، ٢٠٠٧ م) ، ص ١٥٩٢ . و أيضاً : تحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي ، ضبط : عبد الرحمن محمد عثمان ، ج ٧ ، (مصر : دار الفكر ، د.ت) ، ص ٢٧٧ ، و أيضاً : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ٣٠٣ .

و قد أسهمت المقابلة في إيضاح المعنى بأوسع صورته و أوفى أغراضه ، فالغرض من المقابلة إثبات الخلود لأهل الجنة بالجنة ، و أهل النار بالنار ، و عدم الفناء و الهلاك بل إقرار الخلود الأبدي ، و قد تحقَّق ذلك عن طريق ذبح الموت ، ذلك الموت الذي أُقِفَ على الصراط و رآه و عرفه كل من أهل الجنة و أهل النار ، فكان حال أهل الجنة خائفين وجليين بأن يخرجوا من النعيم الذي هم فيه ، و كان حال أهل النار مستبشرين و فرحين أن يخرجوا من هذا العذاب الأليم القاسي الذي هم فيه .

فالمقابلة هنا لم تفِ بالمعنى و الغرض فقط ، بل وصفته و صفاً دقيقاً حسياً تنم عن خوف و وجل و استبشار و فرحة و نعيم غير متناهٍ ، و كذلك عذاب و حسرة غير متناهية .

و أخيراً أضفت المقابلة على الحديث رونقاً و بهجة وجمالاً ، و قوّت الصلة بين الألفاظ و المعاني و قد نتج عن ذلك تلاحم أجزاء الكلام و ائتلاف ألفاظه ، مما يؤكد أن المقابلة لست زينة شكلية ، و زخرفاً لفظياً ، بل كان لها دور فعّال في بلاغة الكلام لن يحدث شيء من ذلك إن تغيرت الجمل عن نظمها المتقابل .

الحديث الرابع :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنِي مَالِكٌ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ " قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطْرُنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ) (١) .

المضمون العام للحديث :

لله على العباد فضل عظيم و نعم جليلة ، و من بين تلك النعم و هذا الفضل المطر ، حيث أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث القدسي أنه ينبغي على الإنسان إذا جاء المطر أن يقول : مطرنا بفضل الله و رحمته لا بنوء كذا و كذا .

فقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه بجملة استفهامية : (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟) قاصداً من ورائها التنبيه و التشويق و صرف ذهن المتلقي لما يقوله (اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ) ، ثم ذكر ما قاله الله تعالى لملائكته : " (أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَ كَافِرٌ بِي) يعني في تلك الليلة . قال الله عز وجل فيما أوحاه إلى نبيه : (أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَ كَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطْرُنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَ رَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءٍ كَذَا وَ كَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ) ، والباء هنا للسببية ، يعني معناه أنك إذا أضفت المطر إلى النوء ، فقلت : هذا النجم نجم بركة و خير يأتي بالمطر فهذا حرام عليك، كفر بالله عز وجل ، و إضافة الشيء إلى سببه مع نسيان المسبب و هو الله عز وجل .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ط ٢ ، ج ٥ ، كتاب الاستسقاء ، باب قوله تعالى ﴿ وَتَجْعَلُونَ

رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴾ ، رقم الحديث : ٩٨٥ ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

و أما إذا قلت : مطرنا بفضل الله و رحمته في هذا النوع ، فلا بأس ؛ لأنه اعتراف بأن المطر بفضل الله و لكنه صار في هذا بالنوع ، و كثير من العامة يقولون : مطرنا بفضل كذا و كذا ... ، و ليسوا يقصدون بهذا السببية و إنما يقصدون الظرفية ، أي أن المطر صار في هذا الوقت ، و هذا لا بأس .

و أما إذا جعل الباء للسببية ؛ فهذا هو الذي كفر بالله و آمن بالكواكب ، ثم إن اعتقد أن الكوكب هو الذي يأتي بالمطر ؛ فهذا كفر أكبر مخرج عن الملة ، و إن اعتقد أن الكواكب سبب و أن الخالق هو الله عز و جل ، فهذا كفر بنعمة الله و ليس كفراً مخرجاً عن الملة ... " (١) .

موضع الشاهد:

(... فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَ رَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَ كَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ) .

التحليل البلاغي :

كانت المقابلة في هذا الحديث القدسي ثلاثة بثلاثة حيث وقع في الصدر : (أَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَ رَحْمَتِهِ) ، (فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي) ، (كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ) ، و وقع في العجز : (أَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَ كَذَا) ، (فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي) ، (مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ) .

و كان السرُّ البلاغي من وراء المقابلة هو إظهار المعنى بأوفى غرض و أكمل صورة ، و كان له ما أراد صلى الله عليه و سلم ، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يقرر حقيقة و هي إن المطر يأتي بفضل من الله و رحمة ، و لا علاقة للكواكب بذلك ،

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ - ١٢٨ . أيضاً

انظر : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ٣٧ . و فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،

ج ٢ ، باب الاستسقاء ، باب قوله تعالى ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكذِبُونَ ﴾ ، مرجع سابق ص ٦٦٣ -

فأثبت الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك عن طريق المقابلة ، و وضع أن من قال مطرنا بفضل الله و رحمته فذلك مؤمن بالله ، كافر بالكواكب ، و " أما من قال مطرنا بنوء كذا و كذا أي بكوكب كذا معتقداً ما كان عليه بعض أهل الشرك ، من إضافة المطر إلى النوء ، و أن المطر كان من أجل أن الكوكب - ناء - أي سقط و غاب ، أو نهض و طلع ، وأنه هو الذي هاجه ، (فذلك كافر بي) لأن النوء وقت ، و الوقت مخلوق ، و لا يملك لنفسه و لا لغيره شيئاً (مؤمن بالكواكب) . ومن قال مطرنا في وقت كذا ، فلا يكون كفرةً " (١) .

فيبدو - لي - أن المقابلة هنا كانت سبباً قوياً من أسباب إيضاح المعنى فالمقابلة لم تأت تطفلاً ، و لم تأت كذلك زينة و حلة شكلية ، بل كان من وجودها لغاية و هدف تحقق بجدارة ؛ فقد قيل سابقاً إن من صفات الأدب الجيد " تلاحم أجزاءه و ائتلاف ألفاظه حتى كان الكلام بأسره من حسن الجوار و شدة التلاحم كلمة واحدة ، و حتى كأن الكلمة بأسرها حرفاً واحداً " (٢) ، و هذا ما لاحظته في الحديث السابق .

(١) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(٢) : في البلاغة العربية ، علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، د. ط ، (بيروت ، دار النهضة العربية ،

الحديث الخامس :

حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ ابْنُ أَبِي مُرَرِّدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ قَالَتْ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ ؟ ، قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَذَلِكَ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : اَفْرُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (١) .

المضمون العام للحديث :

وضَّح الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي فيما أوحاه عز وجل عِظَم شأن الرحم ، و فضل واصلها و إثم قاطعها .

" قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : قوله : (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ) : قال ابن أبي جمرة : يحتمل أن يكون المراد بالخلق جميع المخلوقات ، و يحتمل أن يكون المراد به المكلفين ... ، و قوله (قَامَتِ الرَّحْمُ فَقَالَتْ) : قال ابن أبي جمرة : يحتمل أن يكون بلسان الحال و يحتمل أن يكون بلسان المقال قولان مشهوران و الثاني أرجح ... ، و قوله : (أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ) ... قال ابن أبي جمرة الوصل من الله كناية عن عظيم إحسانه ، و إنما خاطب الناس بما يفهمون ، و لما كان أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه الوصال و هو القرب منه و إسعافه بما يريد و مساعدته على ما يرضيه ، و كانت حقيقة ذلك مستحيلة في حق الله تعالى ، عرف أن ذلك كناية عن عظيم إحسانه لعبده ، قال : و كذا القول في القطع ، و هو كناية عن حرمان الإحسان .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، باب ﴿ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ، رقم

و قال القرطبي : و سواء قلنا إنه - يعني القول المنسوب إلى الرحم - على سبيل المجاز أو الحقيقة أو إنه على جهة التقدير و التمثيل كأن يكون المعنى : لو كانت الرحم ممن يعقل و يتكلم لقاتل كذا ... ، فمقصود هذا الكلام الإخبار بتأكد أمر صلة الرحم ، و أنه تعالى أنزلها منزلة من استجار به فأجاره فأدخله في حمايته ، و إذا كان كذلك فجار الله غير مخذول ... " (١) .

و قال النووي : " الرحم معنى من المعاني لا يتأتى منه القيام و لا الكلام فالمراد تعظيم شأنها و فضيلة واصلها و إثم قاطعها ، و قال : لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة ، و قطيعتها معصية ، و للصلة درجات بعضها أرفع من بعض و أدناها صلتها بالكلام و لو بالسلام ، و يختلف ذلك باختلاف القدرة و الحاجة ، و اختلفوا في حد الرحم ، فقيل : هو المحارم ، و قيل : هو عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث. قوله : (هذا) إشارة إلى المقام ، أي قيامي هذا قيام العائد بك من قطع الرحم و (وصل الله) إيصال الرحمة إليه و قطعه قطعها " (٢) .

موضع الشاهد:

(... أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ...) .

التحليل البلاغي:

كانت المقابلة في الحديث القدسي السابق بين اثنين باثنين حيث ورد في الصدر : (أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ) ، و ورد في العجز (أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ) ، و عند التأمل للسرّ البلاغي وراء وجود المقابلة نجده يكمن في وفاء المعنى بأكمل صورة و تمام أغراضه ، فلصلة الرحم شأن عظيم و في الحديث تنبيه على فضل صلتها و الحث الشديد عليها و حرمة قطيعتها و التحذير من قطعها و الوعيد الشديد بقطع الله لقاتعها ، و الوعد

(١) : الهدية في شرح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٧ - ١٩ .

(٢) : صحيح البخاري ، شرح الكرمانى ، ج ١٨ ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .

بزيادة الرزق و طول العمر لوصلها و عون الله تعالى و توفيقه لمن يتحمل الأذى في سبيل وصلها .

و كذلك عند التأمل في المقابلة : (أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ) نجد أنها بدأت بجملة فعلية فعلها مضارع للدلالة على التجدد و الاستمرار ، فقطيعة الرحم تنذر بقطع الله خيره عن القاطع ، و صلة الرحم تعد بصلة الله تعالى للواصل ، فمن قطعها قطعه الله و من وصلها وصله الله ، فالإسلام دين ترغيب و ترهيب ، و لكل من الطاعات و المعاصي آثار ، و على الإنسان التبصر بالعواقب ، و إدراك طريق التوبة إذا ضل الطريق ، و لذلك نجدها بدأت بالفعل المضارع للدلالة على التجدد ، فمن كان قاطعاً لرحمه يتوب و يصل رحمه ؛ كي يصله الله تعالى .

و للمقابلة آثار في الشكل و المضمون ، ففي المضمون كان أثرها واضحاً في إظهار المعنى وافياً قوياً مترابطاً متلاحم الأجزاء و الشكل نجد أثرها في التناسب و التوازن و الجمل المتجانسة و التناغم الموسيقي .

الحديث السادس :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : مَا لِي لَا يَدْخُلَنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي ، وَقَالَ لِلنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابٌ أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَلُؤُهَا ، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَصْعَ فِيهَا رِجْلُهُ ، فَتَقُولُ : قَطِّ قَطِّ قَطِّ ، فَهَذَا لِكَ تَمْتَلِي وَ يُزَوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَ لَا يَظْلَمُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلٍ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَ أَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا)^(١) .

المضمون العام للحديث :

وَضَّحَ الحديث القدسي احتجاج الجنة و النار ، و أن الجنة من رحمة الله ، و النار من عذابه ، و قد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم الحديث بقوله : (تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ) أي تخاصمت^(٢) ، ذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أن كل واحدة تدلي بحجتها ، و هذا من الأمور الغيبية التي يجب علينا أن نؤمن بها حتى و إن استبعدتها العقول و حار الإنسان ، و قال : كيف تتحاج الجنة و النار و هما جمادان؟!^(٣) .

فالجنة احتجت على النار ، و النار احتجت على الجنة . النار احتجت بأن فيها المتكبرين و المتجبرين : و قيل هما بمعنى ، و قيل المتكبر المتعاضم بما ليس منه و المتجبر الممنوع الذي لا يوصل إليه ، و قيل : الذي لا يكثرث بأمر ، و الجنة احتجت بما فيها من ضعفاء الناس و سقطهم أي المحترقون بينهم الساقطون من أعينهم ، هذا بالنسبة إلى ما عند الأكثر الناس ، و بالنسبة إلى ما عند الله هم عظماء رفعا الدرجات ،

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، من سورة الحاقة ، رقم الحديث : ٤٥٣ ،

مرجع سابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، من سورة ق ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ٧٥٩ .

(٣) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

لكنهم بالنسبة إلى ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم و خضوعهم له في غاية التواضع لله و الذلة في عبادته ، فوصفهم بالضعف و السقط بهذا المعنى صحيح ، أو المراد بالحصص في قول الجنة (إلا ضعفاء الناس) الأغلب ، قال النووي : هذا الحديث على ظاهره ، و إن الله يخلق في الجنة و النار تميزاً يدركان به و يقدران على المراجعة و الاحتجاج ، و يحتمل أن يكون بلسان الحال ^(١) .

فقضى الله عز و جل بينهما (قال للجنة أنت رحمتي ، أرحم بك من أشياء من عبادي) و قال للنار : (إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي) ، إنك الجنة رحمتي : يعني أنها الدار التي نشأت من رحمة الله ، و ليست رحمة الله هي صفته ؛ لأن رحمته التي هي صفته وصف قائم به ، لكن الرحمة هنا مخلوق ، أنت رحمتي يعني خلقتك برحمتي ، أرحم بك من أشياء .

و قال للنار : أنت عذابي أعذب بك من أشياء كقوله تعالى : ﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [العنكبوت : ٢١] فأهل الجنة هم أهل رحمة الله ، و أهل النار هم أهل عذاب الله .

و قد تكفل الله و أوجب على نفسه أن يملأ الجنة و يملأ النار ، و فضل الله سبحانه وتعالى و رحمته أوسع من غضبه ، فإنه إذا كان يوم القيامة ألقى من يلقي في النار ، و هي تقول : هل من مزيد يعني أعطوني ، أعطوني ، زيدوا . فيضع الله عليها رجله ، فينزوي بعضها على بعض ، ينضم بعضها إلى بعض من أثر وضع الرب عز و جل عليها قدمه ، و تقول : قط قط ، يعني كفاية كفاية و هذا ملؤها .

أما الجنة فإنها واسعة ، عرضها السموات و الأرض يدخلها أهلها و يبقى فيها فضل زائد على أهلها ، فينشئ الله تعالى لها أقواماً فيدخلهم الجنة بفضله و رحمته ؛ لأن الله تكفل لها بملكها ^(٢) .

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، من سورة ق ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ٧٥٩ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٦ - ٣٧ .

موضع الشاهد :

(... قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي ، وَ قَالَ لِلنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابٌ أُعَذِّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي ...) .

التحليل البلاغي :

كانت المقابلة في الحديث القدسي السابق ثلاثة معانٍ بثلاثة ، حيث ورد في الصدر : (الجنة ، رحمتي ، أرحم) ، و ورد في العجز : (النار ، عذاب ، أعذب) ، وقد كانت المقابلة بليغة أثرت في الأسلوب شكلاً و مضموناً ، و كان الغرض من وجودها الوفاء بالمعنى و التمام بالغرض مع إحداث الرونق و الجمال و البهجة ، و لولا وجود تلك الجمل و الألفاظ بنظمها المقابل لما حدث شيء من ذلك الجمال و الروعة في الشكل و المضمون .

ففي الشكل نجد خطأ من التوازن و التناسب و التجانس بين الألفاظ و الجمل محدثاً تناغماً موسيقياً جذاباً فنجد ذلك في قوله : (أنت رحمتي ، أرحم بك من أشياء من عبادي) ، و يقابله بنفس تركيب الألفاظ و الجمل : (إنما أنت عذابٌ ، أعذب بك من أشياء من عبادي) فذلك السبك القوي و تلك الصورة البديعية تخلق الألباب و تأسر الأسماع .

و في المضمون لعبت المقابلة دوراً مهماً في أداء المعنى بأجلى صورته و أكملها و أوفاهها و أوضحها ، صورة مصطحبةً معها عدة ألوان بديعية ، فالرسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يوضح عدة معاني في هذا الحديث وهي :

- حجاج الجنة و النار و هما جمادان .
- رد رب العزة على الجنة و النار .
- كيفية ملء الجنة و النار .

فبالنسبة للمعنى الأول وضَّح صلى الله عليه و سلم خصام الجنة و النار عند رب العالمين ، و قد اختلف في ذلك الخصام فمنهم من يقول إنه على الحقيقة ، و منهم من يجعله مجازاً^(١) ، و سواء أكان هذا أم ذاك يظهر إعجاز الرب تبارك و تعالى ، و تظهر حقيقة أن معظم سكان النار من المتكبرين و المتجبرين ، و أن معظم سكان الجنة هم ضعفاء الناس و سقطهم^(٢) ، و قد تأكَّد المعنى بالجمع بين الأضداد أو (الطباق) .

و بالنسبة للمعنى الثاني و هو كيفية رد رب العزة على الجنة و النار ، نجد أن الله عز وجل قد تقدم بالرد على الجنة قبل النار و ذلك للدلالة على سمو شأنها ، و علو منزلتها ، و رفعة قدرها ، و قدر من يسكنها ، و تكريماً لها ، فقال الله لها : (أنت رحمتي ، أرحم بك من أشياء من عبادي) فالجنة من رحمة الله و ليست رحمة الله ؛ لأن رحمته صفة من صفاته ، و النار عذاب الله فحرها شديد ، و قعرها بعيد ، و مقامع أهلها من حديد ، يقذف بها كل متكبر جبار عنيد .

و بالنسبة للمعنى الثالث : كيفية ملء الجنة و النار فالجنة ينشئ الله لها خلقاً جديداً لكي تمتلئ ، و أما النار و العياذ بالله فيقذف بها ساكنيها و تطلب و تقول : هل من مزيد ؟ هل من مزيد ؟ إلى أن يضع الله رحله^(٣) فيها فيجتمع بعضها إلى بعض . و يظهر في هذا القسم روعة التقسيم " فأما النار .. وأما الجنة .. " و قد أفاد التقسيم هذا التفصيل بعد الإجمال و الإيضاح بعد الإبهام ، فإذا جاء المعنى مفصلاً و موضحاً و مبيناً ثبت في الذهن و تمكن في النفس ، فمصير العباد يوم القامة اثنان لا ثالث لهما : إمَّا جنة عرضها السموات و الأرض ، و إمَّا نار محرقة مظلمة لا يدرك قعرها .

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٣ ، كتاب التوحيد ، ص ٥٣٨ - ٥٣٩ .

(٢) : يُراجع بالتفصيل ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٨ ، كتاب التفسير ، مرجع سابق ، ص ٧٥٩ - ٧٦٠ .

(٣) : اختلف المراد بالرجل فطريق السلف في هذا و غيره مشهورة ، و هو أن تمر كما جاءت و لا يعترض لتأويله بل تعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله و خاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك ، انظر : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٣١ - ٣٥ ، أيضاً انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٣ ، كتاب التوحيد ، مرجع سابق ، ص ٥٤٠ ، ٥٤١ .

الحديث السابع :

أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ : حَدَّثَنَا هَارُونَ - هُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ - الْخَرَّازُ قَالَ : حَدَّثَنَا هَمَّامٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ الْحَسَنِ عَنْ حُرَيْثِ بْنِ قَبِيصَةَ قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا ، فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : فَقُلْتُ : إِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُيسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا ، فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ) .

قَالَ هَمَّامٌ : لَا أَدْرِي هَذَا مِنْ كَلَامِ قَتَادَةَ ، أَوْ مِنَ الرَّوَايَةِ : (فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ ، قَالَ : انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ ؟ فَيُكَمَّلُ بِهِ مَا نَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرَ عَمَلِهِ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ) ^(١) .

المضمون العام للحديث :

وَضَّحَ الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ السَّابِقُ أَنَّ أَوَّلَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يُحَاسَبُ الْعَبْدُ عَلَيْهَا ، وَ يَدْفَقُ عَلَيْهِ فِيهَا هُوَ صَلَاتُهُ .

" و الظاهر : أن المراد بالأعمال الظاهرية التي هي أركان الإسلام ؛ لأن الإيمان هو أول ما يحاسب عليه العبد ، فيحاسب أولاً على الإيمان ، و هو عمل قلبي ، فإذا خلص للعبد الإيمان الذي يتبعه النطق بالشهادتين ، ينتقل به إلى الحساب على بقية أركان الإسلام ، فيبدأ بالحساب على الصلاة ، لأنها عماد الدين ، فمن أقامها فقد أقام الدين ، و من هدمها فقد هدم الدين ؛ و لأنها تتكرر في أيام العمر كلها خمس مرات كل يوم و ليلة ، بخلاف بقية أركان الإسلام ، فالزكاة قد لا تجب على كثير من

(١) : سنن النسائي ، بشرح الإمامين السيوطي و السندي ، ج ١ ، كتاب الصلاة ، باب المحاسبة على

الصلاة ، رقم الحديث : ٤٦٤ ، مرجع سابق ، ص ٣٤٣ .

الناس و هم الفقراء ، و الصيام في كل سنة شهر واحد ، و الحج في العمر مرة واحدة ، و لا يجب إلا على المستطيع .

و المقصود من الحديث بيان فضل الله تعالى ، حيث إنه يكمل انتقاص الفريضة بالتطوع منها ، فيقول لملائكته - و هو أعلم منهم - " انظروا إلى عبدي هل له من تطوع ؟ فإن كان له تطوع فهو يكمل ما انتقص من صلاته ، سواء أكان النقص منها نقصاً في أداء فرضها ، أم نقصاً في كمالها خشوعاً و مبادرة بفعلها و كونها جماعة أو نحو ذلك ، ثم يؤخذ حسابه على بقية الأعمال من الزكاة و الصوم و الحج على حسب ذلك ، أي إذا كان الفرض منها كاملاً فذاك ، و إلا كمل له نقص الفريضة منه بالتطوع .

و الحديث يفيد وجوب المحافظة على الفرائض حيث لا تفريط في الحساب عنها ، كما أنه يفيد استحباب كثرة التطوع في الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج ليكون التطوع جابراً للفريضة " (١) .

موضع الشاهد :

(.... فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَ أَنْجَحَ ، وَ إِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَ خَسِرَ...) .

التحليل البلاغي :

كانت المقابلة في الحديث القدسي السابق ثلاثة معانٍ بثلاثة ، حيث ورد في الصدر : (صلحت ، أفلح ، أنجح) ، و ورد في العجز (فسدت ، خاب ، خسر) .

و مما لا شك فيه أن المقابلة في الحديث السابق لم تكن زخرفاً لفظياً و زينة شكلية لا دخل لها في بلاغة الكلام ، بل نلاحظ أن لها دوراً بارزاً لولا وجودها بهذا النظام

(١) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

المتقابل لما تحققت تلك البلاغة و الرصانة و الجزالة ، و لما تحققت الجمال و الروعة و البهجة .

و كان للمقابلة في الحديث القدسي السابق أثرٌ في تقوية الصلة بين الألفاظ و المعاني و شدة التلاحم بين الأجزاء ، و لا سيما مجيئها في أسلوب الشرط ، و ورد الجواب على الفعل زاد في تأكيد المعنى و جلاء الأفكار ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يقرر و يؤكد و يحقق معنى من المعاني ، و هو أن الصلاة أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة في الحقوق المتعلقة بالله تعالى ، ثم جاء بالمقابلة على شكل أسلوب الشرط لتقرير ذلك المعنى ، حيث قال : " إن صلحت بأدائها صحيحة أو بوقوعها مقبولة فقد أفلح ، أي فاز بمقصوده ، و أنجح أي ظفر بمطلوبه ، فيكون فيه تأكيد ، أو فاز بمعنى خلص من العقاب ، و أنجح أي حصل له الثواب ، و إن فسدت بأن لم تؤد أو أدت غير صحيحة أو غير مقبولة فقد خاب بحرمان المثوبة و خسر بوقوع العقوبة ، و قيل معنى خاب ندم و خسر أي صار محروماً من الفوز و الخلاص قبل العذاب ... " (١) .

من هنا ندرك أن المقابلة في الحديث القدسي السابق ليس ضم الكلمات بعضها إلى بعض كيفما جاء و اتفق ، بل تترتب الكلم على حسب ترتيب المعاني في النفس ، و هذا ما ذكره الشيخ عبد القاهر الجرجاني عندما فرق بين حروف منظومة و كلم منظومة : (.. و أمّا الكلم " نظم الكلم " فليس الأمر فيه كذلك ، لأنك تقتني في نظمها آثار المعاني و ترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض و ليس هو النظم ، الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء و اتفق ، ... " (٢) .

(١): الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٧٧ .

(٢): دلائل الإعجاز ، الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

المبحث الثاني:

المُشَاكَلَة

التعريف باللون البديعي:

أشار ابن أبي الأصبغ المصري بأن المشاكلة : " هي أن يأتي المتكلم في كلامه أو الشاعر في شعره باسم من الأسماء المشتركة في موضعين فصاعداً من البيت الواحد ، و كذلك الاسم في كل موضع من الموضعين مسمى غير الأول، تدل صيغته عليه بتشاكل إحدى اللفظتين الأخرى في الخط و اللفظ و مفهومهما مختلف " (١).

و ذكر السكاكي أن المشاكلة : " هي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته " (٢) .

و وضح الخطيب أن المشاكلة : " هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً " (٣) .

و ذكر التفتازاني منه : - أي من المعنوي - : (المشاكلة و هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه) أي : ذلك الشيء (في صحبته) أي: ذلك الغير ، (تحقيقاً أو تقديراً) أي : وقوعاً محققاً أو مقدرأ ... " (٤) .

و ذكر المغربي : " (و منه) - أي : و من البديع المعنوي - (المشاكلة) أي : النوع المسمى بالمشاكلة (و هو) - أي : و ذلك النوع من البديع المعنوي المسمى بالمشاكلة - هو (ذكر الشيء بلفظ غيره) أي : ذكر المعنى متلبساً في ذلك الذكر بالإتيان بلفظ غير ذلك المعنى ، فالباء في (بلفظ) للملابسة ، و لا يخفى أن تعلق الذكر بالمعنى كما هنا صحيح من باب نسبة ما للبدال للمدلول ، و خرج بقوله : " بلفظ غيره " الذكر المتعلق بالحقيقة ، و دخل فيه جميع أنواع المجاز ؛ لأن الذكر فيها واقع في معانيها في ألفاظ غيرها على ما تقدم من البحث في الاستعارة بالكناية " (٥) .

(١) : تحرير التحرير ، ٣٩٣ .

(٢) : مفتاح العلوم ، ٢٠٠ .

(٣) : الإيضاح ، ٣٤٤ .

(٤) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٠٩-٣١٠ .

(٥) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٠٩-٣١٠ .

و ذكر صاحب العروس : " (ومنه المشاكلة ... الخ) ش المشاكلة ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير تحقيقاً أو تقديراً ... " (١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي المعنوي (المُشاكلة) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) :شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٠٩ - ٣١٠ .

الحديث الأول:

حَدَّثَنِي أَبُو عَسَانَ الْمَسْمَعِيُّ، وَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارِ بْنِ عُثْمَانَ، -
 وَاللَّفْظُ لِأَبِي عَسَانَ وَابْنِ الْمُثَنَّى - قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ
 قَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارِ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُم
 مَا جَهَلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا، حَلَالٌ. وَ إِنِّي خَلَقْتُ
 عِبَادِي خُنَفَاءَ كُلِّهِمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمُ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ
 عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا. وَإِنَّ اللَّهَ
 نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ، عَرَبَهُمْ وَ عَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.
 وَ قَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَ أَبْتَلِي، بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ.
 تَقْرُوهُ نَائِمًا وَ يَقْظَانَ. وَ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا فَقُلْتُ: رَبِّ إِذَا يَثْلَغُوا
 رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ، وَاغْرَهُمْ نُغْرَكَ، وَانْفِقْ
 فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبَعْتُ خَمْسَةَ مِثْلَهُ، وَاقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ
 عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَّصِدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ
 رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ. وَعَقِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ. قَالَ:
 وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ
 أَهْلًا وَلَا مَالًا. وَالْحَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ. وَرَجُلٌ لَا
 يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ). وَذَكَرَ الْبُخْلُ أَوْ الْكُذْبُ

(وَالشَّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ) . وَ لَمْ يَذْكُرْ أَبُو عَسَّانَ فِي حَدِيثِهِ (وَ أَنْفَقُ فَسُنْفِقَ عَلَيْكَ) (١) .

المضمون العام للحديث:

وضَّح الحديث القدسي السابق الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة و أهل النار ، فأوضح أيضًا حفظ الله عز و جل لكتابه من التحريف و التبديل ، و وجوب مجاهدة الكفار و المشركين .

فهذا الحديث من خطب النبي ﷺ الجوامع ، و في أولها يخبر أن الله تعالى أمره بالبلاغ و التعليم للجهال (٢) ، فقال: (إِنْ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُم مَّا جَهَلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا ، حَلَالٌ) فمعنى نخلته أعطيته ، و في الكلام حذف أي : قال الله تعالى : كل مال أعطيته عبدًا من عبادي فهو له حلال ، و المراد إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة و الوصيلة و البحيرة و الحامي و غير ذلك ، و أنها لم تصر حرامًا بتحريمهم ، و كل مال ملكه العبد فهو له حلال حتى يتعلق به حق .

و قوله تعالى : (وَ إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُنَفَاءَ كُلَّهُمْ) أي مسلمين ، و قيل : طاهرين من المعاصي ، و قيل : مستقيمين منبين لقبول الهداية .

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، حَقَّق أصوله على خمس نسخ خطية د . محمد عبد الرحمن المرعشلي ، قدم له : محمد صبحي حلاق ، ط ١ ، ج ١٧ ، كتاب الجنة و صفة نعيمها و أهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة و أهل النار ، رقم الحديث : ٧١٣٦ ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٠هـ) ، ص ١٢٩ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

و قوله تعالى: (وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَأَجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ) فالمراد قيل : أي استخفوهم فذهبوا بهم و أزالوهم عما كانوا عليه و جالوا معهم في الباطل ، و قيل : معناه فيحبسونهم عن دينهم و يصدونهم عنه (١) .

و قوله تعالى: (وَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا) أي: أمرتهم الشياطين بالشرك ، و حرمت عليهم الحلال ، و أحلت لهم الحرام ، فأطاعوهم في ذلك ، فصار الشرك و الفسوق و العصيان هو دين أهل الأرض إلا القليل منهم (٢) .

و قوله تعالى: (وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) فالمقت أشد البغض ، و المراد بهذا المقت و النظر ما قبل بعثة رسول الله ﷺ ، و المراد ببقايا أهل الكتاب الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل (٣) . و قيل من أسباب المقت أيضًا الكبر و الجدل ، و قيل من الأسباب مخالفة الفعل القول ، و قيل أيضًا من الأسباب نكاح نساء الآباء ، كل هذا و غيره أسباب مقت الله عز و جل لأهل الأرض إلا قلة ممن كانوا على الحنفية من أهل الكتاب (٤) .

و قوله تعالى: (وَقَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأُبْتَلِيكَ وَأُبْتَلِيَ بِكَ) فمعناه لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة و غير ذلك من الجهاد في الله حق جهاده ، و الصبر في الله تعالى و غير ذلك ، و أبتلي بك من أرسلتك إليهم ، فمنهم من يظهر إيمانه و يخلص في طاعته ، و من يتخلف و ينابذ بالعداوة و الكفر و من ينافق .

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، حقق أصوله على خمس نسخ خطية د . محمد عبد الرحمن المرعشلي ،

قدم له : محمد صبحي حلاّق ، ج١٧ ، كتاب الجنة و صفة نعيمها و أهلها ، باب الصفات التي

يعرف بها في الدنيا أهل الجنة و أهل النار ، رقم الحديث : ٧١٣٦ ، مرجع سابق ، ص ١٢٩-١٣٠ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ١١ .

(٣) : انظر : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

(٤) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ١١-١٢ .

و قول تعالى: (وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ . تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانِ) ،
فأما قوله تعالى : لا يقبله الماء فمعناه محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل
يبقى على ممر الأزمان . و أما قوله تعالى: تَقْرُؤُهُ نَائِمًا و يقظان فقال العلماء ، معناه
يكون محفوظاً لك في حالتي النوم و اليقظة ، و قيل : تَقْرُؤُهُ في يسر و سهولة (١) .

و قوله : (وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحْرِقَ قُرَيْشًا فَقُلْتُ رَبِّ إِذَا يَنَالُغُوا رَأْسِي فَيَدْعُوهُ
خُبْرَةً) أمره ربه سبحانه أن يحرق قريشاً بالحرب لما عصوا أمره و كفروا و أصروا على
كفرهم (٢) ، فرد عليه رسول الله ﷺ فقال : يشدخوا رأسي و يشجوه كما يشدخ الخبز
أي : يكسر (٣) .

و قوله تعالى: (قَالَ : اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ . وَاعْزُهُمْ نُعْزِكَ . وَأَنْفِقْ
فَسَنْفِقَ عَلَيْكَ . وَابْعَثْ جَيْشًا نَبَعْتُ خَمْسَةَ مِثْلَهُ . وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ
عَصَاكَ) . فهؤلاء المشركون أخرجوا رسول الله ﷺ من مكة ، و لم يكتفوا بذلك إنما
حاربوه ، فالله سبحانه و تعالى أمره بأن يستخرجهم و يغزوهم ، فهو سيقدم له الإعانة
بالعدة و العتاد ، و أمره كذلك بأن ينفق فالله سبحانه سينفق عليه و يمدده و يفلس
عدوه و هو يقاتل ، و أمره كذلك بأن يبعث جيشاً واحداً فالله سيبعث خمسة مثله من
الملائكة يعاونوه و يؤازروه ، و هذا الجيش يكون ممن أطاعه و يتقاتل به من عصاه
و حاربه .

و قوله : (وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُتَسِطِّطٌ مُتَّصِدِّقٌ مُؤَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ
رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى ، وَمُسْلِمٌ . وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ) ذكر صفات
أهل الجنة التي يعرفون بها في الدنيا و هي : السلطان العادل الموفق لما يحب الله .
و الرحمة بالمؤمنين و الأقارب .

(١) : انظر : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

(٣) : انظر : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

و الفقراء والتعفف مع أنه معيل محتاج لأولاده لكن عفته تمنعه من السؤال ^(١) .

وقوله: (وَ أَهْلُ النَّارِ حَمْسَةٌ : الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا ...) فأهل النار في الدنيا هم :

ضعيف العقل الذي لا عقل يزجره من المنكرات و الفواحش و إنما هدفه في الحياة الشهوات و الملذات .

الخائن الذي يعيش على الخيانة في الأهل و المال و في كبير الأمور و صغيرها و الذي لا يعرف أحدًا إلا للخيانة في أهله و وليدته يرعى حولهم لأجل جوارهم .

و البخيل أو الكذاب و كلاهما مذموم .

و الشنظير الفحّاش و هو البذيء سيء الخلق ^(٢) .

موضع الشاهد:

(... وَ اغْرُؤْهُمْ نُغْرَكَ ...) .

التحليل البلاغي:

وردت المشاكلة في الحديث القدسي السابق في لفظ (نُغْرَكَ) حيث ورد هذا اللفظ ليشاكل به اللفظ السابق و هو (اغْرُؤْهُمْ) فالمشاكلة هنا تحقيقه ، فقد وقع المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا ^(٣) .

فقد خرجت تلك الألفاظ من فيه ﷺ عفو الخاطر دون تكلف أو تصنع ، فخلع ﷺ على المعنى جزالة و فخامة و رصانة منقطعة النظير .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص١٣ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ١٣ - ١٤ .

(٣) : انظر : تعريف المشاكلة ص ١٠٢ - ١٠٣ .

فحينما أمره الله تعالى بأن يحرق قريشًا بالحرب ذَكَرَ أنه لا طاقة له بهم ، وإن العتاد و العدة الذي معه لا يقاوم قريشًا بجبروتها و قوتها و إمكانياتها ، فحينئذ قال : (وَ اغْرُهُمْ نُغْرِكَ) فليس المراد أن الله سبحانه يغزو رسوله صلى الله عليه وسلم و يجاربه ، بل إنه يعينه على غزو المشركين و الكفار ، و ذلك بإرساله ملائكته و إمداده بالعتاد و العدة ، فأتى (نُغْرِكَ) ليشارك به اللفظ السابق (اغْرُهُمْ) ، فجاءت كلمة (اغْرُهُمْ) بمعناها الحقيقي و هو الحرب و أما (نُغْرِكَ) فأنت بمعنى نعينك و نساعدك و نمذك بما يحقق النصر لك بإذن الله .

و عندما نعم النظر في قوله: (اغْرُهُمْ) نجده فعل أمر لمفرد واحد فكيف لذلك الفرد الواحد غزو الجماعة ؟ فأنت (نُغْرِكَ) كرد سريع للحث على الغزو من جانبه ﷺ دون تردد أو تفكير أو انتظار ، و للدلالة أيضًا على الكثرة و الصلابة و القوة المهيمنة التي سوف تكتسح كل من أمامة ، فهذا كله لن نجده عندما نستبدل كلمة (نُغْرِكَ) بكلمة (نعينك) فسوف نفتقد هذه المزايا و المحاسن عندما تتغير و تتبدل بالألفاظ الحقيقية لتلك المعاني المرادة فهنا ندرك السر البلاغي من المشاكلة ، فهو " يثير الانتباه ، و ينشط العقول و يستدعي التفكير و التدبر ، و ذلك لأن المعنى المراد يظهر في لفظ غير لفظه " (١) .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ١٤٩ .

الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الزُّهْرِيُّ البَصْرِيُّ ، أَخْبَرَنَا مَالِكُ ابْنِ سَعِيدٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الكُوفِيُّ التَّمِيمِيُّ ، أَخْبَرَنَا الأَعْمَشُ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا ، وَسَخَّرْتُ لَكَ الأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ ، وَتَرَكْتُكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعٌ ، فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِي يَوْمَكَ هَذَا ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : لا ، فَيَقُولُ لَهُ : الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي) (١) .

المضمون العام للحديث:

كان هذا الحديث القدسي في إثبات الكلام للرب عز وجل ، و بيان حال العبد يوم القيامة ، و إظهار فضل الله تعالى على العباد ، فمن نسي الله في الدنيا فإنه عز وجل ينساه يوم القيامة .

فقد بدأ الحديث القدسي بقوله ﷺ : (يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فهنا جملة فعلية مبنية للمجهول فعلها مضارع للدلالة على التجدد و الاستمرار . فيقول الله له : (أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا ، وَ سَخَّرْتُ لَكَ الأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ ، وَ تَرَكْتُكَ تَرَأْسُ وَ تَرْبَعٌ ،) بدأت العبارة باستفهام الغرض منه التقرير ، فالرب أنعم على العباد بنعم كثيرة و عظيمة لا تعد و لا تحصى ، و يعجز الإنسان عن ذكرها ، فمن هذه النعم السمع و البصر ، و هي نعم متعلقة بالإنسان نفسه ، و المال و الولد ، و هذه نعم متعلقة به و بمن حوله ، و أعطاه الجاه و الغنى ، و سَخَّرَ له الأنعام و الحرث و جعل له المركز الاجتماعي المرموق بين قومه " (فترأسهم) إذ صار رئسهم و مقدمهم ، و تربع إذا أخذ ربع الغنمية ، يقال: ربعت القوم إذا أخذت ربع أموالهم أي : ألم أجعلك رئيسًا مطاعًا ، لأن الملك كان يأخذ ربع الغنيمة في الجاهلية

(١) : الجامع الكبير (سنن الترمذي) ، حققه و خرَّج أحاديثه و علق عليه ، شعيب الأرنؤوط - جمال

عبد اللطيف ، ط ٢ ، ج ٤ ، أبواب صفة القيامة و الرقاق و الورع ، رقم الحديث : ٢٥٩٥ ،

(دمشق : الرسالة العلمية ، ١٤١٣ هـ) ، ٤٢٥-٤٢٦ .

دون أصحابه ، و يسمى ذلك الربع المربع " (١) ، فسأله الله عز وجل : (فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِي يَوْمِكَ هَذَا ؟) بمعنى أكنت تعلم أنك ملاقي الله عز وجل يوم القيامة ؟ و هنا استفهام الغرض منه التقرير فالله سبحانه و تعالى أعلم بما سيقوله و بما سيؤول إليه عبده ؟ و لكنه أراد أن يستخرج ذلك من المتكلم نفسه فنتج عن ذلك إثبات و تأكيد و تقرير ، فتأتي إجابة ذلك العبد بلا فيقول الله له : (الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي) فمعنى قوله : " اليوم أتركك في العذاب و كذا فسّر بعض أهل العلم هذه الآية : ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ﴾ قالوا معناه اليوم نتركهم في العذاب " (٢) .

موضع الشاهد:

(... الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي) .

التحليل البلاغي:

وردت المشاكلة في الحديث القدسي السابق بلفظ : (أَنْسَاكَ) حيث ورد هذا اللفظ ليشاكل به اللفظة الثانية و هي : (نَسَيْتَنِي) فالمشاكلة هنا تحقيقية فقد وقع المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيفاً .

فجاءت كلمة النسيان الثانية بمعنى النسيان الحقيقي و هو نسيان ينسب للإنسان ، و أما النسيان الأولى فتعني إهمال الله عز وجل للعبد يوم القيامة فجاءت بمعنى الترك و الإهمال ، فالله سبحانه و تعالى لا ينسب له النسيان ؛ لأنها صفة قصور و نقص تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فقد ورد في كتابه : ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي

(١) : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، للإمام : المباركفوري ، ضبطه : عبد الرحمن محمد عثمان ، د . ط ، ج ٧ ، دار الفكر للطباعة و النشر ، ص ١١٥ .

(٢) : تحفة الإحوذى بشرح جامع الإمام الترمذي ، ج ٧ ، مرجع سابق ، ص ١١٥ ، و انظر في معنى الحديث : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، تحقيق الشيخ : جمال عيتاني د . ط ، ج ١٠ ، كتاب : أحوال القيامة و بدء الخلق ، باب الحساب و القصاص و الميزان ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، د . ت) ، ص ٢١٤ ، و أيضاً انظر : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ٢٨١ .

كِتَبٌ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٤﴾^(١) فالله سبحانه وتعالى نَزَّهَ نفسه عن النسيان فهو محيط بكل صغيرة و كبيرة .

فالسُّرُّ البلاغي من المشاكلة هو حسن الإفادة من أن الصورة صورة التكرير و الإعادة ، فالقارئ للوهلة الأولى قد يظن أن النسيان صفة من صفات الله - تعالى الله عن ذلك - و عند التأمل و إثارة الفكر و العقل و تدبر المعنى يجد أن الألفاظ مشتركة و لكن المعاني مختلفة ، فهنا يرسخ المعنى في ذهن المتلقي و يستقر .

و عند التأمل نجد أن اللفظة المشاكلة قد أتت متقدمة ، و مما يزيد في جمال الأسلوب و حسنه و روعته و سمو بلاغته مشاركة المشاكلة لفن بلاغي آخر و هو التشبيه ، فقد شُبِّهَ نسيان الله تعالى للعبد بمعنى أَمْنَعَكَ الرَّحْمَةَ بنسيان العبد لله بمعنى امتنع عن طاعته ، فتركه الله دون عطف و رحمة ، كما ترك طاعته دون تفكير فيها^(٢) .

(١) : سورة طه: ٥٢ .

(٢) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ٢٨١ .

الحديث الثالث:

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ : حَدَّثَنَا أَبِي : حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ : سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَ أَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْسِي أَتَيْتُهُ هَرُؤَلَةً) (١) .

المضمون العام للحديث:

يعد هذا الحديث القدسي من أحاديث الرجاء العظيمة التي تحت المسلم على حسن الظن بالله عز وجل و الإكثار من ذكره ، و بيان قرب الله من عبده إذا تقرب إليه العبد بأنواع الطاعات.

و قد بدأ الحديث القدسي بقوله تعالى: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) " أي قادر على أن أعمل به ما ظن أي عامل به ، و قال الكرماني : و في السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف و كأنه أخذه من جهة التسوية فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد و هو جانب الخوف لأنه لا يختاره لنفسه بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد و هو جانب الرجاء... ، و قال ابن أبي جمرة : المراد بالظن هنا العلم... ، و قال القرطبي في المفهم : قيل : معنى ظن عبدي بي ظن الإجابة عند الدعاء ، و ظن القبول عند التوبة ، و ظن المغفرة عند الاستغفار ، و ظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكاً بصادق وعده... ، و لذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه مؤقتاً بأن الله يقبله و يغفر له لأنه وعد بذلك ، و هو لا يخلف الميعاد ، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها و أنها لا تنفعه فهذا اليأس من رحمة الله و هو من

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : (وَيَحذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ) و قوله

جلَّ ذكره : (تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ) ، رقم الحديث : ٦٩٥٦ ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

الكبائر ... ، و أما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل و الغرة و هو يجر إلى مذهب المرجئة " (١) .

و قوله تعالى : (وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي) أي بعلمي ، و قال ابن أبي جمرة : معناه فأنا معه بحسب ما قصد من ذكره لي ، فقال : ثم يحتمل أن يكون الذكر باللسان فقط ، أو بالقلب فقط ، أو بهما أو بامثال الأمر و اجتناب النهي (٢) .

و قوله : (فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي) أي إن ذكرني بالتنزيه و التقديس سرًا ذكرته بالثواب و الرحمة سرًا . و قال ابن أبي جمرة : يحتمل أن يكون مثل قوله تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] و معناه : اذكروني بالتعظيم أذكركم بالإينعام... (٣) .

و قوله : (وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ) قال بعض أهل العلم : يستفاد منه أن الذكر الخفي أفضل من الذكر الجهري ، و التقدير : إن ذكرني في نفسه ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحدًا ، و إن ذكرني جهراً ذكرته بثواب أطلع عليه الملاء الأعلى (٤) .

و قوله : (وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) فمعناه قال الخطابي : " في مثل مضاعفة الثواب يقبل ، من أقبل نحو آخر قدر شبر فاستقبله بقدر ذراع ، قال : و يحتمل أن يكون معناه التوفيق له بالعمل الذي يقربه منه ، و قال الكرماني : لما قامت البراهين على استحالة هذه الأشياء في حق الله تعالى و جب أن يكون المعنى : من تقرب إليّ بطاعة قليلة جازيته بثواب كثير ، و كلما زاد في الطاعة أزد في الثواب و إن

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب و يحذركم الله نفسه ، ج ١٣ ، ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٤٧٣ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٤٧٣ .

(٤) : المرجع السابق ، ص ٤٧٣ .

كانت كيفية إتيانه بالطاعة بطريق التأني يكون كيفية إتياني بالثواب بطريق الإسراع ،
و الحاصل أن الثواب راجح على العمل بطريق الكيف و الكم ، و لفظ القرب
و الهرولة مجاز على سبيل المشاكلة أو الاستعارة و إرادة لوازمها " (١) .

موضع الشاهد:

- (... فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ...) .
- (... وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ...) .
- (... وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا
تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمَشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً ...) .

التحليل البلاغي:

وردت المشاكلة في هذا الحديث القدسي بعدة مواضع ؛ ففي الموضع الأول:
(ذَكَرْتُهُ) يشاكل به اللفظ (ذَكَرَنِي) ، فالمشاكلة هنا تحقيقية فقد وقع المعنى بلفظ
غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً ، فذكر الإنسان يختلف عن ذكر الله سبحانه و تعالى ،
فذكر الإنسان يكون بالتنزيه و التقديس و التوحيد لله تعالى ، و ذكر الله يكون بالثواب
و الرحمة و الإعانة و الهداية و المغفرة ، و إن ذكر الإنسان الله سرّاً فسيجازيه و يأجره
سرّاً لا يطلع على ثوابه أحد ، و إن ذكره جهراً في جماعة من الناس فسيذكره بثواب
يطلع عليه الملائة الأعلى .

و مما لا شك فيه أن للمشاكلة سرّاً بلاغياً فهي تخدع المتلقي ، ففي النظرة الأولى
يتوهم أن المعنى الثاني هو عين الأول ، و لكنه بعد إدامة النظر و أعمال الفكر يعلم أنه

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، ص ١٣ ، باب ذكر النبي ﷺ و روايته عن ربه .

غيره ، و أن اللفظين وإن باتا على شاكلة واحدة ، فإن معنى كل منهما يختلف عن الآخر ، و هذا أدعى إلى استقرار المعاني و رسوخها في الذهن ^(١) .

ففي المشاكلة السابقة حثُّ على ذكر الله تعالى في أي حال سواء جهراً أو سراً ، و إن كان السر أفضل من الجهر.

و في الموضوع الثاني وردت المشاكلة في اللفظين : (تَقَرَّبْتُ) و (أَيْتَيْتُهُ) ليشاكل بها اللفظين : (تَقَرَّبَ) و (أَتَانِي) ، و المشاكلة تحقيقية فقد وقع المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً ، فالمعنى من تَقَرَّبَ إليَّ بطاعتي ، تقربت إليه برحمتي ، و بالتوفيق و الإعانة و إن زاد في الطاعة ، زدته توفيقاً و إعانة ، فإن أتاني يمشي و أسرع في طاعتي ، أتيته هرولة ، أي صببت عليه الرحمة ، و سبقته بها و لم أحوجه إلى المشي الكثير للوصول إلى المقصود . و المراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه إلينا بالطاعة ^(٢) .

ففي المشاكلة نجد أن الألفاظ هي نفسها ، و لكن المعاني مختلفة تماماً فتظهر حسن الإفادة من أن الصورة صورة التكرير و الإعادة ، ففيها تنبيه للمتلقي ، و تنشيط للذهن ، و إعمال الفكر (كيف يذكره الله في نفسه ؟ ، كيف يذكره الله في ملاء خيراً منهم ؟ كيف يتقرب إليه ذراعاً و باعاً ؟ وكيف يأتي الله هرولة ؟) فمن هنا ندرك السرَّ البلاغي من المشاكلة .

و مما زاد في جمال المشاكلة و رونقها و بهجتها اكتسائها بأسلوب الشرط ، فقد أحدث كل من فعل الشرط و جوابه تناغماً موسيقياً رناناً أضفى على الأسلوب برمته روعة و بلاغة و بهاء ، فعندما نقف عند فعل الشرط نجد الجواب حاضراً مسرعاً متمكناً من موقعه ، موظفاً أسمى توظيف فنجدته في :

• (فَإِنْ ذَكَرْنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي) .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ١٤٩ .

(٢) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

- (وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ) .
- (وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا) .
- (وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا) .
- (وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) .

فالمتأمل خمس أساليب شرط كل من فعلها و جوابها أفعال ماضية تدل على الثبات و الاستقرار و التأكيد و الجزم .

الحديث الرابع:

حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ . حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ سُهَيْلٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ ، إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا ، دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ . قَالَ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ . ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ . فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ . وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ : إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ . قَالَ : فَيَبْغِضُوهُ جِبْرِيلُ . ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ . قَالَ : فَيَبْغِضُوهُ . ثُمَّ تَوْضَعُ لَهُ الْبِغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ) (١) .

المضمون العام للحديث:

هذا الحديث القدسي يبين علامات حب الله تعالى للعبد ، و يحث على التخلق بها و السعي في تحصيلها .

بدأ الحديث القدسي بجملة اسمية تدل على الثبات و الاستقرار ، و مؤكدة بمؤكد و هو (إِنَّ) فقال : (إِنَّ اللَّهَ ، إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا ، دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ . قَالَ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ . ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ . فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ) ، قال العلماء: محبة الله تعالى لعبده هي إرادته الخير له ، و هدايته ، و إنعامه عليه ، و رحمته " (٢) ، فعندما يحبه الله عز و جل يدعو جبريل عليه السلام كي يحبه ، ثم ينادي جبريل بأهل السماء كي يحبوه أيضًا ، و أمَّا عن كيفية حب جبريل و الملائكة فتحتمل وجهين : " أحدهما : استغفارهم له و ثناؤهم عليه و دعائهم . و الثاني : أن محبتهم على ظاهرها المعروف من المخلوقين ، و هو ميل القلب إليه اشتياقًا إلى لقائه ،

(١) : صحيح مسلم بشرح النووي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ١٥ ، كتاب البر و الصلة و الآداب ،

باب إذا أحسب الله عبدًا حبيه إلى عباده ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ١٥١ .

و سبب حبهم إياه كونه مطيعًا لله تعالى محبوبًا له ، و معنى يوضع له القبول في الأرض أي الحب في قلوب الناس و رضاهم عنه فتميل إليه القلوب وترضى عنه " (١) .

أمّا إذا أبغض و كره الله عبدًا ، " فمعنى بغضه إرادة عقابه أو شقاوته و نحوه " (٢) ، فيدعو جبريل عليه السلام كي يبغضه ، فينادي جبريل أهل السماء كي يبغضوه و معنى البغض قد يكون البغض الحقيقي و هو كره ذلك العبد و النفور منه ، و سبب بغض الله للعبد كونه مخالفًا و عاصيًا لله تعالى ، و معنى توضع له البغضاء في الأرض نفور القلوب منه و كره الناس له و سخطهم عليه .

موضع الشاهد:

• (... إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ، دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ .
قال فِيحِبُّهُ جِبْرِيلُ . ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فيقول : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا
فَأُحِبُّوهُ . فِيحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ...) .

• (... وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فيقول : إِنِّي أَبْغُضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُهُ .
قال : فِيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ . ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا
فَأَبْغِضُوهُ . قال : فِيَبْغِضُوهُ ...) .

التحليل البلاغي:

وردت المشاكلة في الحديث القدسي السابق بموضعين ، الأول : وقعت في لفظي (فِيحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فِيحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ) حيث ورد هذان اللفظان ليشاكل بهما اللفظ السابق و هو (أُحِبُّ) فالمشاكلة هنا تحقيقية فقد وقع المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا .

(١) : انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ١٥ ، كتاب البر و الصلة و

الآداب ، باب إذا أحب الله عبدًا حبه إلى عباده ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ١٥١ .

فاللغة الأولى (أَحَبُّ فَلَانًا) فمحة الله للعبد تعني إرادته الخير له ، و هدايته ، و إنعامه عليه ، و رحمته ، و حصول الثواب له ، أما اللفظان المتشاكلان (فَيُحِبُّهُ جَبْرِيلُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ) فهنا محة مختلفة عن محة الله تعالى ، فيعني استغفار جبريل و الملائكة للعبد ، و ثناءهم عليه و دعاءهم له و قد تعني المحة على ظاهرها ، و هو ميل القلب للعبد و اشتياقه إلى لقائه ، و إرادتهم له خيري الدنيا و الآخرة .

و أما الموضع الثاني فنجد أن المشاكلة وقعت في لفظي (فَيُبْغِضُهُ جَبْرِيلُ ، فَيُبْغِضُوهُ) حيث ورد هذان اللفظان ليشاكل بهما اللفظ السابق و هو (أُبْغِضُ) فالمشاكلة تحقيقية فقد وقع المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا .

فاللغة الأولى (أُبْغِضُ فَلَانًا) يعني أن بغض الله للعبد يكون بإرادة عقابه أو شقاوته ، أما اللفظتان المتشاكلتان (فَيُبْغِضُهُ جَبْرِيلُ ، فَيُبْغِضُوهُ) فقد تعني البغض الحقيقي، أي : الكره و النفور و السخط عليه .

فالتأمل في (أَحَبُّ فَلَانًا ، فَيُحِبُّهُ جَبْرِيلُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ) ، (أُبْغِضُ فَلَانًا ، فَيُبْغِضُهُ جَبْرِيلُ ، فَيُبْغِضُوهُ) يجد أن المشاكلة قد أثارت الانتباه و نشطت العقول و استدعت التفكير و التدبر ، و ذلك لأن المعنى المراد يظهر في لفظ غير لفظه ، فيبدو في رداء غير مألوف و لباس غير معتاد ، مما يثير انتباه المتلقي ، و يستدعي اصغاءه ، و يبعث عقله على التفكير في اللفظ المعروض عليه ، و المعنى المراد منه فإذا علمه بعد ذلك تأكد و ثبت عنده^(١) فهنا ندرك القيمة البلاغية للمشاكلة .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ١٤٩ .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ ابْنُ أَبِي مُزَرِّدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ قَالَتْ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ ؟ ، قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَذَاكَ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَقْرَأُوا إِنَّ شِئْتُمْ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد:

(... أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ ...) ، (... أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ ...) .

التحليل البلاغي:

وردت المشاكلة في الحديث القدسي السابق في لفظي (أَصِلَ وَ أَقْطَعَ) حيث ورد هذان اللفظان ليشاكل بهما اللفظين التاليين لهما و هما (وَصَلَكَ وَ قَطَعَكَ) ، و المشاكلة تحقيقية فقد وقع المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرمانى ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، باب (وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ) ، رقم

الحديث : ٤٥١١ ، مرجع سابق ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) : انظر : البحث ، ص ٩١ .

فالحديث القدسي فيه توضيح لعظم شأن الرحم و فضل واصلها و إثم قاطعها ، و كان للمشاكلة دورها في تحقيق هذا المعنى أشد تحقيق و أروع ، فالناظر في الألفاظ (أَصِلَ ، وَصَلَكَ ، أَقْطَعَ ، قَطَعَكَ) يتوهم أن المعنى واحد ، و لكن بعد إدامة النظر نجد أن اللفظين و إن كانا على شاكلة واحدة إلا أن معنى كل منهما مختلف عن الآخر، و من هنا يرسخ و يستقر المعنى في ذهن المتلقي ، فاللفظان (وَصَلَكَ ، قَطَعَكَ) يعنيان وصل الإنسان لرحمه ، و اللفظان (أَقْطَعَ) بمعنى يصل الله رحمته لوصل رحمه ، و يقطع رحمته لقاطع رحمه ، قال النووي : " و اختلفوا في حد الرحم التي يجب صلتها فقليل : في كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكراً ، و الآخر أنثى حرمت مناكحتهما فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام و أولاد الأخوال ، و احتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة و عمته أو خالتها في النكاح و نحوه ، و جواز ذلك في بنات الأعمام ، و قيل : هو عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث يستوي المحرم و غيره ، و يدل عليه قوله ﷺ : (ثم أدناك ثم أدناك) قلت : و هذا هو الصحيح لقوله تعالى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (١) و أما ما قاله القائل الأول فإنما هو تعريف ذي رحم محرم لا مطلق الرحم و الله أعلم " (٢) .

و من الملاحظ أن اللفظ الذي وقعت فيه المشاكلة جاء متقدماً ، حيث جاء كل من : (أَصِلَ و أَقْطَعَ) على (وَصَلَكَ و قَطَعَكَ) و هو مما زاد في بهاء المشاكلة و روعتها.

و مما لا شك فيه أن المشاكلة كان لها دور بارز في تلاحم أجزاء الكلام و ترابطها ، حيث إن هذا الحديث القدسي مبني على الحوار بين الله تعالى و الرحم .

(١) : سورة الأنفال: ٧٥.

(٢) : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ج ٩ ، كتاب الآداب ، باب البر و الصلة ، ص ١٤٢ .

المبحث الثالث :

التورية

التعريف باللون البديعي:

التورية عند ابن الأصبغ المصري : " يسمّى التّوجيه ، و هو أن تكون الكلمة تحتمل معنيين ، فيستعمل المتكلم أحد احتماليها و يهمل الآخر ، و مراده ما أهمله لا ما استعمله " (١) .

و أطلق السكاكي على التورية (الإيهام) و عرّفها : " بأن يكون للفظ استعمالان : قريب و بعيد ، فيذكر لإيهام القريب في الحال إلى أن يظهر أن المراد به البعيد " (٢) .

و قد عرّف الخطيب القزويني التورية : " أن يطلق لفظ له معنيان : قريبٌ و بعيد ، و يراد به البعيد منهما " (٣) .

و شرح التفتازاني قول الخطيب السابق بقوله : " (التورية و يسمى الإيهام أيضاً و هو أن يطلق لفظ له معنيان قريب و بعيد و يراد البعيد) اعتماداً على قرينة خفية ... " (٤) .

و ذكر ابن يعقوب المغربي : أنّ " (التورية) أي النوع المسمى بالتورية أخذنا من ورى بلفظه إذا أخفى مراده (و يسمى) هذا النوع (الإيهام أيضا) لأن فيه كما يظهر من معناه خفاء المراد و إيهام خلافه ، (و هو) أي هذا النوع المسمى بالتورية و الإيهام هو (أن يطلق لفظ له معنيان) في نفس الأمر أحدهما (قريب و) الآخر (بعيد و يراد) به حال الإطلاق (البعيد) من معنيه ، و لا بد أن تكون

(١) : تحرير النحبير ، ٢٦٨ .

(٢) : مفتاح العلوم ، ٢٠١ .

(٣) : الإيضاح في علوم البلاغة ، ٣٤٨ .

(٤) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٢٢-٣٢٣ .

إرادة البعيد معتمدا فيها على قرينة خفية . و أما أن كانت ثم قرينة ظاهرة صار المعنى قريبا بها و إن كان بعيدا في أصله ، فيخرج عن معنى التورية ، فإن لم تكن ثم قرينة أصلا لم يفهم إلا القريب فيبطل حكم الإرادة و يخرج اللفظ عن التورية أيضا ؛ إذ لو جوزناها بلا قرينة أصلا خرج لفظها عن قانون الاستعمال ، و هو إفهام المراد . فإن قيل المعنى البعيد في التورية مرجوح الاستعمال فلا يكون اللفظ فيه إلا مجازا و هذا المعنى موجود في كل مجاز فحيث كل مجاز يكون تورية ، و ظاهر كلامهم التورية حقيقة مابينة للمجاز و إلا كان كل مجاز من البديع ، قلت بعد تسليم أن المعنى البعيد لا يكون اللفظ فيه إلا مجازا : لا يلزم منه اتحاد المجاز و التورية ، فيكون اللفظ مجازا باعتبار إطلاقه على غير معناه مع وجود القرينة الصارفة له عن الأصل ، و يكون تورية باعتبار كون المراد بعيدا مع خفاء القرينة ، لما تقدم أنا نشترط في كونه تورية خفاء القرينة ، فتلاقي التورية المجاز في مادة واحدة مع كونها غيره ، فإن ظهرت القرينة لم تلاقه أصلا . على أن لنا أن نقول : أي مانع من أن يكون أحد معنيي المشترك بعيدا باعتبار الاستعمال ؟ ، و لو صح النقل بأن اللفظ فيهما مشترك فيظهر كون التورية لا ترتحن بالمجاز " (١) .

و علق صاحب العروس على قول الخطيب : " (و منه التورية الخ) ش أي من المعنوي التورية و هي مصدر وريت الخبر إذا سترته و أظهرت غيره كأنه مأخوذ من وراء الإنسان كأنه يجعله وراءه حيث لا يظهر ، و يسمى أيضا الإيهام و هو أن يطلق لفظ له معنيان قريب و بعيد و يراد البعيد و المراد بقولنا قريب و بعيد : قريب الفهم و بعيدة ، فإن المعنى نفسه لا يوصف ببعد و لا قرب ، و المراد بالمعنيين أكثر من معنى . و أعلم أن قولهم لفظ له معنيان يراد البعيد يتأتى بأن يكون اللفظ له حقيقة و مجاز فيراد مجازة و إن كان غير راجح ، أو حقيقته المرجوحة إن كان مجازة راجحا ،

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٢٢-٣٢٣ .

أو يكون مشتركا و يغلب استعماله في أحدهما بحيث يصير الذهن يتبادر إليه دون الآخر... " (١) .

و دُكِرَ في حاشية الدسوقي أنّ : " (قوله : التورية) منقولة من مصدر ورى الخبر إذا ستره و أظهر غيره لأن فيها ستر المعنى البعيد بالقرب ، (قوله : و يسمى) أي ذلك النوع الإيهام ؛ لأن فيه خفاء المراد و إيهام خلافه (قوله : له معنيان) أي أو أكثر كما في الأطول فهو أخذ بالأقل ، و سواء كان المعنيان حقيقيين أو مجازيين أو أحدهما حقيقيا و الآخر مجازيا لا يعتبر بينهما لزوم و انتقال من أحدهما للآخر ، و بهذا تمتاز التورية عن المجاز و الكناية ، و يعلم أن التورية ليست من إيراد المعنى بطرق مختلفة في وضوح الدلالة حتى تكون من علم البيان ، نعم إذا كان المعنيان مجازيين أو أحدهما مجازيا كانت من علم البيان بالنسبة إلى المعنى الحقيقي لهما أو لأحدهما ، و أما بالنسبة إلى المعنى الذي هو تورية بالقياس إليه فلا ؛ إذ لا علاقة بينهما ، و لا انتقال من أحدهما إلى الآخر فتدبر فإنه مما خفى على بعض الأذكىاء . قاله عبد الحكيم (قوله : قريب و بعيد) أي قريب الفهم لكثرة استعمال اللفظ فيه ، و بعيد عن الفهم لقلة استعمال اللفظ فيه ، فكأن المعنى القريب سائر للبعيد و البعيد خلفه و به صارت التورية من المحسنات المعنوية ، فإن إرادة المعنى المقصود تحت الستر كالصورة الحسية فلو كان المعنيان متساويين في الفهم لم يكن تورية بل إجمالا ، و قوله : اعتمادا على قرينة ، أي : و إن لم يكن هناك قرينة أصلا لم يفهم إلا القريب فيخرج اللفظ عن التورية (قوله : خفية) أي لأجل أن يذهب الوهم قبل التأمل إلى إرادة المعنى القريب ، فلو كانت القرينة واضحة لم يكن اللفظ تورية لعدم ستر المعنى القريب للبعيد . و اعلم

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٢٢-٣٢٣ .

أن خفاء القرينة لا يشترط أن يكون بالنسبة للمخاطب بل يكفي و لو باعتبار السامعين ... " (١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي المعنوي (التورية) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

الحديث الأول:

حدّثنا موسى بن إسماعيل ، حدّثنا حمّاد ، و حدّثنا هناد - يعني ابن السّري - عن أبي الأحوص ، المعنى عن عطاء بن السائب ، قال موسى : عن سلمان الأغر ، و قال هناد : عن الأغر أبي مسلم ، عن أبي هريرة ، قال هناد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي ، و العظمة إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار) (٢) .

المضمون العام للحديث:

ورد الحديث القدسي السابق في سياق النهي عن الكبر و الاستعلاء على الخلق و معناه قال الشيخ الخطابي: " إن الكبرياء و العظمة صفتان لله سبحانه ، اختص بهما لا يشركه أحد فيهما ، و لا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما ؛ لأن صفة المخلوق : التواضع و التذلل ، و ضرب الرداء و الإزار مثلاً في ذلك . يقول - و الله أعلم - : كما لا يشرك الإنسان في رداءه و إزاره أحد فكذلك لا يشركني في الكبرياء و العظمة مخلوق و الله أعلم " (٣) .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٢٢-٣٢٣ .

(٢) : سنن أبي داود ، تعليق : عزت عبيد الدعاس و عادل السيد ، ط ١ ، ج ٤ ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في الكبر ، رقم الحديث : ٤٠٩٠ ، (بيروت : دار ابن حزم ، ١٤١٨ هـ) ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

و قال الشيخ ابن عثيمين " ... فمن نازع الله في عزته و أراد أن يتخذ سلطناً كسلطان الله ، أو نازع الله في كبريائه و تكبر على عباد الله ، فإن الله يعذبه على ما صنع و نازع الله تعالى فيما يختص به " (١) .

فتبين من خلال الحديث شدة تحريم الكبرياء و العظمة فهي ملك لله تعالى ، و من أراد أن ينازع الله في ملكه فسيقذفه الله في نار جهنم و بئس المصير .

و قيل : " يجوز أن يكون الرداء إن شاء الله عبارة عن الجمال و البهاء و الإزارة عبارة عن الجلال و الستر و الحجاب ، كأنه تعالى يقول : لا يجمل الكبرياء ، و لا يحسن بأحد إلا بي ؛ لأن من دون الله فصغار ، الحدث له لازم ، و نسبة العجز عليه ظاهر، و الاضطرار عليه بين ، فكيف يجمل الكبرياء بمن لا ينفك من الحدث و الاضطرار و العجز و الافتقار ، بل يجمل ذلك بالقادر القهار القوي الجبار الغني العلي الوهاب المعطي سبحانه ليس كمثلته شيء ، و الإزار عبارة عن الستر و الحجاب و الامتناع عن الإدراك و الإحاطة به علماً و كيفية لذاته و صفاته كان معناه : حجت خلقي عن إدراك ذاتي و كيفية صفاتي بالعظمة و الجلال ، فقد ونيت الإنس عن كنه صفاته ، و خنست العقول عن كيفية ذاته ، وفرت الأوهام عن حقائق نعوته ، إذ هو الله الذي ليس كمثلته شيء و هو السميع البصير ، و معنى المنازعة الدعوى قولاً و عبارة و فعلاً و إشارة ، و الله أعلم بحقيقة المعنى فيه و المراد منه . انتهى " (٢) .

موضع الشاهد :

(الكبرياء ردائي ، و العظمة إزاري ...) .

التحليل البلاغي :

تظهر التورية في الحديث القدسي السابق في لفظي : (ردائي ، إزاري) ، فالمعنى القريب: الثياب المحسوسة ، و المعنى البعيد : ضرب الله سبحانه و تعالى الرداء و الإزار

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

مثالاً ، فصفتا الكبرياء و العظمة خاصتان بالله تعالى ملتصقتان به ، فكما أن الرداء و الإزار يلصقان بالإنسان و يلازمانه ، و لا يقبل أن يشاركه أحد في رداءه و إزاره ، فذلك الخالق جل و علا جعل هاتين الصفتين ملازمتين له و من خصائص ربوبيته و ألوهيته فلا يقبل أن يشاركه فيهما أحد .

و التورية مبينة^(١) و قد ذكر فيها لازم من لوازم المعنى البعيد و هو : (فمن نازعني واحداً مِنْهُمَا) فهنا تتبين و تتضح التورية و تتقرب ، و قد ورد اللازم بعد لفظي التورية .

و يظهر السرُّ البلاغي من التورية بأنها فن يحتاج إلى تأمل و تدبر ، و من ثم يدرك المتلقي المعنى المراد ، فمن المحال أن يكون لله تعالى رداء و إزار ، و لكنه يريد أن يبين أن العظمة و الكبرياء من خصائصه سبحانه لا يشاركه و لا ينازعه فيها أحد ، كما أن الرداء و الإزار لا يقبل الإنسان أن يشاركه فيهما أحد ، فإذا عرف المتلقي المعنى بعد تدبر و إطالة نظر و جهد ثبت في ذهنه و تأكد لديه .

و مما يزيد من جمال التورية في الحديث السابق وجود الاستعارة فمعنى الاستعارة : " أن الإزار و الرداء يلصقان بالإنسان ، و يلزمانه ، و هما جمال له . قال: فضرب ذلك مثلاً لكون العز و الكبرياء بالله تعالى أحق ، و له ألزم و اقتضاهما جلاله ... " (٢) .

(١) : التورية المبينة : هي ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد المورى عنه ، و سميت مبينة لأن هذا اللازم بينها و يقرها ، (علم البديع ، بسيوي عبد الفتاح فيود ، مرجع سابق ، ص ١٧٩) .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، ص ١٧٧ .

الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ الْهَادِ ، عَنْ عَمْرِو مَوْلَى الْمُطَّلِبِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ اللَّهَ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِيهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ - يُرِيدُ عَيْنِيهِ) (١) .

المضمون العام للحديث:

وضح الحديث القدسي السابق فضل من ذهب بصره ، فقد بدأ الحديث بقوله : (إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِيهِ) بالثنوية ، و قد فسرها آخر الحديث بقوله «يريد عينيه» و لم يصرح بالذي فسرها ، و المراد بالحبيبتين : المحبوتان ؛ لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه ، لما يحصل له بفقدتهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به ، أو شر فيجتنبه .

قوله (فَصَبَرَ) : المراد أن يصبر مستحضراً ما وعد الله به الصابر من الثواب ، لا أن يصبر مجرداً عن ذلك ؛ لأن الأعمال بالنيات ، و ابتلاء الله عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه ، بل إما لدفع مكروهه ، أو لكفارة ذنوبه ، أو لرفع منزلة ، فإذا تلقى ذلك بالرضا تم له المراد .

قوله : (عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ) و هذا أعظم العوض ، لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا و الالتذاذ بالجنة باقٍ ببقائها ، و هو شامل لكل من وقع له ذلك بالشرط المذكور (٢) .

موضع الشاهد:

(١) : صحيح البخاري ، كتاب المرضى ، باب فضل من ذهب بصره ، رقم الحديث : ٥٦٥٣ ، ص

(٢) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٠ ، كتاب المرضى ، باب فضل من ذهب بصره ، ص ١٣٢ .

(إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِيهِ ...) .

التحليل البلاغي:

تظهر التورية في الحديث القدسي السابق في لفظ (بِحَبِيبَتِيهِ) ، فالمعنى القريب : المحبوتان ، و المعنى البعيد : العينان ، و لم يصرح بذكرها ، و ذكر بحبيتيه لأن العينين من أحب أعضاء الانسان إليه لما يحصل له بفقدتهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به ، أو شر فيجتنبه .

و التورية مجردة ^(١) ؛ لأنه جُرِّدَ اللفظ من الملائم للمعنى القريب و المعنى البعيد .

و مما لا شك فيه أن السرّ البلاغي من التورية يظهر في خفاء المعنى و إظهاره بغيره و تستره ، و بعد إنعام النظر يظهر المعنى المراد ، و يظهر بقوله (بِحَبِيبَتِيهِ) أن العينين من أحب الحواس و الأعضاء للإنسان ، " فما من إنسان يقبض الله حبيتيه - يعني عينيه - فيعمى ثم يصبر إلا عوضه الله بهما الجنة ؛ لأن العينين محبوتان للإنسان فإذا أخذهما الله عز وجل و صبر الإنسان و احتسب فإن الله يعوضه بهما الجنة " ^(٢) .

فعندما ندرك المعنى المراد بعد فكر و تأمل يثبت و يستقر و يرسخ في النفوس .

و مما زاد في بهجة الأسلوب و سموّه التشبيه ؛ حيث شبّه العين في الحديث بالمحبوبة ، فعندما يفقد الحبيب محبوبته ينتابه الحزن و الأسى و يعتصره الألم ، و يشحب لونه و تظلم حياته ، فكذلك الإنسان عندما يفقد عينيه ، إلا أن الثاني إن

(١) : التورية المجردة : و هي التي لم يذكر معها لازم من لوازم المعنى القريب المورى به ، و لا من لوازم المعنى البعيد المورى عنه ، أو ذكر فيها لازم لكل منهما... . (علم البديع ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، مرجع سابق ، ص ١٧٥) .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، ص ٣١٣ .

صبر عوضه الله الجنة . فعلى الإنسان الصبر و تفويض الأمر و تسليمه لله تعالى
فالضجر و القلق يفقده الثواب .

الحديث الثالث:

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ . أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الْعَلَاءِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ) ثَلَاثًا غَيْرَ تَمَامٍ . فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ : إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ . فَقَالَ : اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ . فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : فَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَ لِعَبْدِي مَا سَأَلَ . فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي . وَ إِذَا قَالَ : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَّنِي عَلَيَّ عَبْدِي . وَ إِذَا قَالَ : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قَالَ : مَجَّدَنِي عَبْدِي (وَ قَالَ مَرَّةً : فَوُضَّ إِلَيَّ عَبْدِي) فَإِذَا قَالَ : ﴿ إِلَاكَ نَعْبُدُ وَإِلَاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَ بَيْنَ عَبْدِي وَ لِعَبْدِي مَا سَأَلَ . فَإِذَا قَالَ : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَ لِعَبْدِي مَا سَأَلَ (^(١)) .

المضمون العام للحديث:

مما لا شك فيه أن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام ، و أنها من أهم العبادات ؛ فهي العهد بين المسلمين و الكفار ، و هي عمود الإسلام ، و الصلاة صلة بين العبد و ربه ، ففي كل يوم و ليلة يتجه الإنسان إلى خالقه و يقف بين يديه ، منقطعاً عن شواغل الحياة الدنيا فضلاً عليه بالحمد و الشكر و الثناء و الدعاء .

و الحديث القدسي السابق بيّن وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، فقد بدأ الحديث بقوله ﷺ : (مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ) ، قال الخليل

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ٣ ، كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، و إنه إذا لم يحسن الفاتحة و لا أمكنه تعلمها قرأ ما يتيسر له من غيرها ، رقم الحديث: ٣٩٥ ، مرجع سابق ،

ابن أحمد و الأصمعي و أبو حاتم السجستاني و الهروي و آخرون: الخداج النقصان. يقال: خدجت الناقة إذا ألفت ولدها قبل أوان النتاج ، و إن كان تام الحلقة . و أخذجته إذا ولدت ناقصاً ، و إن كان لتام الولادة . و منه قيل لذي اليمين : مخدج اليد ، أي ناقصها . قالوا : فقوله ﷺ «خداج» أي ذات خداج . و قال جماعة من أهل اللغة : خدجت و أخذجت ، إذا ولدت لغير تمام .

و أم القرآن اسم الفاتحة و سميت أم القرآن لأنها فاتحة كما سميت مكة أم القرى لأنها أصلها^(١) .

ثلاثاً ، غير تمام أي ناقصة ، و التمام ضده النقص فقيل لأبي هريرة : إنا نكون وراء الإمام . فقال : (اقرأ بها في نفسك) فمعناه اقرأها سرّاً بحيث تسمع نفسك^(٢) .

و قوله سبحانه و تعالى : (قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَ بَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَ لِعَبْدِي مَا سَأَلَ ... الحديث) ، المراد بالصلاة هنا الفاتحة ، سميت بذلك لأنها لا تصح إلا بها ، كقوله ﷺ : (الحج عرفة) ففيه دليل على وجوبها بعينها في الصلاة ، قال العلماء : و المراد قسمتها من جهة المعنى لأن نصفها الأول تحميد الله تعالى و تمجيده و ثناء عليه و تفويض إليه ، و النصف الثاني سؤال و طلب و تضرع و افتقار ، و احتج القائلون بأن البسملة ليست من الفاتحة بهذا الحديث ، و هو من أوضح ما احتجوا به ، قالوا : لأنها سبع آيات بالإجماع ، فثلاث في أولها ثناء ، أولها الحمد لله ، و ثلاث دعاء أولها اهدنا الصراط المستقيم ، و السابعة متوسطة و هي إياك نعبد و إياك نستعين ، قالوا: و لأنه سبحانه و تعالى قال : (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين) ، فلم يذكر البسملة و لو كانت منها لذكرها ، و أجاب أصحابنا و غيرهم ممن يقول إن البسملة آية من الفاتحة بأجوبة :

(١) : المرجع السابق ، ص ٨٦ - ٨٧ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٨٨ .

أحدها : أن التنصف عائد إلى جملة الصلاة لا إلى الفاتحة ، هذا حقيقة اللفظ .

و الثاني : أن التنصف عائد إلى ما يختص بالفاتحة من الآيات الكاملة .

و الثالث: معناه فإذا انتهى العبد في قراءته إلى الحمد لله رب العالمين . قال العلماء : و قوله تعالى : (حمدني عبدي و أثنى علي و مجدني) إنما قاله لأن التمجيد الثناء بتحميل الفعال ، و التمجيد الثناء بصفات الجلال ، و يقال : أثنى عليه في ذلك كله ، و لهذا جاء جواباً للرحمن الرحيم لاشتمال اللفظين على الصفات الذاتية و الفعلية ، و قوله : و ربما قال : فوض إلى عبدي وجه مطابقة ، هذا لقوله مالك يوم الدين أن الله تعالى هو المنفرد بالملك ذلك اليوم و بجزء العباد و حسابهم ، و الدين الحساب ، و قيل : الجزء ، و لا دعوى لأحد ذلك اليوم ، و لا مجاز و أما في الدنيا فلبعض العباد ملك مجازي ، و يدعى بعضهم دعوة باطلة ، و هذا كله ينقطع في ذلك اليوم ، هذا معناه و إلا فالله سبحانه و تعالى هو المالك و الملك على الحقيقة للدارين و ما فيهما و من فيهما ، و كل من سواه مريب له عبد مسخر ، ثم في هذا الاعتراف من التعظيم و التمجيد و تفويض الأمر ما لا يخفى و قوله تعالى ، فإذا قال العبد : ﴿ **أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ إلى آخر السورة فهذا لعبدي ، هكذا هو في صحيح مسلم و في غيره ، فهؤلاء لعبدي ، و في هذه الرواية دليل على أن (اهدنا) و ما بعده إلى آخر السورة ثلاث آيات لا آيتان ، و في المسألة خلاف مبني على أن البسمة من الفاتحة أم لا ، فمذهبنا و مذهب الأكثرين أنها من الفاتحة و أنها آية ، و اهدنا و ما بعده آيتان ، و مذهب مالك و غيره ممن يقول أنها ليست من الفاتحة ، يقول: اهدنا و ما بعده ثلاث آيات و للأكثرين أن يقولوا هؤلاء ، المراد به الكلمات لا الآيات بدليل رواية مسلم ، فهذا لعبدي و هذا أحسن من الجواب بأن الجمع محمول على الاثنين ، لأن هذا مجاز عند الأكثرين ، فيحتاج إلى دليل على صرفه عن الحقيقة إلى المجاز ، و الله أعلم ^(١) .

(١) : المرجع السابق ، ص ٨٨-٨٩ .

موضع الشاهد:

(مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ ...) .

التحليل البلاغي:

تظهر التورية في الحديث القدسي السابق في لفظ (خِدَاجٌ) ، فالمعنى القريب : الخداج ، يقال : خدجت الناقة إذا أَلقت ولدها قبل أوان النتاج ، و إن كان تام الخلق ، و أخذجته إذا ولدته ناقصاً و إن كان لتمام الولادة ، و المعنى البعيد : الصلاة التي لم يُقرأ فيها سورة الفاتحة .

و التورية مبينة ، و قد ذكر فيها لازم من لوازم المعنى البعيد و هو (مَنْ صَلَّى صَلَاةً) فهنا قرب اللازم التورية و بيّنها و وضحها ، و قد ورد اللازم قبل لفظ التورية .

و مما لا شك فيه أن التورية من ألوان البديع المعنوية التي تحتاج إلى تمعن و تدبر و إدامة نظر ، فالرسول ﷺ أراد أن يبين وجوب قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة و مدى أهميتها و نقصان الصلاة بنقصانها ، فضرب مثل و أتى بلفظ (خِدَاجٌ) و هو لفظ مناسب لتلك البيئة الصحراوية و مطابق لأفهامهم و عقولهم ، و مما زاد في سمو و بلاغة الأسلوب التشبيه حيث شَبَّه الرسول ﷺ الصلاة التي تقرأ بها سورة الفاتحة بالناقة التي تلد ولدها قبل أوانه ، فعندئذ ترسخ و تستقر المعاني في النفوس و تثبت في الأفهام و العقول .

الحديث الرابع:

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنْفَقَ أَنْفِقْ عَلَيْكَ وَ قَالَ : يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةً ، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارَ ، وَ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَ بِيَدِهِ الْمِيزَانَ يَخْفِضُ وَ يَرْفَعُ) (١) .

المضمون العام للحديث:

جاء الحديث القدسي السابق في الحث على الإنفاق في وجوه الخير و فضله و التبشير بالخلف من الله سبحانه و تعالى .

فقد بدأ الحديث بقوله تعالى: (أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ) أنفق الأولى بفتح أوله و سكون القاف في أي مما ينفذ و الثانية (أَنْفِقْ عَلَيْكَ) بضم أوله و سكون القاف مما لا ينفذ إيماء إلى قوله تعالى ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦] و المعنى أنفق الأموال الفانية في الدنيا لتدرك الأحوال العالية في العقبى ، و قيل معناه أعط الناس ما رزقك حتى أنا أرزقك أي في الدنيا و العقبى إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ (٢) .

و قوله : (يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةً ، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارَ) ، فيد الله ملأى كناية عن خزائنه التي لا تنفذ بالعطاء (لَا تَغِيضُهَا) أي لا ينقصها نفقة (سَحَاءُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارَ) الليل والنهار منصوبان على الظرفية ، و (سَحَاءُ) أي

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٧ ، كتاب التفسير ، باب قوله (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) ، رقم الحديث : ٤٣٦٧ ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) : مرقاه المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ج ٤ ، كتاب الزكاة ، باب الإنفاق و كراهية الإمساك ، مرجع سابق ، ص ٣١٨ .

دائمة الصب و الهطل بالعطاء ، و وصفها بالامتلاء لكثرة عطائها ، فجعلها كالعين التي لا ينقصها كثرة الاستقاء منها^(١) .

(وَ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ) أي أخبروني- و فيه حملهم على الإقرار بما بعده (مَا أَنْفَقَ) أي الذي أنفقه (مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَعْصُ) بفتح الياء و كسر الغين ، و بالضاد المعجمتين ، أي لم ينقص (مَا فِي يَدِهِ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَ بِيَدِهِ الْمِيزَانُ) كناية عن العدل بين الخلق (يَخْفِضُ وَ يَرْفَعُ) أي يخفض من يشاء و يرفع من يشاء ، و يوسع الرزق على من يشاء و يقتره على من يشاء^(٢) .

موضع الشاهد:

(... يَدُ اللَّهِ مَلَأَى ...) .

التحليل البلاغي:

تظهر التورية في الحديث القدسي السابق في لفظ (يَدُ اللَّهِ) ، فالمعنى القريب : اليد الجارحة ، و المعنى البعيد : عطاء الله وإحسانه إلى الخلق .

و التورية مجردة و قد ذكر معها لازم لكل من المعنى القريب و المعنى البعيد ، فأما القريب (وَ بِيَدِهِ الْمِيزَانُ) ، و أما البعيد : (لَا تَغِيضُهَا) .

و السرُّ البلاغي من التورية يظهر بأن المعنى يحتاج إلى تدبر و تمعن و إقامة نظر ، و من ثمَّ يدرك المتلقي المعنى المراد ، فالله سبحانه و تعالى في هذا الحديث القدسي يحث بني آدم على الإنفاق و العطاء و بذل المال للمحتاجين و السائلين ، فقال (أَنْفَقْ) فأمره بالإنفاق و العطاء ، و الإنفاق يكون غالباً باليد ؛ و لذلك قال الله سبحانه

(١) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ١١٧ ، و أيضاً ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير سورة هود ، باب قوله : (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) ، مرجع سابق ، ص ٤٤٧ .

(٢) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ١١٧ . و أيضاً ، صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، مرجع سابق ، ١٥٥ .

و تعالى: (يَدُ اللَّهِ مَلَأَى) و هي كناية عن خزائنه و عطائه و إحسانه الذي لا ينضب و لا ينقص .

فالإنسان المنفق يكون الخلف له عطاء الله و إحسانه في الدنيا و الآخرة ، أما في الدنيا فيتجلى في مظاهر كثيرة ، منها : البركة في المال و الرزق ، و الخلف المادي المحسوس بحيث لا يشعر المنفق بأن ماله قد نقص منه شيء بعد الإنفاق ، وكذلك رفع البلاء و انكشاف الغمائم و زوال الأمراض الخ و أما في الآخرة فيتجلى الخلق بمغفرة الذنوب ، و زيادة الأجور ، و رفع الدرجات عند الرب الكريم سبحانه و تعالى^(١) .

فهنا يثبت المعنى و يتمكن من نفس المتلقي ، و قد ساندت التورية عدداً من الألوان البديعية كان لها أثرها في سمو الأسلوب و بلاغته ، و زداته رونقاً و بهجة فظهرت المشاكلة في (أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْكَ) ، و كذلك الجناس^(٢) ، و ظهر الطباق في كل من (سَحَاءُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ) و (خَلَقَ السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ) ، و ظهر مراعاة النظير : (وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٠٨-٣٠٩ .

(٢) : سيأتي بيانه في الفصل الثاني .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ . حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِي صَالِحِ الْأَشْعَرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ عَادَ مَرِيضًا . وَمَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ . مِنْ وَعْكَ كَانَ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَبَشِّرْ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : هِيَ نَارِي أُسَلِّطَهَا عَلَيَّ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا لِتَكُونَ حَظَّهُ ، مِنَ النَّارِ ، فِي الْآخِرَةِ) (١) .

المضمون العام للحديث:

يبين الحديث القدسي السابق فضل إصابة المؤمن بالأمراض وخاصة الحمى .
فقد ورد في أول الحديث (أَبَشِّرْ) و ذلك بعد أن عاد ﷺ مريضاً ، فأبشر تعني افرح و ابتهج بالأجر و الثواب ، و ما أعد الله تعالى لك في الجنة من نعيم و منزل كريم إن صبرت و رضيت عن الله بما ابتلاك به ، و البشارة إن أطلقت لا تكون إلا بالخير .
قوله : (ناري) : و ذلك لما يصيب المريض من ارتفاع درجة حرارته بالحمى و نحوها ، و قيل: لما يجده من الألم .
و قوله : (أُسَلِّطَهَا عَلَيَّ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا) : التسليط هو التمكين من القهر ، و الأمراض جند من جنود الله تعالى يسلمها على من يشاء من عباده فيقهرهم بها ، فإذا نزل المرض بالمؤمن كان رحمة له ، و ذلك لما يترتب على صبره عليه و تسليمه لله تعالى من الأجر و الثواب و مغفرة الذنوب بوعده الله تعالى .

قوله : (لِتَكُونَ حَظَّهُ ، مِنَ النَّارِ ، فِي الْآخِرَةِ) الحظ: النصيب ، و هو هنا ما يستحقه من العذاب في النار يوم القيامة جزاءً وفاقاً لما ارتكبه من الذنوب في الدنيا ،

(١) : سنن ابن ماجه ، تعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ، د . ط ، ج ٢ ، كتاب الطب ، باب الحمى ، رقم

فيجعل الله تعالى المرض ونحوه إذا أصاب المؤمن في الدنيا مقابل ذلك العذاب الأخروي ، فيسقط عنه ما اجتنب الكبائر ، أو تاب منها توبةً نصوحاً^(١).

موضوع الشاهد :

(... هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا ...).

التحليل البلاغي :

تظهر التورية في الحديث القدسي السابق في لفظ : (هِيَ نَارِي) ، فالمعنى القريب : النار المعروفة ، و المعنى البعيد : الحمى ، و التورية مرشحة^(٢) و قد ظهر فيها لازم من لوازم المعنى القريب و هو (لِتَكُونَ حَظَّهُ ، مِنْ النَّارِ ، فِي الْآخِرَةِ) ، و بذلك زادت التورية إيهاماً .

و التورية فن بديعي ، يداعب العقول ، و يروض الأفهام بما فيه من خداع و إيهام ، و تفنن في الكلام و اتساع فيه . و هو أحلى ما استعمل من الكلام و أطفه ، و يدل على تصرف بالغ ، و قوة على تصريف الألفاظ ، و اقتدار على المعاني^(٣) .

فعند قوله تعالى (هِيَ نَارِي) ظهر لنا مدى ما يتجرعه المريض من الأسقام و حجم ما يعتصره من الآلام ، و يعانيه من ارتفاع في درجة حرارة الجسم ، فهذه الحمى بمثابة نار الله في الدنيا و لكنها نار تطفئ الذنوب و تكفر الخطايا بإذن الله إن صبر المؤمن ، و قد تكون سبباً من أسباب دخول الجنة ، فالجنة سلعة الله الغالية التي لا تنال إلا بما تكره النفس ، و من المعروف أن النفس تكره الأمراض و الآفات .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٢-٢٣ .

(٢) : التورية المرشحة : هي التي يذكر فيها لازم المعنى القريب المورى به ... و سميت مرشحة لتقويتها بذكر لازم المعنى القريب غير المراد ؛ فإنها تزداد بذكره إيهاماً... ، (علم البديع ، بسبوي عبد الفتاح فيود ، مرجع سابق ، ص ١٧٧) .

(٣) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

و مما يزيد من بهاء الأسلوب و بلاغته اقتزان التورية بالاستعارة التصريحية ، فقد شبه الحمى بالنار و قد حذف المشبه و صرح بالمشبه به و هي النار ، فهنا يظهر تلاحم المعاني و ترابطها القوي و تناسبها بعضها مع بعض .

الحديث السادس:

حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ ابْنُ أَبِي مُزَرِّدٍ عَنْ
 سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 (خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ
 قَالَتْ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ
 وَ أَفْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ ؟ ، قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَذَلِكَ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ :
 أَقْرُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا
 أَرْحَامَكُمْ ﴾ (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد:

(... فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ ...) .

التحليل البلاغي:

تظهر التورية في الحديث القدسي في لفظ (قَامَتِ الرَّحِمُ) ، فالمعنى القريب : رحم
 المرأة ، و المعنى البعيد : صلة الأقارب و الأرحام .

و التورية مبينة فقد جاء بلازم من لوازم المعنى البعيد و هو (أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَ
 أَفْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ) ؛ فمن واصل أقاربه و رحمه وصل إحسان الله إليه ، و من قاطع
 أقاربه قطعه الله من فضله و إحسانه و عطائه .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ط ٢ ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، باب (وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) ، رقم

الحديث : ٤٥١١ ، مرجع سابق ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) : انظر البحث : ص ٩١ .

و مما لا شك فيه أن السرَّ البلاغي من التورية يظهر في خفاء المعنى و إظهاره بغيره ، و تستره ، و بعد إدامة النظر يظهر المعنى المراد ، و هو وجوب صلة الرحم ، و أنه يجب على الإنسان أن يصل رحمه ، فالله تعالى يصل من وصل الرحم و يعطف عليه و يرضى عنه و يتفضل عليه ، و يقطع من قطع رحمه بالأمر .

و من هنا تتمكن المعاني في النفوس و تستقر .

و قد برق مع التورية لون من ألوان الاستعارة ساند التورية في جمال الأسلوب و بهائه ، قال الطيبي : " هذا القول مبني على الاستعارة التمثيلية كأنه شبه حالة الرحم و ما هي عليه من الافتقار إلى الصلة و الذب عنها بحال مستجير يأخذ بحقو المستجار به ، ثم أسند على سبيل الاستعارة التخيلية ما هو لازم للشبه به من القيام ، فيكون قرينة مانعة عن إرادة الحقيقة ، ثم رشحت الاستعارة بالقول و الأخذ و بلفظ الحقو فهو استعارة أخرى و التثنية فيه للتأكيد ؛ لأن الأخذ باليدين أكد في الاستعارة من الأخذ بيد واحدة " (١) .

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب التفسير ، باب (وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ) ، ص ٧٣٨ .

المبحث الرابع:

المبالغة

التعريف باللون البديعي :

لم يوضح ابن أبي الأصبع المصري والسكاكي شيئاً عن المبالغة ، بينما ذكر الخطيب القزويني : " بأن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدّاً مستحيلاً أو مستبعداً ؛ لئلا يظن أنه غير متناهٍ في الشدة أو الضعف " (١) .

و شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب : " أن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدّاً مستحيلاً أو مستبعداً " وإنما يدعى ذلك (لئلا يظن أنه) أي ذلك الوصف (غير متناه فيه) أي: في الشدة أو الضعف وتذكير الضمير وإفراده باعتبار عوده إلى أحد الأمرين " (٢) .

و ذكر المغربي : " أن يدعى لوصف " أي : أن يثبت لوصف بالدعوى لا بالتحقيق ، و لتضمين (يدعى) معنى الإثبات عداه باللام ، (بلوغه) نائب فاعل يدعى ، (في الشدة) متعلق بمقدر أي : ذاهباً أو مترقياً في مراتب الشدة ، (أو الضعف حدّاً) مفعول بلوغ والتقدير هي أن يدعى مدع أن هذا الوصف بلغ ووصل من مراتب الشدة حدّاً أي : طرفاً و مكاناً " مستحيلاً أو " مكاناً " مستبعداً " يقرب من المحال ... " (٣) .

و ذكر السبكي : " و قدم المصنف عليها المبالغة مطلقاً و هو أن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدّاً مستحيلاً أو مستبعداً لئلا يظن أنه غير متناه في ذلك الوصف و الضمير في قوله فيه مفرد لأنه عائد لأحد المتعاطفين ... " (٤) .

(١) : الإيضاح : ٣٥٩ .

(٢) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٥٨-٣٥٩ .

(٣) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٥٨ .

(٤) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٥٨-٣٥٩ .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي المعنوي (المبالغة) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ ، يَقُولُ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرَجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْنًا إِلَى النَّارِ . قَالَ يَا رَبِّ وَمَا بَعَثَ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ أَرَاهُ قَالَ تِسْعِمِائَةٍ وَ تِسْعَةً وَ تِسْعِينَ فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا ، وَ يَشِيبُ الْوَلِيدُ ، وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَأْجُوجَ وَ مَاْجُوجَ تِسْعِمِائَةٍ وَ تِسْعَةً وَ تِسْعِينَ ، وَ مِنْكُمْ وَاحِدٌ ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ . فَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا) . قَالَ أَبُو أُسَامَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى وَ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَ تِسْعَةً وَ تِسْعِينَ . وَقَالَ جَرِيرٌ وَعَيْسَى بْنُ يُونُسَ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ سَكَرَى وَ مَا هُمْ بِسَكَرَى (١) .

المضمون العام للحديث:

جاء الحديث السابق في الحشر و أهواله ، فقد بدأ صلوات الله عليه بقوله : (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ . يَقُولُ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فَيُنَادِي

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج١٧ ، كتاب التفسير ، سورة الحج ، باب (وَرَى النَّاسَ سُكَارَى) ،

بَصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْنًا إِلَى النَّارِ . قَالَ يَا رَبِّ وَمَا بَعْتُ النَّارِ ...) و البعث بمعنى المبعوث ، و أصلها في السرايا التي يبعثها الأمير إلى جهة من الجهات للحرب و غيرها ، و معناها هنا : ميز أهل من غيرهم ، و إنما خص بذلك آدم لكونه والد الجميع و لكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء^(١) .

و قوله : (قَالَ يَا رَبِّ وَمَا بَعْتُ النَّارِ) : أي و ما مقدار مبعوث النار^(٢) .

و قوله : (مِنْ كُلِّ أَلْفٍ أَرَاهُ قَالَ تِسْعِمِائَةٍ وَ تِسْعَةَ وَ تِسْعِينَ) : " أجاب الكرمانى بأن مفهوم العدد لا اعتبار له فالتخصيص بعدد لا يدل على نفي الزائد ، و المقصود من العديدين واحد و هو تقليل عدد المؤمنين و تكثير عدد الكافرين... " ^(٣) .

و قوله : (فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَ يَشِيبُ الْوَلِيدُ وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) : ظاهرة أن ذلك يقع في الموقف ، و قد استشكل بأن ذلك الوقت لا حمل فيه و لا وضع و لا شيب ، و من ثم قال بعض المفسرين إن ذلك قبل يوم القيامة ، لكن الحديث يرد عليه ، و أجاب الكرمانى بأن ذلك وقع على سبيل التمثيل و التهويل ، و سبق ذلك النووي فقال: فيه وجهان للعلماء فذكرهما ، و قال : التقدير أن الحال ينتهي إلى أنه لو كانت النساء حينئذ حوامل لوضعت كما تقول العرب (أصابنا أمر يشيب منه الوليد) و أقول : يحتمل أن يحمل على حقيقته ، فإن كل أحد يبعث على ما مات عليه ، فتبعث الحامل حاملاً ، و المرضع مرضعة ، و الطفل طفلاً ، فإذا وقعت زلزلة الساعة و قيل ذلك لآدم و رأى الناس آدم و سمعوا ما قيل له وقع بهم من الوجع ما يسقط معه الحمل ، و يشيب له الطفل ، و تذهل به المرضعة ، و يحتمل أن يكون ذلك بعد النفخة الأولى و قبل

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١١ ، كتاب الرقاق ، باب قوله عز وجل (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ

شَيْءٌ عَظِيمٌ) ، مرجع سابق ، ص ٤٧٣ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٤٧٤ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٤٧٤ .

النفخة الثانية و يكون خاصاً بالموجودين حينئذ ، و تكون الإشارة بقوله : (فذاك) إلى يوم القيامة ، و هو صريح في الآية ، و لا يمنع من هذا الحمل ما يتخيل من طول المسافة بين قيام الساعة و استقرار الناس في الموقف ، و نداء آدم لتمييز أهل الموقف لأنه قد ثبت أن ذلك يقع متقارباً كما قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ [النازعات: ١٣ - ١٤] يعني أرض الموقف ، و قال تعالى: ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مِنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ [المزمل: ١٧ - ١٨] و الحاصل أن يوم القيامة يطلق على ما بعد نفخة البعث من أهوال و زلزلة و غير ذلك إلى آخر الاستقرار في الجنة أو النار... " (١).

فذكر النبي ﷺ بعد ذلك (مشقة ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم) بمعنى اشتد ذلك عليهم ، فقال النبي ﷺ : (مِنْ يَأْجُوجَ وَ مَاْجُوجَ تِسْعَمِائَةٍ وَ تِسْعَةً وَ تِسْعِينَ ، وَ مِنْكُمْ وَاحِدٌ) قال الطيبي : فيه إشارة إلى أن يأجوج ومأجوج داخلون في العدد في المذكور و الوعيد كما يدل قوله : (ربع أهل الجنة) على أن في غير هذه الأمة أيضاً من أهل الجنة... " (٢).

ثم بشر النبي ﷺ أصحابه بقوله : (ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ . فَكَبِّرْنَا ...) .

" كبرنا أي عظمنا ذلك أو قلنا : الله أكبر بهذه البشارة ، و كلمة (أَوْ كَالشَّعْرَةِ) يحتمل التنويع من رسول الله ﷺ و الشك من الرواي... " (٣).

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١١ ، كتاب الرقاق ، باب قوله عز وجل (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) ، مرجع سابق ، ص ٤٧٤ - ٤٧٥ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٤٧٦ .

(٣) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٧ ، كتاب التفسير ، سورة الحج ، باب (وَرَى النَّاسَ سُكْرَى) ، رقم الحديث: ٤٤٢٦ ، مرجع سابق ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

موضع الشاهد :

(... فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَ يَشِيبُ الْوَلِيدُ وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى ...) .

التحليل البلاغي :

يظهر الحديث القدسي شدة أهوال يوم القيامة ، في ذلك اليوم الرهيب الذي يخرج الناس من الأجداث في لحظة واحدة كأنهم جراد منتشر ، مسرعين مهطعين إلى الداعي ، و قد خفتت كل حركة و خيّم الصمت الرهيب ، حيث تنتشر صحف الأعمال فينكشف المخبوء ، و يظهر المستور و يفتضح المكنون في الصدور .

و من شدة أهوال ذلك اليوم تضع الحامل حملها ، و يشيب الوليد ، و يرى الناس سكارى و ما هم بسكارى ، و هنا يظهر اللون البديعي المعنوي المبالغة ، فالحديث القدسي بالغ في وصف أهوال يوم القيامة ، و وصل بهذه الأهوال إلى حد بعيد ، فينبغي للعاقل أن يفكر في عاقبة الأمر ، و أن يستعد للنجاة من هذا الهول ، و ذلك الفرع الأكبر ، ذلك اليوم الذي تدك فيه الأرض دكا و تسير الجبال سيرا ، و يحشر الناس حافية أقدامهم ، عارية أجسامهم ، شاخصة أبصارهم ، واجفة قلوبهم .

و للمبالغة في هذا الحديث القدسي قيمة بلاغية كبرى تكمن في الترابط و التلاحم القوي بين العبارات و أجزاء الكلام من أول الحديث إلى آخره ، فقد جاء الرسول ﷺ بأسلوب بليغ سامي قوي خاصةً عندما صوّر أهوال يوم القيامة و ذيلها في (وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ) ، فهنا يتضح التناسب و التوازن في نظمه ﷺ .

و يعد هذا النوع من المبالغة تبليغ ، فالتبليغ ما كان الوصف المبالغ فيه ممكناً عقلاً
و عادة^(١) ، فمن شدة هول يوم القيامة تضع الحامل حملها ، و يرى الناس سكارى
و ما هم بسكارى و ذلك بقدره الله عز وجل .

(١) : علم البديع ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ .

الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَحْيَى بْنُ الْحَمِيدِ عَنْ ابْنِ أَبِي ذَيْبٍ عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبَرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَعَلَى وَجْهِهِ آزَرٌ قَتْرَةٌ وَعَبْرَةٌ ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي . فَيَقُولُ أَبُوهُ : فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ . فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : يَا رَبِّ ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتِ رِجْلَيْكَ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ) (١) .

المضمون العام للحديث:

يظهر في الحديث القدسي السابق لقاء إبراهيم عليه السلام بأبيه آزر يوم القيامة ، و حوار إبراهيم عليه السلام مع الله عز وجل بشأن أبيه .

فقد بدأ الحديث بقوله : (يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ) هذا موافق لظاهر القرآن في تسمية والد إبراهيم ، و قوله : (وَعَلَى وَجْهِهِ آزَرٌ قَتْرَةٌ وَعَبْرَةٌ) هذا موافق لظاهر القرآن ﴿ وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ [عبس: ٤٠، ٤١] أي يغشاها قترة ، فالذي يظهر أن الغبرة الغبار من التراب ، و القترة السواد الكائن عن الكآبة (٢) .

و قوله: (فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي . فَيَقُولُ أَبُوهُ : فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ) في رواية إبراهيم بن طهمان (فقال له قد نهيتك عن هذا فعصيتني ، قال: لكني لا أعصيك واحدة) ، قوله: (فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : يَا رَبِّ ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا

(١) : صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ، و قوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾ ، و قوله ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ ، رقم الحديث : ٣٣٥٠ ، مرجع سابق ، ص ٦٤٠ .

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٨ ، كتاب تفسير القرآن ، سورة الشعراء ، باب (وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ) ، ص ٦٣٤ .

تُخْرِيبِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ) وصف نفسه بالأبعد عن طريق الفرض إذا لم تقبل شفاعته في أبيه ، و قيل الأبعد صفة أبيه ، أي أنه شديد البعد من رحمة الله ؛ لأن الفاسق بعيد منها فالكافر أبعد ، و قيل : الأبعد بمعنى البعيد ، و المراد الهالك (١) .

قوله : (فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ) في حديث أبي سعيد (فينادى: إن الجنة لا يدخلها مشرك) ، قوله : (ثُمَّ يُقَالُ : يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِحٍ ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ) و الذبيخ بكسر الهمزة وفتح الدال المعجمة بعدها تحتانية ساكنة ثم خاء معجمه : ذكر الضباع ، و قيل : لا يقال له ذبيخ إلا إذا كان كثير الشعر . و الضبعان لغة في الضبع . و قوله : مُلْتَطِحٍ قال بعض الشراح : أي في رجيع أو دم أو طين . قيل : الحكمة في مسخه لتنفر نفس إبراهيم منه ، و لئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم ، و قيل : الحكمة في مسخة ضبعاً أن الضبع من أحمق الحيوان ، و آزر كان من أحمق البشر ، لأنه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البينات أصر على الكفر حتى مات . و اقتصر في مسخه على هذا الحيوان لأنه وسط في التشوية بالنسبة إلى ما دونه كالكلب و الخنزير و إلى ما فوقه كالأسد مثلاً ، و لأن إبراهيم بالغ في الخضوع له و خفض الجناح فأبى و استكبر و أصر على الكفر ، فعومل بصفة الذل يوم القيامة ، و لأن للضبع عوجاً فأشير إلى أن آزر لم يستقم فيؤمن بل استمر على عوجه في الدين ... (٢) .

موضع الشاهد:

(...فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِحٍ...) .

التحليل البلاغي:

(١) : المرجع السابق ، ص ٦٣٤ - ٦٣٥ .

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٨ ، كتاب تفسير القرآن ، سورة الشعراء ، باب (وَلَا تُخْرِيبِي يَوْمَ)

يُبْعَثُونَ) ، مرجع سابق ، ص ٦٣٤ - ٦٣٥ .

تظهر المبالغة في الحديث القدسي السابق بقوله : (**فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُّلتَطِخٍ**) و الذيخ : ذكر الضباع ، و لا يقال له ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر كما تقدم ، و ملتطخ : أي رجيع أو دم أو طين ، فالله سبحانه و تعالى بقدرته عندما استشفعه إبراهيم عليه السلام بأن ينجي أباه آزر من النار مسخه ضبعاً ننتاً ؛ و ذلك كي ينفر إبراهيم عليه السلام من ذلك الوالد الأحمق الذي لم يطعه حين دعاه ، بل أبي و استكبر و عصى .

فالحديث القدسي بالغ في وصف حال آزر يوم القيامة حدّاً بعيداً ، و يعد هذا النوع من المبالغة تبليغاً و هو ما كان الوصف المبالغ فيه ممكناً عقلاً و عادة ، فالله عز وجل قادر على أن يمسح ذلك المتكبر المتعالي في الدنيا إلى ضبع ملتطخ ، دون أن يخزي أو يحزن إبراهيم عليه السلام ، قال الكرمانى : " فإن قلت: إذا أدخل الله أباه النار فقد أخزاه لقوله : ﴿ **إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ** ﴾ [آل عمران : ١٩٢] " و خزي الوالد خزي الولد فيلزم الخلف في الوعد و هو محال ، و لو لم يدخل النار لزم الخلف في الوعيد و هو المراد بقوله : إن الله حرم الجنة على الكافرين ، و الجواب أنه إذا مسخ في صورة ضبع و ألقى في النار لم تبق الصورة التي هي سبب الخزي ، فهو عمل بالوعد و الوعيد " (١).

و مما لا شك فيه أن التلاحم و التوازن و الترابط بدى واضحاً في الحديث القدسي ، خاصة و أن الحديث قائم على الحوار .

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٨ ، كتاب تفسير القرآن ، سورة الشعراء ، باب (وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ) ، مرجع سابق ، ص ٦٣٦ .

الحديث الثالث:

حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ سُفْيَانُ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (قَالَ اللَّهُ : أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ
 مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، فَاقْرَءُوا إِن
 شِئْتُمْ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ ^(١) .

المضمون العام للحديث:

يوضح الحديث القدسي السابق نعيم أهل الجنة ذلك النعيم الأبدي الكامل الخالي
 من الأكدار .

فقد بدأ الحديث بقوله ﷺ على لسان ربه عز وجل (أَعَدَدْتُ) : أي هيأت .

و قوله : (لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ) أي : القائمين بما وجب عليهم من حقوق الحق
 و الخلق .

و قوله : (مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) :
 أي أن ما أعده الله تعالى لعباده المتقين في الجنة من نعيم هو من حيث الحقيقة و الواقع
 فوق تصور عقولهم ، و أبعد مما رآته أعينهم و سمعته آذانهم ، بل هو فوق حدود تصور
 كل عقل بشري مفكر ، و رؤية كل عين مبصرة ، و سماع كل أذن واعية .

و هذا العموم أشار إليه قوله : (مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَ لَا خَطَرَ
 عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) ، فقد وردت هذه الألفاظ «عين ، و أذن ، و قلب» في السياق
 نكرة منفية ، و النكرة في سياق النفي تفيد العموم .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٣ ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة و أنها

مخلوقة ، رقم الحديث : ٣٠٣٥ ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ .

فمهما خطر في بال الإنسان من مظاهر النعيم ، و حلق بخياله بعيداً عما تقع عليه عينه و تسمعه أذنه ، فما أعده الله تعالى لعباده في جنته هو أجل و أعظم ، و ما جاء في القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف من وصف نعيم الجنة بما له من مثيل في الدنيا إنما هو لتقريبه إلى الأذهان ، و أما الحقيقة فهي فوق حدود الوصف ، و نجد إشارة إلى ذلك في قوله تعالى : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ^ط تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) ففي جنة الآخرة أنهار ، و عيون ماء ، و فاكهة ، و رمان ، و لحم طير ، و لبن ، و عسل ، و أساور من ذهب . و فضة ، و ثياب ، و آرائك ، و أزواج ، و خيرات حسان ، و لكن شتان بين ما نجد مثله في الدنيا و ما يكون في الآخرة ^(١) .

موضع الشاهد:

(... مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ...) .

التحليل البلاغي:

نعيم الجنة نعيم تام كامل لا يتناهى ، ففيها ما لا عين رأت ، و لا أذن سمعت ، و لا خطر على قلب بشر ، فيها الخير الكثير ، و النعيم الغزير ، و الفرح و السرور ، و اللذة و الحور .

فعند قوله تعالى : (مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) يظهر اللون البديعي المبالغة ، و هي من نوع التبليغ و هي ممكنة عقلاً و عادة ، و ذلك بقدره الله سبحانه و تعالى ، ففي قوله : (أَعَدَدْتُ) يدل على أن الجنة معدة و مخلوقة مسبقاً ، فالله سبحانه و تعالى أعد لعباده المؤمنين الصالحين الجنة ثواباً و جزاءً لهم على أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا ، و قد وصف تلك الجنة بأن فيها نعيماً مقيماً و مهما تخيل عقل الإنسان و قلبه فلن يستطيع إدراك و لو جزءاً بسيطاً من ذلك

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٢ - ٣٣ .

الوصف ، و حينما أخفى الله ذلك النعيم دليلاً على عظمته و لكي تتشوق النفوس إليه و تتلهف القلوب عليه .

فالجنة درجات و كل درجة أعظم من الأخرى ، ففيها الحور ، و القصور ، و الولدان ، و الخيام ، و السرر ، و الأشجار ، و الأنهار ، و الفرش ، و الحلى و.... الخ و أعظم نعيم من ذلك كله هو رؤية الله عز وجل .

أسهمت المبالغة بلا شك في تلاحم عناصر الكلام و ربطت أجزاءه ، و شاركت في إثارة الفكر ، و تنشيط العقل و خاصة في الإبهام الحاصل في هذا الحديث القدسي ، الذي تتشوق النفوس إلى معرفة هذا النعيم و تنشط العقول لتصوره و لو لجزء بسيط .

الحديث الرابع:

حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ نَصْرٍ . أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ عَنْ لَيْثِ بْنِ سَعْدٍ . حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ يُحْيَى عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُعَاوِيَّ ثُمَّ الْحُبَلِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ - رضي الله عنهما - يقول : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلَ مَدِّ الْبَصْرِ ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظْلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ! فَيَقُولُ : أَفَلَاكَ عُذْرٌ ؟ قَالَ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : بَلَى ؛ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : احْضُرْ وَرَزْنَاكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجَلَاتِ ، فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ ، قَالَ : فَتُوضَعُ السِّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ ، فَطَاشَتِ السِّجَلَاتُ وَتَقَلَّتِ الْبِطَاقَةُ ؛ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ) (١) .

المضمون العام للحديث:

حديث البطاقة من الأحاديث التي تبين هول يوم القيامة و شدته على الناس ، و فيه بيان على عظمة كلمة التوحيد التي لا يثقل معها شيء ، فالتوحيد الخالص الذي لا تشوبه شائبة ، و لا يكدره شرك ، و لا تعلق بغير الله تعالى ينجي صاحبه يوم القيامة برحمة الله و فضله .

و قد بدأ الحديث بقوله: (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ) بتشديد اللام أي يميز ويختار (فَيَنْشُرُ) أي يفتح (تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا) أي : كتاباً كبيراً (كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلَ مَدِّ الْبَصْرِ) أي : كل كتاب منها طوله و عرضه مقدار ما يمتد إليه بصر الإنسان ، (ثُمَّ يَقُولُ) : أي الله سبحانه و تعالى (أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا) أي المكتوب (أَظْلَمَكَ

(١) : سنن الترمذي ، إعداد : هشام سمير البخاري ، د . ط ، ج ٣ ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء فيمن يموت و هو يشهد أن لا إله إلا الله ، رقم الحديث : ٢٦٤٤ ، مرجع سابق ، ص ٢٤ - ٢٥ .

كَتَبْتِي (جمع كاتب ، و المراد الكرام الكاتبون (الْحَافِظُونَ) ، أي : لأعمال بني آدم (فَيَقُولُ : أَفَلْكَ عُذْرٌ) أي فيما فعلته من كونه سهواً أو خطأ أو جهلاً و نحو ذلك ، (فَيَقُولُ : بَلَى) أي لك عندنا ما يقوم مقام عذرك (إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً) أي واحدة عظيمة مقبولة . (فيخرج) بصيغه المجهول المذكور ، فتخرج له بطاقة .

قال في النهاية : البطاقة رقعة صغيرة يثبت فيها مقدار ما تجعل فيه إن كان عيناً فوزنه أو عدده ، و إن كان متاعاً فثمنه ، قيل سميت بذلك لأنها تشد بطاقة من الثواب ، فتكون الباء حينئذ زائدة ، و هي كلمة كثيرة الاستعمال بمصر . و قال في القاموس البطاقة : ككتابة الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه ، سميت لأنها تشد بطاقة من هدب الثوب (فِيهَا) : أي مكتوب في البطاقة (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) قال القاري : يحتمل أن الكلمة هي أول ما نطق بها . و يحتمل أن تكون غير تلك المرة مما وقعت مقبولة عند الحضرة ، و هو الأظهر في مادة الخصوص من عموم الأمة (اخْضُرْ وَزَنَكَ) أي الوزن الذي لك ، أو وزن عملك ، أو وقت وزنك ، أو آلة وزنك و هو الميزان ليظهر لك انتقاء الظلم و ظهور العدل و تحقق الفضل .

(فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ) أي الواحدة (مَعَ هَذِهِ السَّجَّلَاتِ) أي الكثيرة و ما قدرها بجنبها و مقابلتها (فقال : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ) أي لا يقع عليك الظلم لكن لا بد من اعتبار الوزن كي يظهر أن لا ظلم عليك فاحضر الوزن . قيل وجه مطابقة هذا جواباً لقوله ما هذه البطاقة ؟ أن اسم الإشارة للتحقير كأنه أنكر أن يكون مع هذه البطاقة المحقرة موازنه لتلك السجلات ، فرد بقوله : إنك لا تظلم بحقيرة ، أي لا تحقر هذه فإنها عظيمة عنده سبحانه ، إذ لا يثقل مع اسم الله شيء ، و لو ثقل عليه شيء لظلمت .

(قَالَ : فَتَوَضَّعُ السَّجَّلَاتُ فِي كِفَّةٍ) أي فرده من زوجي الميزان (وَالْبِطَاقَةُ) أي و توضع (فِي كِفَّةٍ) أي في أخرى (فَطَاشَتِ السَّجَّلَاتُ) أي خفت (وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ) أي رجحت و التعبير بالمضي لتحقيق وقوعه (فَلَا يَثْقُلُ) أي و لا يرجح

و لا يغلب (مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْئًا) و المعنى لا يقاومه شيء من المعاصي بل يترجح ذكر الله تعالى على جميع المعاصي .

فإن قيل : الأعمال أعراض لا يمكن وزنها و إنما توزن الأجسام ، أوجب بأنه يوزن السجل الذي كتب فيه الأعمال و يختلف باختلاف الأحوال أو أن الله يجسم الأفعال و الأقوال فتوزن فتثقل الطاعات و تطيش السيئات لثقل العبادة على النفس و خفة المعصية عليها (١) .

موضع الشاهد:

(... فَطَاشَتِ السَّجَّالَاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْئًا) .

التحليل البلاغي:

ورد اللون البديعي المعنوي المبالغة في قوله : (طَاشَتِ السَّجَّالَاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ) ، و يعد من التبليغ و هو أن يكون الوصف ممكناً عقلاً و عادة ، فبقدره الله و فضله ممكن أن يثقل قول لا إله إلا الله و تطيش السجلات ، و لكن هذا الحديث لا يعني التواكل و ترك العمل ، و التفريط في الواجبات ، و ارتكاب المحرمات ؛ لأن مثل هذه الأحاديث ليست عامة لكل الناس ، بل تدخل تحت مشيئة الله و رحمته ، و قد تقضي مشيئة الله تعالى تعذيب صاحب الكبائر من المسلمين فيكون قد خسر خسراً مبيناً بتفريطه في جنب الله تعالى .

و مما لا شك فيه أن المبالغة ثبتت المعنى و رسخته في النفوس ، إضافة إلى ما لها من فضل عظيم في توحيد أجزاء الكلام و تلاحمه و ترابطه ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يبين و يوضح بأنه لا يثقل و لا يرجح و لا يغلب مع اسم الله شيء من المعاصي ، بل يترجح ذكر الله تعالى على جميع المعاصي ، و أن التوحيد الخالص يُكْفِّرُ

(١) : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، ج ٧ ، أبواب الإيمان ، مرجع سابق ، ص ٣٩٥ - ٣٩٧ .

الله به الخطايا و الذنوب التي دون الشرك و الكفر ، و أن قول لا إله إلا الله و أن محمد عبده و رسوله سبب من أسباب دخول الجنة و النجاة من النار .

الحديث الخامس :

حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ ابْنُ أَبِي مُزَرِّدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ قَالَتْ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ ؟ ، قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَذَلِكَ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : افْرُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد:

(... فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ ...) .

التحليل البلاغي:

لقد أمر الله تعالى في الحديث القدسي السابق بصلة الأرحام ، و البر و الإحسان إليهم ، و نهي و حذر من قطيعتهم و الإساءة إليهم ، وعدَّ ﷺ قطيعة الأرحام مانعاً من دخول الجنة مع أول الداخلين ، و موصلاً للمسيئين لأرحامهم بنار الجحيم .

و يظهر في الحديث عددٌ من الألوان البديعية التي سبق ذكرها إضافة إلى المبالغة ، و تعد من التبليغ الممكن عقلاً و عادة ، فقوله ﷺ : (فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ) و معنى كلمة (أَخَذَتْ) : قالوا أخذت بقائمة من قوائم العرش ، و قال عياض الحقو

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرمانى ، ط ٢ ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، باب (وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) ، رقم

الحديث : ٤٥١١ ، مرجع سابق ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) : راجع البحث : ص ٩١ .

معقد الإزار و هو الموضع الذي يستجار به و يحتزم به على عادة العرب ، لأنه من أحق ما يحامي عنه و يدفع ، كما قالوا : نمنعه مما نمنع منه أزرنا ، فاستعير ذلك مجازاً للرحم في استعاذتها بالله من القطيعة . و قد يطلق الحقو على الإزار نفسه . و قال الطيبي : هذا القول مبني على الاستعارة التمثيلية كأنه شبه حالة الرحم و ما هي عليه من الافتقار إلى الصلة و الذب عنها بحال مستجير يأخذ بحقو المستجار به ، ثم أسند على سبيل الاستعارة التخيلية ما هو لازم للشبه به من القيام فيكون قرينة مانعة عن إرادة الحقيقة ، ثم رشحت الاستعارة بالقول و الأخذ و بلفظ الحقو فهو استعارة أخرى ، و التثنية فيه للتأكيد ؛ لأن الأخذ باليدين أكد في الاستجارة من الأخذ بيد واحدة^(١) .

و قوله (فَأَخَذْتُ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ) مبالغة فيها دلالة كبيرة على عظم شأن الرحم و وجوب وصلها و التحذير من قطعها ، فمن وصلها وصله الله بإحسانه و عطائه و فضله و امتنانه ، و من قطعها قطعه الله و حرمه من فضله و إحسانه و عطائه ، بل إن صلة الرحم تعد سبباً من أسباب دخول الجنة ، و أيضاً سبباً من أسباب البركة في الرزق و العمر و الولد .

و عند التأمل في المبالغة نجد أنها عملت على تلاحم أجزاء الكلام بعضها مع بعض و ترابطها ، إضافة إلى أنها شاركت في استقرار المعاني في النفوس و ترسيخها و تقريرها و تثبيتها .

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ٧٣٧ - ٧٣٨ .

المبحث الخامس :

مراعاة النظر

التعريف باللون البديعي :

ذكر السكاكي أن مراعاة النظر : "هي عبارة عن الجمع بين المشابهات " (١) .

و أشار الخطيب القزويني إلى أن مراعاة النظر : " تسمى التناسب و الائتلاف و التوفيق أيضًا ، و هي أن يجمع في الكلام بين أمر و ما يناسبه لا بالتضاد " (٢) .

و شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب السابق فعندما ذكر " (و منه) أي و من المعنوي (مراعاة النظر و يسمى التناسب و التوفيق) و الائتلاف و التلفيق أيضا (و هي جمع أمر و ما يناسبه لا بالتضاد) و المناسبة بالتضاد أن يكون كل منهما مقابلا للآخر ، و بهذا القيد يخرج الطباق ، و ذلك قد يكون بالجمع بين أمرين ... " (٣) .

و شرح ابن يعقوب المغربي قول الخطيب السابق أيضا بقوله : " (و منه) أي و من البديع المعنوي (مراعاة النظر) أي ما يسمى بمراعاة النظر (و يسمى التناسب و التوفيق) و الائتلاف و التلفيق (أيضا) و يؤخذ من معناه وجه التسمية كما سيذكر الآن (و هو) أي المسمى بمراعاة النظر (جمع أمر و ما يناسبه) أي أن الجمع بين أمرين متناسبين أو أمور متناسبة (لا بالتضاد) بل بالتوافق في كون ما جمع من واد واحد لصحته في إدراك أو لمناسبة في شكل أو لتوقف بعض على بعض أو ما أشبه شيئًا من ذلك ، و بهذا القيد خرج الطباق ؛ لأنه جمع بين أمرين متفقين فأكثر ، بالتضاد ، و قد تقدم أن المراد بالتضاد مطلق التقابل ، و مطلق التنافي في الجملة ، و لما كان في هذا الجمع رعاية الشيء مع نظيره أي شبهه أو مناسبة سمي مراعاة النظر و الجمع في هذا الباب أيضا قد يكون بين أمرين ... " (٤) .

(١) : مفتاح العلوم ، ٢٠٠ .

(٢) : الإيضاح ، ٣٤٠ .

(٣) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٠١-٣٠٢ .

(٤) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٠١-٣٠٢ .

و ذكر صاحب عروس الأفراح أن قوله : " (و منه مراعاة النظير) ش أي هو من التحسين المعنوي قال (و يسمى التناسب و التوفيق أيضا) و يسمى الائتلاف و كان الأحسن تسميته التأليف لموافقة التوفيق ، و هو جمع المتكلم أمرًا مع ما يناسبه لا بالتضاد أي تكون المناسبة بغير المضادة ... " (١) .

و ورد في حاشية الدسوقي على شرح السعد : " (قوله أي و من المعنوي) أي و من البديع المعنوي (قوله جمع أمر و ما يناسبه) أي أن يجمع بين أمرين متناسبين أو أمور متناسبة ، فاقترار المصنف على أمرين لأن ذلك أقل ما يتحقق فيه المناسبة (قوله لا بالتضاد) أي بل بالتوافق في كون ما جمع من واد واحد لصحبه في إدراكه ، أو لمناسبته ، في شكل ، أو لترتب بعض على بعض ، أو ما أشبه شيئًا من ذلك (قوله و المناسبة بالتضاد الخ) هذا يشعر بأن المتضادين متناسبان ، و هو كذلك من جهة أن الضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده (قوله مقابلا للآخر) أي منافيا له (قوله و بهذا القيد) أعنى قوله لا بالتضاد يخرج الطباق لأنه جمع بين أمرين متضادين و قد تقدم أن المراد بالتضاد مطلق التقابل و التنافي في الجمع و لما كان في هذا الجمع رعاية الشيء مع نظيره بشبه أو مناسبة سمي مراعاة النظير (قوله و ذلك) أي الجمع بين أمر و ما يناسبه لا بالتضاد قد يكون أي قد يتحقق بسبب الجمع بين أمرين ... " (٢) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي المعنوي (مراعاة النظير) ، و بيان

قيمه البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و

مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٢) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٠١ - ٣٠٢ .

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١).

المضمون العام للحديث:

بيّن الحديث القدسي عظمة الله سبحانه وتعالى و قدرته ، الذي يملك مقاليد الأمر في السماء و الأرض .

فبدأ الحديث بقوله : (جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ...) و الخبر بفتح الحاء ، أي عالم من علماء اليهود ، قال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسمه ، (إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا نَجِدُ) أي في التوراة (٢) ثم ذكر بعد ذلك ستة من مخلوقات الله سبحانه و دلائل عظمته ، حيث إن الله سبحانه له القدرة و القوة العظيمة في جعل السماوات السبع على إصبع ، و الأرضين على إصبع ، و الشجر على إصبع ، و الماء و الثرى على إصبع ، و سائر الخلائق على إصبع ، و يقول : (فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ) .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، سورة الزمر ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ، رقم الحديث : ٤٤٩٢ ، مرجع سابق ، ٦٩-٧٠ .

(٢) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ٢٥١ .

و قوله : (فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ) : جمع ناجذ بنون و جيم مكسورة ثم ذال معجمة و هو ما يظهر عند الضحك من الأسنان ، و قيل : هي الأنياب ، و قيل : الأضراس ، و قيل الدواخل من الأضراس التي في أقصى الحلق ، قال النووي : ظاهر الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم صدق الخبر في قوله : إن الله يقبض السموات و الأراضين و المخلوقات بالأصابع ، ثم قرأ الآية التي فيها الإشارة إلى نحو ما يقول .

قال القاضي : و قال بعض المتكلمين : ليس ضحكه صلى الله عليه وسلم و تعجبه و تلاوته الآية تصديقاً للحبر بل هو رد لقوله و إنكار و تعجب من سوء اعتقاده ، فإن مذهب اليهود التجسيم ، ففهم منه ذلك ، و قوله تصديقاً له إنما هو من كلام الراوي على ما فهم و الأول أظهر و انتهى .

و قال التميمي : تكلف الخطابي فيه ، و أتى في معناه ما لم يأت به السلف و الصحابة كانوا أعلم بما رووه ، و قالوا : إنه ضحك تصديقاً له . و ثبت في السنة الصحيحة : ما من قلب إلا و هو بين أصبعين من أصابع الرحمن انتهى ، و قد اشتد إنكار ابن خزيمة على من ادعى أن الضحك المذكور كان على سبيل الإنكار . فقال بعد أن أورد هذا الحديث في كتاب التوحيد من صحيحه بطريقه : قد أجل الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يوصف ربه بحضرتة بما ليس هو من صفاته فيجعل بدل الإنكار و الغضب على الواصف ضحكاً بل لا يوصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف من يؤمن بنبوته انتهى .

قلت : قول من قال إن الضحك المذكور كان على سبيل الإنكار لا شك عندي أنه يستأهل أن ينكر عليه أشد الإنكار و الله تعالى أعلم (قال) ثم قرأ رسول صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ أي ما عرفوه حق معرفته ، أو ما عظموه حق عظمتة حين أشركوا به غيره . قال النووي : هذا الحديث من أحاديث الصفات ، و فيها مذهبان : التأويل و الإمساك عنه مع الإيمان بها مع اعتقاد أن الظاهر منها غير مراد ، فعلى قول المتأولين يتأولون الأصابع هنا على الاقتدار أي خلقها مع عظمها بلا

تعب و لا ملل ، و الناس يذكرون الإصبع في مثل هذا للمبالغة و الاحتقار فيقول أحدهم : بإصبعي أقتل زيدا أي لا كلفة علي في قتله ، و قيل : يحتمل أن المراد أصابع بعض مخلوقاته ، و هذا غير ممتنع ، و المقصود أن يد الجارحة مستحيلة انتهى .

قلت:- الإمساك عن التأويل و إقرار هذه الأحاديث كما جاءت من غير تكييف و لا تحريف هو مذهب السلف^(١).

موضع الشاهد:

(... أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالْثَرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ ...) .

التحليل البلاغي:

التناسب عنصر أساسي في بلاغة الكلام ، و عامل قوي في حسنه و جودته ، فالكلام البليغ ينبغي أن تأتلف ألفاظه ، و تتلاءم معانيه ، و ينظم في نسق بديع متلاحم الأجزاء متناسب الدلالات ، و بدون ذلك لا يستحق الكلام وصف البلاغة ، و لا يكون نظماً معتداً به عند البلاغيين^(٢) .

ففي الحديث السابق تتناسب الألفاظ التالية:

(السَّمَاوَاتِ - الْأَرْضِينَ - الشَّجَرَ - الْمَاءَ - الثَّرَى أي التراب - سَائِرِ الْخَلَائِقِ) أدى هذا التناسب اللفظي إلى ترابط المعاني و تلاحم الأجزاء ، تلاحماً وصل به الأسلوب إلى حد البلاغة .

و تظهر القيمة البلاغية من اللون البديعي المعنوي (مراعاة النظير) في أنه من خلال الجمع بين الأمور المتناسبة و هي السماوات و الأرضين و الشجر و الماء و الثرى و سائر الخلائق تظهر مدى قدرة الله و قوته و عظمته في جعلها على أصابعه

(١) : تحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي ، ج ٩ ، مرجع سابق ، ١١٣-١١٤ .

(٢) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٨٤ .

عز و جل ، فينبهر الإنسان بهذه القوة ، و هذه القوة ليست للتخويف ، بل من أجل زرع تعظيمه في نفوسهم تعظيماً يولد حباً و يعين على طاعته و شكر نعمه ، فالنبي صلى الله عليه وسلم أفترَّ الخبر في كلامه حول عظمة الله و قوته .

فكيف أنه بعظمته و قوته عز وجل يستطيع أن يضع السماوات السبع بحجمها و عظمتها على إصبعه ؟ و كيف يضع الرحمن الأرضين بثقلها و صلابتها على إصبعه ؟ و كذلك كيف يضع الأشجار بتنوعها و كثرتها و تشابكها على إصبعه ؟ ، و كيف يضع المحيطات و البحار و الأنهار و العيون و الينابيع على إصبعه ؟ ، و كيف يضع التراب و سائر الخلائق من بشر و حجر و جبال شاهقة و صخور صلبة على إصبعه ؟ ، فأأي عظمة هي عظمة الله ، و أي قوة هي قوته سبحانه ، فكيف يعصيه بشر و كيف يكفر به إنسان ؟ !.

الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ : حَدَّثَنَا أَبِي : حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ : سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَ أَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْسِي أَتَيْتُهُ هَرُؤَلَةً) (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢).

موضع الشاهد:

(... وَ إِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَ إِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ...) .

التحليل البلاغي:

إن التناسب أمر ضروري في بلاغة الأساليب ، و إن الأسلوب البليغ تتلاءم ألفاظه و تتناسب معانيه ، و يكون منظوماً على نسق مؤتلف في شكله و مضمونه (٣) .

و قد ظهر التناسب في الحديث القدسي السابق في (شبر - ذراع - باع) و هي أدوات قياس كان يستخدمها الإنسان قديماً لقياس الأشياء المحسوسة أو القريبة ، و قد

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : (وَيَحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) و قوله

جلّ ذكره : (تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ) ، رقم الحديث : ٦٩٥٦ ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

(٢) : راجع البحث : ص ١١٣ .

(٣) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ص ٩٠ .

وردت في الحديث القدسي بمعنى : " قال ابن بطال : وصف سبحانه نفسه بأنه يتقرب إلى عبده ، و وصف العبد بالتقرب إليه ، و وصفه بالإتيان و الهرولة ، كل ذلك يحتمل الحقيقة و المجاز ، فحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات و تداني الأجسام ، و ذلك في حقه تعالى محال ، فلما استحالت الحقيقة تعين المجاز لشهرته في كلام العرب ، فيكون وصف العبد بالتقرب إليه شبراً و ذراعاً و إتيانه و مشيه معناه التقرب إليه بطاعته و أداء مفترضاته و نوافله ، و يكون تقربه سبحانه من عبده و إتيانه و المشي عبارة عن إثابته على طاعته و تقربه من رحمته " (١) .

فالقيمة البلاغية لمراعاة النظر في هذا الحديث تظهر في تقريب المعاني و تمكينها و استقرارها في نفس المتلقي ، فحينئذ ترسخ و تثبت المعاني في النفس ، فعندما جاء بأدوات القياس قديماً كان موفقاً تماماً فهو أسلوب يتناسب تماماً مع تلك الأفهام خاصة و تلك البيئة ؛ فالله تعالى أسرع بالخيرات إلى العبد و أسرع بالإثابة من فعل العبد للطاعة .

و قد أسهم ضرب المثل المحسوس في هذا الحديث القدسي في ترسيخ المعنى ، إضافة إلى ماله من فضل في تلاحم أجزاء الكلام و ترابط المعاني ، ففي التأمل في هذا الحديث القدسي نجد أنه كعقد اللؤلؤ المنظوم ، و كالرياض الزاهرة بالنسبة لبعضه البعض .

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب ذكر النبي ﷺ و روايته عن ربه ، ج ١٣ ،

مرجع سابق ، ص ٦٣٨-٦٣٩ .

الحديث الثالث:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ : حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ : حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجْرٍ عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحَبَّهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) (١) .

المضمون العام للحديث:

هذا الحديث القدسي في قوم اصطفاهم الله بحبته ، و آثرهم بفضله و رحمته ، و قد بلغ من علو شأنهم و سمو قدرهم أن أعلن سبحانه الحرب على كل من أراد بهم سوءاً أو ألحق بهم أذى .

فقد بدأ الحديث بقوله : (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا) : المراد بولي الله : العالم بالله ، المواظب على طاعته ، المخلص في عبادته (٢) .

و قوله (فَقَدْ آذَنْتُهُ) : بالمد و فتح المعجمة بعدها نون أي أعلمته ، و الإيذان : الإعلام ، و منه أخذ الأذان (٣) . (المراد لازمه) أي أعمل به ما يعمله العدو المحارب من الإيذاء و نحوه (١) .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني، ج ٢٣ ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، رقم الحديث : ٦١١٦ ، مرجع سابق ، ص ٢٢-٢٣ .

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، ج ١١ ، مرجع سابق ، ص ٤١٥ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٤١٦ .

و قوله (بِالْحَرْبِ) : قال الفاكهاني : في هذا تهديد شديد ، لأن من حاربه الله أهلكه ، و هو من المجاز البليغ ، لأن من كره من أحب الله خالف الله ، و من خالف الله عانده ، و من عانده أهلكه ، و إذا ثبت هذا في جانب المعادة ثبت في جانب المولاة ، فمن والى أولياء الله أكرمه الله . و قال الطوفي : لما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة و التقوى تولاه الله بالحفظ و النصره ، و قد أجرى الله العادة بأن عدو العدو صديق ، و صديق العدو عدو ، فعُدو ولي الله عدو الله ، فمن عاداه كان كمن حاربه ، و من حاربه فكأنما حارب الله (٢) .

و قوله : (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ) و يدخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين و الكفاية ، و ظاهره الاختصاص بما ابتدأ الله فرضيته ، و في دخول ما أوجبه المكلف على نفسه نظر للتقييد بقوله افترضت عليه ، إلا أن أخذ من جهة المعنى الأعم ، و يستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله (٣) .

و قوله (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ) : التقرب طلب التقرب ، قال أبو القاسم القشيري : قرب العبد من ربه يقع أولاً بإيمانه ، ثم بإحسانه . و قرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه ، و في الآخر من رضوانه ، و فيما بين ذلك من وجوه لطفه و امتنانه . و لا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعده من الخلق . قال : و قرب الرب بالعلم و القدرة عالم للناس و باللطف و بالنصرة خاص بالخواص ، و بالتأنيس خاص بالأولياء (٤) .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرمانى ، ج٣ ، ٢٣ ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، رقم الحديث : ٦١١٦ ، مرجع سابق ، ص٢٢ .

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، ج١١ ، مرجع سابق ، ص٤١٦ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٤١٦ - ٤١٧ .

(٤) : المرجع السابق ، ص٤١٧ .

قوله : (بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ) : قال الفاكهاني : معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض و دام على إتيان النوافل من صلاة و صيام و غيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى . و قال ابن هيرة : يؤخذ من قوله : (ما تقرب إلخ) أن النافلة لا تقدم على الفريضة ، لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة ، فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة ، و من أدى الفرض ثم زاد عليه النفل و أدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب انتهى (١) .

قوله : (فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا) و قد استشكل كيف يكون الباري جل و علا سمع العبد و بصره... إلخ ؟ و الجواب من أوجه :

أحدهما : أنه ورد على سبيل التمثيل، و المعنى كنت سمعه و بصره في إثارة أمري ، فهو يجب طاعتي ، و يؤثر خدمتي كما يجب هذه الجوارح .

ثانيها : أن المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغى بسمعه إلا إلى ما يرضيني ، و لا يرى ببصره إلا ما أمرته به .

ثالثها : المعنى أجل له مقاصده كأنه يناها بسمعه و بصره إلخ .

رابعها : كنت له في النصرة كسمعه و بصره و يده و رجله في المعاونة على عدوه .

خامسها : قال الفاكهاني و سبقه إلى معناه ابن هيرة : هو فيما يظهر لي أنه حذف مضاف ، و التقدير : كنت حافظ سمعه الذي يسمع به ، فلا يسمع إلا ما يحل استماعه ، و حافظ بصره و كذلك إلخ .

سادسها : قال الفاكهاني : يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله ، و هو أن يكون معنى سمعه مسموعه ، لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول ، مثل : فلان أمني بمعنى مأمولي ، و المعنى أنه لا يسمع إلا ذكري ، و لا يلتذ إلا بتلاوة كتابي ، و لا يأنس إلا

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، ج ١١ ، مرجع سابق ، ص ٤١٧ .

بمناجاتي ، و لا ينظر إلا في عجائب ملكوتي ، و لا يمد يد إلا فيما فيه رضاي ،
و رحله كذلك ، و بمعناه قال ابن هبيرة أيضاً ^(١) .

قوله : (**وَإِنْ سَأَلْتَنِي لِأَعْطِيَنَّكَ وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّكَ**) (**أَعْطَيْتَهُ**) أي بمعنى ما
سأل ، (**لَكِنْ اسْتَعَاذَنِي**) المعنى : (أعدته مما يخاف) ^(٢) .

قوله : (**تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ**) : قال
الخطابي : التردد في حق الله غير جائز ، و البداء عليه في الأمور غير سائغ . و لكن له
تأويلان : أحدهما أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه ، و فاقة
تنزل به ، فيدعو الله فيشفيه منها ، و يدفع عنه مكروها ، فيكون ذلك من فعله كتردد
من يريد أمراً ثم يبدو له فيه فيتركه و يعرض عنه ، و لا بد له من لقائه إذا بلغ الكتاب
أجله ، لأن الله قد كتب الفناء على خلقه و استأثر بالبقاء لنفسه . و الثاني أن يكون
معناه ما رددت رسلي في شيء و أنا فاعله كترددي إياهم في نفس المؤمن ، كما روي
في قصة موسى و ما كان من لطمه عين ملك الموت ، و تردده إليه مرة بعد أخرى ،
قال : و حقيقة المعنى على الوجهين : عطف الله على العبد ، و لطفه به ، و شفقتة
عليه ^(٣) .

قوله : (**يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**) الكراهة هنا لما يلقي المؤمن من الموت
و صعوبته و كربه ، و ليس المعنى أي أكره له الموت ؛ لأن الموت يورده إلى رحمة الله
و مغفرته انتهى .

و يحتمل أن تكون المساءة بالنسبة إلى طول الحياة لأنها تؤدي إلى أرذل العمر ،
و تنكس الخلق و الرد إلى أسفل سافلين ^(٤) .

موضع الشاهد:

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ١١ ، مرجع سابق ، ص ٤١٨ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٤١٨ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٤٢٠ .

(٤) : المرجع السابق ، ص ٤٢١ .

(... كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا
وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ...) .

التحليل البلاغي:

ظهر اللون البديعي المعنوي مراعاة النظير في الحديث القدسي السابق في أربع كلمات و هي: (سمعه ، بصره ، يده ، رجله) و هي من أعضاء الإنسان ، و إنما خص هذه الأعضاء بالذكر دون غيرها " و ذلك أن مساعي الإنسان إنما تكون بهذه الجوارح الأربعة " (١) .

و السرُّ البلاغي من وراء الجمع بين هذه الأمور المتناسبة يظهر في تمكين المعاني و استقرارها في نفس المتلقي ، فالمعنى هو " توفيقه في الأعمال التي باشرها بهذه الأعضاء ، و تيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ، و يعصمه من موقعة ما يكره الله تعالى من إصغاء إلى اللهو مثلاً ، و من نظر إلى ما نهي عنه ، و من بطش مما لا يحل له ، و من سعي في الباطل برجله " (٢) . و مما لا شك فيه إذا علم المتلقي بهذا المعنى فإنه سيرسخ في نفسه و يتثبت .

و من خلال هذا الجمع بين تلك الأمور نجد أنه كان له أثر كبير في بلاغة الاسلوب و سموه و رونقه ، فقد أدى إلى تلاحم أجزاء الكلام ، و ترابط المعاني ، و تقوية السبك ، و تماسك اللبنة ، فنجد أن كل لفظة مفتقرة إلى أختها لا يمكن بثرتها بحال من الأحوال ، أو حتى تغيير مكانها و تبديله .

و يلاحظ هذا الحديث و قد اختاره ﷺ لألفاظه و تمازج تلك الألفاظ مع المعاني ، تمازجاً وصل إلى أسمى الغايات ، فنجد دقته أيضاً ﷺ في أنه لم يقدم البصر على السمع ، و لا الرجل على اليد إنما زُيِّتْ الكلمات حسب ترتيب المعاني في نفسه ﷺ .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرمانى ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، ج٢٣ ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٢٢ - ٢٣ .

الحديث الرابع:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَبِيِّ وَ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) (١).

المضمون العام للحديث:

وضح الحديث القدسي السابق فضل الدعاء في الثلث الأخير من الليل ، فهو من أفضل الأعمال و أجل الطاعات التي رغب فيها الشرع ، فهو دأب الصالحين ، و تجارة المؤمنين .

قال ابن بطال: هو وقت شريف ، خصه الله بالتنزيل فيه ، فيفضل على عباده بإجابة دعائهم ، و إعطاء سؤلهم ، و غفران ذنوبهم ، و هو وقت غفلة و خلوة و استغراق في النوم و استلذاذ له ، و مفارقة اللذة و الدعة صعب ، لا سيما أهل الرفاهية و في زمن البرد . و لذا أهل التعب و لا سيما في قصر الليل ، فمن أثر القيام لمناجاة ربه و التضرع إليه مع ذلك دل على خلوص نيته و صحة رغبته فيما عند ربه ، فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا و علقها ، ليستشعر العبد الجد ، و الإخلاص لربه (٢).

و بدأ الحديث بقوله (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا) قال ابن عثيمين: " نزوله تعالى حقيقي ؛ لأنه كما مر علينا من قبل : أن كل شيء كان الضمير يعود فيه إلى الله ؛ فهو ينسب إليه حقيقة . فعلينا أن نؤمن به و نصدق و نقول : ينزل

(١) : صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب : باب الدعاء نصف الليل ، رقم الحديث : ٦٣٢١ ،

مرجع سابق ، ص ١٢١٦ .

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء نصف الليل ، ج ١١ ، ص ١٥٥ .

ربنا إلى السماء الدنيا ، و هي أقرب السماوات إلى الأرض ، و السماوات سبع ، و إنما ينزل في هذا الوقت من الليل للقرب من عباده جل و علا ؛ كما يقرب منهم عشية عرفة ؛ حيث يباهي بالواقفين الملائكة .

و قوله : (كل ليلة) : يشمل جميع ليالي العام " (١) .

بينما ذكر البيضاوي : " و لما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية و التحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه ، فالمراد نور رحمته ، أي ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب و الانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرأفة و الرحمة " (٢) .

و قوله : (حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ) : " و الليل يتدنى من غروب الشمس اتفاقاً ، لكن حصل الخلاف في انتهائه هل يكون بطلوع الفجر أو بطلوع الشمس ؟ و الظاهر : أن الليل الشرعي ينتهي بطلوع الفجر ، و الليل الفلكي ينتهي بطلوع الشمس " (٣) .

و قوله (مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ... إلخ) الفرق بين الأمور الثلاثة و هي الدعاء و السؤال و الاستغفار ، هو أن المطلوب إما لدفع المضار أو جلب المسار ، و ذلك إما ديني و إما دنيوي ، ففي الاستغفار إشارة إلى الأول ، و في السؤال إشارة إلى الثاني ، و في الدعاء إشارة إلى الثالث . و قال الكرماني : يحتمل أن يقال الدعاء ما لا طلب فيه نحو يا الله ، و السؤال الطلب ، و أن يقال المقصود واحد و إن اختلف اللفظ انتهى (٤) .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٤١٥ .

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٣ ، كتاب التهجد ، باب الدعاء و الصلاة من آخر الليل ، ص ٤٠ .

(٣) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٤١٥ .

(٤) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٣ ، كتاب التهجد ، باب الدعاء و الصلاة من آخر الليل ، ص ٤٠ .

موضع الشاهد:

(... مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) .

التحليل البلاغي:

ظهر التناسب في الحديث القدسي السابق في : (يدعوني ، يسألني ، يستغفروني) وهي من أنواع العبادات التي يجب صرفها لله تعالى خاصة في الثلث الأخير من الليل حيث ينزل الله إلى السماء الدنيا .

مما لا شك فيه أن التناسب في الحديث القدسي السابق كان له أثر واضح في الأسلوب شكلاً و مضموناً ، ففي الشكل نجد ألفاظاً متجانسة و جملاً متوازنة كان لها أثرها الصوتي الرنان بنغماتها الموسيقية ، خاصة عندما استخدم أسلوب الشرط ، حيث إن جميع الجمل الثلاث بدأت (بمن) الشرطية و من ثم أتى بعدها فعلها المضارع و جوابها المقرون بالفاء ، و قد أتى تركيب الجمل بالطبع غير متكلف و لا متصنع ، فلذا نجد تناسبا إلى نفس السامع انسياباً رائعاً و تتمازج مع المعنى تمازجاً آخذاً .

أما في المضمون فنجد المعاني متلاحمة و مترابطة ، فالدعاء يقوي صلة العبد بربه و يفتح له أبواب خيره و نعمه ، ففيه تقضى الحاجات و تدفع الحزن و المصائب و بالأخص ذلك الدعاء الذي يكون في الثلث الأخير من الليل ، حيث ينزل رب العزة فيقول من يدعوني ؟ ، من يسألني ؟ ، من يستغفروني ؟ ، فعندها يعلم ذلك العبد أن تتحقق له طمأنينة القلب و صفاء النفس فيشعر المسلم بالرضا و السكينة و الأمن فينال غاية ما يتمنى الإنسان . فحينئذ تتأكد المعاني ، و تترسخ في نفس المتلقي .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . أَنَّ هَذِهِ، الْآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ قَالَ فِي التَّوْرَةِ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ حِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ لَيْسَ بَفِظٍ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَابٍ بِالْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمِّيًّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا) (١).

المضمون العام للحديث:

لقد كان الصحابة و التابعون حريصين على معرفة وصف الرسول ﷺ في الكتب السابقة بعد معرفتهم لصفته ﷺ في القرآن الكريم ؛ و ذلك كي يزيد إيمانهم و حبهم لنبیهم ﷺ و لإقامة الحججة على أهل الكتاب الذين بشرت كتبهم نبي الإسلام نبي آخر الزمان .

و قد وضح الحديث القدسي السابق بعضاً من صفاته صلى الله عليه وسلم في التوراة ، و قد بدأ الحديث بقوله : (أَنَّ هَذِهِ، الْآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ قَالَ فِي التَّوْرَةِ : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا) أي شاهداً على الأمة ، و مبشراً للمطيعين بالجنة ، و للعصاة بالنار ، أو شاهداً للرسول قبله بالإبلاغ .

قوله : (وَ حِرْزًا) أي حصناً ، و الأميين هم العرب .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، باب (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)

قوله : (سَمِيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ) أي على الله لقناعة باليسير ، و الصبر على ما كان يكره .

قوله : (لَيْسَ بَفِظًا وَلَا غَلِيظًا) هو موافق لقوله تعالى : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن تَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

و لا يعارض قوله تعالى : ﴿ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٣] لأن النفي محمول على طبعه الذي جبل عليه ، و الأمر محمول على المعالجة ، أو النفي بالنسبة للمؤمنين ، و الأمر بالنسبة للكفار و المنافقين كما هو مصرح به في نفس الآية ^(١) .

قوله (وَلَا سَخَابٍ) و يقال : من الصخب بالصاد المهملة بدل السين ، و هو رفع الصوت بالخصام ، و أخذت الكراهة في نفي الصفة المذكورة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما نفيت عنه صفة الفظاظة و الغلظة ^(٢) .

قوله (يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ) هو مثل قوله تعالى : ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ^(٣) .

قوله : (وَلَنْ يَقْبِضَهُ) أي يميته .

قوله : (حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ) أي حتى ينفي الشرك و يثبت التوحيد . و الملة العوجاء : ملة الكفر ، ^(٤) و بذكر الملة العوجاء أي ملة العرب ، و وصفها

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الفتح ، باب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ٧٤٥ .

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب الكيل على البائع و المعطي و قول الله عز وجل ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ ، ج ٤ ، ص ٤٣٤ .

(٣) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الفتح ، باب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ٧٩٤ .

(٤) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الفتح ، باب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ٧٤٦ .

بالعوج بما دخل فيها من عبادة الأصنام ، و المراد بإقامتها أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان ^(١) .

قوله (فَيَفْتَحُ بِهَا) أي كلمة التوحيد (أَعْيُنًا عُمِّيًّا) أي عن الحق ، و ليس هو على حقيقته ، و كذا الكلام في الآذان و القلوب ^(٢) .

موضع الشاهد:

(... فَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمِّيًّا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا) .

التحليل البلاغي:

ظهر التناسب في الحديث القدسي السابق في : (أَعْيُنًا ، آذَانًا ، قُلُوبًا) و هي من أعضاء الإنسان و حواسه المهمة التي يستطيع بامتلاكه لها الاطلاع و الانسجام مع العالم الخارجي .

و السرُّ البلاغي من وراء الجمع بين هذه الأمور المتناسبة يظهر في أنه سبحانه لم يبعث رسولنا صلى الله عليه وسلم إلا ليقوم به الملة العوجاء و هي ملة الكفر ، و حتى يقول هؤلاء البشر المبعوث إليهم : لا إله إلا الله ، بهذه العبارة يُفْتَحُ بِهَا (أَعْيُنًا عُمِّيًّا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا) و تجدر الإشارة إلى أن هؤلاء المبعوث إليهم ليسوا عمي الأبصار و لا صم الآذان و لا غلف القلوب من الناحية الحقيقة ، إنما أتت مجازاً ، فهم عمي عن الحق و طريق الصواب ، و صم الآذان فهم لا يسمعون كلام الله ، و كذلك غلف القلوب فهم لا يدركون و لا يفقهون الصراط المستقيم .

فمن خلال هذه الحواس الثلاث يكون الإنسان مدرِّكاً و عاقلاً و مُميِّزاً بين الخير و الشر و الحق و الباطل ، و مأموراً بالبحث و النظر في الكون ليتأمل و يتدبر ،

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب الكيل على البائع و المعطي و قول الله عز وجل ﴿ وَإِذَا كَانُوا لَهُمْ أَوْ وَرَثَهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ ، ج ٤ ، مرجع سابق ، ص ٤٣٤ .

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الفتح ، باب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ٧٤٦ .

فالمؤمن يسمع و يبصر و يفقه و من عداه من الكفار و المنافقين لا يسمعون و لا يبصرون و لا يفقهون ، فقد عطلوا ما وهبهم الله من أدوات الفهم و الإدراك و التدبر .

فمن هنا نجد أن الجمع بين هذه الحواس الثلاث أريد به تثبيت المعنى الحقيقي و ترسيخه و استقراره في نفس المتلقي ، لا سيما و قد أتت بجمل متوازية متناسبة الأجزاء ، مترابطة المعاني .

المبحث السادس

الجمع و التقسيم

أولاً: الجمع:

التعريف باللون البديعي :

الجمع عند السكاكي : " هو أن تدخل شيئين فصاعداً في نوع واحد " (١) .

و الجمع عند الخطيب : " هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد " (٢) .

و شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب السابق فعندما ذكر " (و منه) أي : و من المعنوي (الجمع ، و هو أن يجمع بين متعدد) اثنين أو أكثر (في حكم واحد كقوله تعالى : (المال و البنون زينة الحياة الدنيا) و نحو قوله) أي قول أبي العتاهية : علمت يا مجاشع بن مسعدة * (أن الشباب و الفراغ و الجدة *) أي الاستغناء (مفسدة) أي داعية إلى الفساد (للمرء أي مفسدة *) ... " (٣) .

و ذكر صاحب عروس الأفراح إلى أن قوله : " (و منه الجمع الخ) ش الجمع اصطلاحاً عبارة عن جمع متعدد في حكم اما اثنين كقوله تعالى : (المال و البنون زينة الحياة الدنيا) أو أكثر كقول الشاعر :

إن الشباب و الفراغ و الجدة * مفسدة للمرء أي مفسدة

و ورد في حاشية الدسوقي على شرح السعد: " (قوله : أن يجمع بين متعدد في حكم) أي شيء محكوم به كالزينة ، و إنما أدخل لفظ بين و لم يقل أن يجمع متعددًا إشارة إلى أن للعدد يجب أن يكون مصرحاً به في الذكر ، و ليس قولنا للبنون زينة

(١) : مفتاح العلوم ، ٢٠٠ .

(٢) : الإيضاح ، ٣٥٢ .

(٣) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٣٥ .

الحيادة الدنيا من قبيل الجمع و سواء كان الجمع ، بين المتعدد بعطف أو غيره ، و سواء كان من نوعين متقاربين أو من أنواع متباعدة ، و سواء كان ذلك الحكم الذي جمع بين المتعدد فيه وقع خبرا عن المتعدد كما في الآية أو البيت أولا كما في قوله :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى و أبو اسحاق و القمر

و المراد بالحكم المحكوم به و لو في المعنى ... " (١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي المعنوي (الجمع) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٣٥ .

الحديث الأول:

حدَّثني بشر بن مرحوم : حدَّثنا يحيى بن سليم ، عن إسماعيل بن أمية ، عن سَعِيد بن أَبِي سَعِيد ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ) (١) .

المضمون العام للحديث:

يتحدث هذا الحديث القدسي أولاً : عن نقض العهد ، و ثانياً : عن أكل الحرام ؛ لأن بيع الحر حرام ، و ثالثاً : عن ظلم العمال ، فلاشك أن هؤلاء الذين يتصفون بهذه الصفات القبيحة يكون الله خصمهم يوم القيامة .

و قد بدأ الحديث بقوله عز وجل على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم : (ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ) قال ابن التين : هو سبحانه و تعالى خصم لجميع الظالمين ، إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح ، و الخصم يُطلق على الواحد و على الاثنين و على أكثر من ذلك .

قوله : (أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ) كذا للجميع على حذف المفعول ، و التقدير : أعطى يمينه بي ، أي عاهد عهداً و حلف عليه بالله ثم نقضه .

قوله : (بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ) خص الأكل بالذكر لأنه أعظم مقصود ؛ قال الخطابي : اعتبار الحر يقع بأمرين : أن يعتقه ثم يكتم ذلك أو يجحد ، و الثاني أن يستخدمه كرهأ بعد العتق ، و الأول أشدهما . قال المهلب: و إنما كان إثمه شديداً لأن

(١) : صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب إثم من باع حراً ، رقم الحديث : ٢٢٢٧ مرجع سابق ، ص

المسلمين أكفاء في الحرية ، فمن باع حرًّا فقد منعه التصرف فيما أباح الله له ، و ألزمه
الذل الذي أنقذه الله منه .

و قال ابن الجوزي : الحر عبد الله فمن جني عليه فخصمه سيده .

و قال ابن المنذر: لم يختلفوا في أن من باع حرًّا أنه لا قطع عليه ، يعني أنه إذا لم
يسرقه من حرز مثله ، إلا ما يروى عن علي : تقطع يد من باع حرًّا قال : و كان في
جواز بيع الحر خلاف قديم ثم ارتفع ، فروى عن علي قال: من أقر على نفسه بأنه عبد
فهو عبد .

قوله : (وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَحِيْرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ) هو في معنى من
باع حرًّا ، و أكل ثمنه لأنه استوفى منفعتة بغير عوض و كأنه أكلها ، لأنه استخدمه
بغير أجرة و كأنه استعبده ^(١) .

موضع الشاهد:

(ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا
فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَحِيْرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ) .

التحليل البلاغي:

الجمع لون بديع يحقق الإيجاز في الأسلوب ، حيث يجمع فيه بين الشئيين أو
الأشياء في خبر واحد . و لو جعل لكل منها خبرًا على حده لطال الكلام و خرج عن
حد الاعتدال ^(١) .

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب إثم من باع حرا ، ج ٤ ، مرجع سابق ،
ص ٥٢٧ - ٥٢٨ .

و قد جمع الله تعالى في الحديث السابق ثلاثة أصناف من الناس في حكم واحد و هو خصومته لهم يوم القيامة ، و ذكرهم على الترتيب حيث بدأ بالرجل الغادر ، و المناقض للعهد ، و الثاني آكل مال الحرام ، و الثالث الذي يستأجر الأجير و لا يعطيه حقه .

مما لا شك فيه أن أول قيمة بلاغية للفن البديعي المعنوي الجمع هي إثارة الفكر ، و التشويق ، و لفت الإنتباه لما سيذكره ، فعندما ذكر الله تعالى الحكم (**ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) ضاعف ذلك الأسلوب من لهفة المتلقي لبيان من هم هؤلاء الذين يخاصمهم الله يوم القيامة ؟ مَنْ مِنَ الْخَلْقِ إِنْسَ أَوْ جِنٌّ أَوْ مَلِكٌ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْصِبَ الْخِصْمَةَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اللَّهِ عِزٌّ وَ جَلٌّ ؟ من يستطيع أن يقف على أرض المعركة حرباً مع الله تعالى ؟ و من ثم ذكر هؤلاء الأصناف الثلاثة ، فحينئذ استقر المعنى في نفس المتلقي و رسخ ، و وقف على المراد من الحكم .

و ثاني القيم البلاغية التي تظهر للجمع في هذا الحديث القدسي ربط الأسلوب و تقوية العلاقة بين مفرداته ؛ نظراً لأن الأشياء المجموعة متعلقة بالحكم الذي جمعت فيه و ملتحمة به بحيث لا يمكن الفصل بينها ^(٢) ، و يظهر هذا عندما ذكر الله عز وجل أصناف الرجال الثلاث الذين هم خصمه يوم القيامة ، رابطاً بين هؤلاء الأصناف بواو العطف التي أسهمت في بناء الجمل المتوازنة .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٣٣ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

الحديث الثاني:

حَدَّثَنِي أَبُو عَسَانَ الْمَسْمَعِيُّ، وَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارِ بْنِ عُثْمَانَ، -
 وَاللَّفْظُ لِأَبِي عَسَانَ وَابْنِ الْمُثَنَّى - قَالَا : حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ،
 عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارِ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ : (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُم مَّا
 جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا : كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا ، حَلَالٌ . وَ إِنِّي خَلَقْتُ
 عِبَادِي خُنَفَاءَ كُلِّهِمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمُ عَنْ دِينِهِمْ ، وَحَرَمَتْ
 عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ ، لَهُمْ وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا . وَإِنَّ اللَّهَ
 نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ ، عَرَبَهُمْ وَ عَجَمَهُمْ ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .
 وَ قَالَ : إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ ، وَ أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ .
 تَفَرُّوهُ نَائِمًا وَيَقْظَانُ . وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا فَقُلْتُ : رَبِّ إِذَا يَشَلَعُوا
 رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةٌ ، قَالَ : اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ ، وَاعْزُهُمْ نُعْرَكَ ، وَأَنْفِقْ
 فَسُنْفِقَ عَلَيْكَ ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبَعْتَ خَمْسَةَ مِثْلَهُ ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ
 عَصَاكَ ، قَالَ : وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَّصِدِّقٌ مُوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ
 رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى ، وَ مُسْلِمٌ . وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ . قَالَ :
 وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ : الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ
 أَهْلًا وَلَا مَالًا . وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ . وَرَجُلٌ لَا
 يُصْبِحُ وَلَا يُمَسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ . وَذَكَرَ الْبُخْلُ أَوْ الْكُذِبَ

(وَ الشَّنْظِيرُ الفَحَّاشُ) . وَمَ يَذْكُرُ أَبُو عَسَّانَ فِي حَدِيثِهِ (وَ أَنْفَقَ فَسَنُفِقَ عَلَيْكَ) (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد:

(.... وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَّصِدِّقٌ مُوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى ، وَمُسْلِمٌ . وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ ...) .

(.... وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ : الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبَرَ لَهُ ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا . وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ . وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ) . وَذَكَرَ الْبُخْلُ أَوْ الْكَذِبَ (وَ الشَّنْظِيرُ الفَحَّاشُ) .

التحليل البلاغي:

وقع الجمع في الحديث القدسي السابق في موضعين ، فالأول منهما أن الله تعالى ذكر الصفات التي يعرف بها أهل الجنة في الدنيا و هي ثلاثة ، عندما قال الله تعالى : (وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ) تشنفت الأذان لسماعها و تشوقت النفس لمعرفة حتى يكون المؤمن بإذن الله منهم ، و يفوز بالنعيم الخالد ، و يقيم في جنات النعيم ، فذكرها الله عز و جل على الترتيب ، و هي :

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج١٧ ، كتاب الجنة و صفة نعيمها و أهلها ، باب الصفات التي

يعرف بها في الدنيا أهل الجنة و أهل النار ، رقم الحديث : ٧١٣٦ ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

(٢) : راجع البحث : ص ١٠٤ .

- السلطان العادل الموفق لما يحب الله .
 - الرحيم بالمؤمنين والأقارب .
 - الفقراء المتعففون مع أنهم محتاجون ، لكن عفتهم تمنعهم من المسألة ^(١) .
- ثم ذكر الله عز وجل الصفات التي يعرف بها أهل النار - أعادنا الله منها - في الدنيا ، و قال الله عز و جل : (وَأَهْلُ النَّارِ حَمْسَةٌ) ، فعندما يذكر الله هذا الحكم يتشوق الإنسان و يصغي لمعرفة صفات أهل النار في الدنيا فزعاً لبيتعد و ينفر منها ، فتوالت و تتابعت تلك الصفات ، و هي على الترتيب :
- ضعيف العقل الذي لا عقل يزجره عن المنكرات و الفواحش و إنما هدفه في الحياة الشهوات و الملذات .
 - الخائن الذي يعيش على الخيانة في الأهل و المال و في كبير الأمور و صغيرها و الذي لا يعرف أحداً إلا للخيانة في أهله و وليدته يرعى حولهم لأجل جوارهم .
 - البخيل أو الكذاب و كلاهما مذموم .
 - الشنظير الفحاش و هو البذيء سيء الخلق ^(٢) .
- و في الجمع تتأكد المعاني و ترسخ في نفوس المتلقين و تستقر ، لا سيما و قد رُبِطَتْ تلك الجمل بالواو العاطفة التي سُبِقَتْ بحكم ، اشتركت فيه الجمل بعدها .
- و أيضاً في الجمع تتقوى صلوات الأسلوب و يصبح أكثر تماسكاً و ترابطاً و تلاهماً بين عبارات الفقرة الواحدة .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ١٣ - ١٤ .

الحديث الثالث:

و حَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْحَوْلَانِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ :
 دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقٍ . فَإِذَا فَتَى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَائِيَا . وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي
 شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ . وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ . فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ .
 فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ ، هَجَرْتُ . فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهَجِيرِ . وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي قَالَ :
 فَأَنْتَظِرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ . ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : وَ اللَّهُ
 إِنِّي لِأَحِبُّكَ لِلَّهِ . فَقَالَ : اللَّهُ ؟ فُكُلْتُ : اللَّهُ ؟ فَقَالَ : اللَّهُ . فُكُلْتُ : اللَّهُ . فَقَالَ :
 اللَّهُ ، قَالَ : فَأَخَذَ بِحُبُوبَةِ رِدَائِي فَجَبَدَنِي إِلَيْهِ . وَقَالَ : أَبَشِرْ . فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى : وَجَبْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ
 فِيَّ ، وَ الْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ ، وَ الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَ الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ) (١) .

المضمون العام للحديث:

وضح الحديث القدسي السابق أربعة أوصاف و علامات ، من يتجمل بها فإن الله
 لا بد و أن يحبه ، و حب الله للعبد هو الغاية الكبرى ، و صك الأمان من النار ،
 و تذكرة العبور لجنات النعيم ، و إن الحبيب لا يعذب حبيبه .

و قد بدأ الحديث بقصة طريفة ، أن قال الله تعالى : " (وَجَبْتُ) أي ثبتت أو
 تقدمت (لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ) بتشديد التحتية أي لأجلي (وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ) أي في

(١) : الموطأ . الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، كتاب إسعاف المبطأ لرجال الموطأ ، الإمام جلال الدين
 عبدالرحمن السيوطي ، ط ٣ ، كتاب الجامع ، باب ما جاء في المتحابين في الله . رقم الحديث : ١٦ ، (بيروت :
 دار ابن حزم ، ١٤١٦ هـ) ، ص ٨٢٧ .

حي أو سبيلي (وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ) بأن يزور بعضهم بعضاً لعيادة أو نحوها (وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ) أي بأن يبذل بعضهم لبعض المال (فِيَّ) أي في رضائي " (١) .

و ورد في الموطأ (وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ) " قال الباجي : الذين يبذلون أنفسهم في مرضاته من الإنفاق على جهاد عدوه و غير ذلك مما أمروا به ، و قال غيره : أي يبذل كل واحد منهم لصاحبه نفسه و ماله في مهماته في جميع حالاته في الله ، كما فعل الصديق بذل نفسه ليلة الغار و بذل ماله (٢) .

موضع الشاهد:

(وَجَبْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ) .

التحليل البلاغي:

جمع الله تعالى في الحديث القدسي بين أمور كثيرة ، تواتت و تعاقبت و تتابعت فربطت المتلقي بها ، و جذبته إلى الإصغاء و الإنصات لآخر أمر من تلك الأمور ، و خاصةً بعد أن أصدر الله تعالى حكماً اشتاقت إليه نفس المتلقي ، و تعلق به قلبه لعله يفوز بذلك الحكم .

ففي البداية أصدر الله تعالى حكماً و هو (وَجَبْتُ مَحَبَّتِي) و محبة الله تعالى أثنى ما في الوجود ، و إن نالها الإنسان نال كل شيء ، و إن لم ينلها لم ينل شيئاً ، فهنا

(١) : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ٩ ج ، كتاب الآداب ، باب الحب في الله و من الله ،

مرجع سابق ، ص ٢١٦ .

(٢) : الموطأ ، مرجع سابق ، ص ٨٢٧ .

اشتاقت نفس المتلقي و ثار فكره و فرع وجدانه : ما الذي يوجب محبة الله سبحانه ؟
ما الذي يلزم محبة الله تعالى ؟ .

و قد أعقب ذلك الحكم جملاً متوازنة ، و مفردات منتقاة ، و عبارات رنانة ،
ذات صوت موسيقي عالي ، كأنها عقود اللؤلؤ أو زهور الرياض أو سبائك الذهب ،
أسهمت بجمال الأسلوب و سموّه ، و خاصةً عند ربط أجزاء الكلام بعضها مع بعض
و تلاحمها .

فقد دارت تلك الجمل المجموعة في حكم واحد حول موضوع واحد و هو لزوم
محبه سبحانه و تعالى ، و تلك الجمل هي (لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ) فقد لزمت محبة الله
سبحانه للإنسان الذي يجب إخوانه في الله عز و جل لا لمصلحة دنيوية ، الجملة الثانية
(وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ) فقد لزمت محبه سبحانه أيضاً لكل مجموعة جلسوا يقرؤون
القرآن أو جلسوا يتناصحون في الله عز و جل ، و الجملة الثالثة (وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ)
فقد لزمت محبه سبحانه للمتزاورين في الله عز و جل كمن ذهب يزور أخاه في الله
سبحانه لا ينتغي شيئاً إلا أن يزوره في الله ، و الجملة الأخيرة (وَالْمُتَبَادِلِينَ فِيَّ) محبه
لزمت من أعطى ابتغاء وجهه سبحانه و لو آثر على نفسه .

و المتأمل في هذا الحديث يجد أن للفن البديعي المعنوي الجمع فضلاً كبيراً في تثبيت
المعاني و ترسيخها في الذهن .

الحديث الرابع:

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَبِيعًا عَنْ زَيْدِ بْنِ ظَبْيَانَ - رَفَعَهُ إِلَى أَبِي ذَرٍّ - عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : رَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمُ بِاللَّهِ ، وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَمَنْعُوهُ فَتَخَلَّفَهُمْ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا ، لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالَّذِي أَعْطَاهُ ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ ، حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعَدُّلُ بِهِ ، نَزَلُوا ، فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ ، فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي ، وَ يَتَلَوُّ آيَاتِي ، وَ رَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ ، فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَانْهَزَمُوا ، فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ ، أَوْ يُفْتَحَ لَهُ) (١) .

المضمون العام للحديث:

وضح الحديث القدسي السابق الثلاثة الذين يحبهم الله عز و جل ، فمحبتته سبحانه ذات قيمة كبرى و منزلة عالية فإليها يتسابق المتسابقون ، و يعمل لها العاملون ، و يتنافس للحصول عليها المتنافسون ، فهي قوت القلوب ، و غذاء الأرواح ، و قررة العيون .

فبين نبينا صلى الله عليه وسلم في الحديث ثلاثة يحبهم الله عز و جل :

فالأول : معطي الصدقة الخالصة للإنسان المؤمن بالله سرًّا .

و الثاني : قائم الليل و الناس نيام يتودد و يدعو و يرجو و يتضرع لله سبحانه و تعالى .

(١) : سنن النسائي ، بشرح الأمامين السيوطي و السندي ، تحقيق : السيد محمد سيد و علي محمد علي و سيد عمران ، ضبط أصوله : مصطفى محمد حسين الذهبي ، ط ١ ، ج ٢ ، كتاب قيام الليل و تطوع النهار ، باب فضل صلاة الليل في السفر ، رقم الحديث : ١٦١٤ ، (القاهرة : دار الحديث ، ١٤٢٠ هـ) ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

و الثالث : المجاهد المقتول في سبيل الله و عند لقاء عدوه .

قال السيوطي : قوله (يَتَمَلَّقُنِي) (النهاية) الملق بالتحريك ؛ الزيادة في التودد و الدعاء و التضرع ^(١) .

قال السندي : قوله : (رَجُلٌ أَتَى قَوْمًا) ظاهره السائل أحد الثلاثة الذين يجبههم الله و ليس كذلك ؛ بل معطيه ، فلا بد من تقدير مضاف ؛ أي معطي رجل ، و كذا قوله : و قوم ، بتقدير مضاف ؛ أي و عابد قوم (فَتَخَلَّفَهُمْ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ) فخرج من بينهم بحيث صار خلفهم في ظهورهم ، و قوله : بأعقابهم ، بمعنى في ظهورهم بمنزلة التأكيد لما يدل عليه تخلفهم (مِمَّا يُعَدَّلُ بِهِ) على بناء المفعول ؛ أي مما يجعل عديلاً و مثلاً و مساوياً في العادة (يَتَمَلَّقُنِي) هذا على حكاية كلام الله تعالى في شأن ذلك الرجل ، و الملق بفتحيتين : الزيادة في الدعاء و التضرع (بِصَدْرِهِ) تأكيد الإقبال ؛ فإنه لا يكون إلا بالصدر (حَتَّى يُقْتَلَ) على بناء المفعول ^(٢) .

موضع الشاهد:

(ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : رَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ ، وَلَمْ يَسْأَلَهُمْ بِقَرَابَةِ بَيْنِهِ وَ بَيْنَهُمْ فَمَنَعُوهُ فَتَخَلَّفَهُمْ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا ، لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالَّذِي أَعْطَاهُ ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْتَهُمْ ، حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعَدَّلُ بِهِ ، نَزَلُوا ، فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ ، فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي ، وَ يَتْلُو آيَاتِي وَ رَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ ، فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَانْهَزَمُوا ، فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ ، أَوْ يُفْتَحَ لَهُ) .

(١) : سنن النسائي ، مرجع سابق ، ص ٣٤٣ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ .

التحليل البلاغي:

في الجمع تشويق لنفس المتلقي ، و إثارة لفكره ، و لفت لإنتباهه ؛ و بعث للعقل للتصور و التفكير .

ففي الحديث السابق أصدر و وضع الله حكماً و هو محبته لثلاثة ، فحينئذٍ تعلم النفس ذلك الأمر ، و هو أن الله أحب ثلاثاً ، تشناق و تستنفر القوى لمعرفة من الذين يحبهم الله ؟ .

و قد ذكر صلى الله عليه و سلم من هم هؤلاء الثلاثة الذي يحبهم الله ، فالأول الفائز بمحبة الله هو معطي الصدقة الخالصة للإنسان المؤمن بالله سراً ، فالأصل في معاملة العبد مع ربه أن تكون سرّاً ؛ لأنه إنما يتعبد لله رجاء ثوابه و النجاة من عقابه ، و الثاني الفائز بمحبة الله : قائم الليل و الناس نيام يتودد و يدعو و يرغب و يرجو و يتضرع إلى عظيم العطايا و الهبات ، فقيام الليل هو دأب الصالحين ، و تجارة المؤمنين ، و عمل الفائزين ففي الليل يخلو المؤمنون برحمتهم ، و يتوجهون إلى خالقهم فيشكون إليه أحوالهم و يسألونه من فضله ، و ثالث الفائزين بمحبة الله هو المجاهد المقتول في سبيل الله و عند لقاء العدو (الشهيد) ، و يعد القتل في سبيل الله من أعلى صور الشهادة ، و الشهيد أرفع الناس درجة بعد الأنبياء و الصديقين ، و فيها يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ

خَلْفِهِمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ " [آل عمران: ١٦٩ -

و عند إنعام النظر في هذا الحديث القدسي يُرى أن للجمع دوراً كبيراً في ربط الأسلوب و تقوية العلاقة بين مفرداته ؛ نظراً لأن الأشياء المجموعة متعلقة بالحكم الذي جمعت فيه ، و ملتحمة به بحيث لا يمكن الفصل بينهما^(١) .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤ .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ . حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ . حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ .
 حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ يُونُسَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ . قَالَ : تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .
 فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ! حَدَّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : نَعَمْ . سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ أَوَّلَ
 النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا ،
 قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ .
 وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ . فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى
 أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا ،
 قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ . قَالَ :
 كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ . وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ . فَقَدْ
 قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا . قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ
 فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ :
 كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ . فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى
 وَجْهِهِ ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ) (١) .

المضمون العام للحديث :

هذا حديث عظيم الشأن ، جليل القدر ، رفيع المكانة ، بين أن كل إنسان يقابل
 ربه جلّ و علا يوم القيامة بحسب نيته التي ساقته إلى الأعمال في الدنيا .

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٣ ، كتاب الأمانة ، باب من قاتل للرياء و السمعة استحق

النار ، رقم الحديث : ١٩٠٥ ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

فدل الحديث على أنه لا يكفي مشاركة الغازي في الغزو و الجهاد فحسب ، بل لابد أن تكون النية خالصة لله تعالى ، فيكون قصد الغازي إعلاء كلمة الله ، و إلا سُحِبَ على وجهه حتى يلقي في النار .

و كذلك التعامل و قارئ القرآن لابد أن يُخْلِص النية لله تعالى في علمه و تعليمه و قراءته ، و إلا سُحِبَ و أُلْقِيَ في النار .

و أيضاً الرجل الغني الثري الذي ينفق و يعطي من أجل الرياء و السمعة ، و ليس ابتغاء وجه الله فإنه سيُلْقَى في نار جهنم .

فالإخلاص في الأعمال هو حقيقة الدين و مفتاح دعوة المرسلين ، و الأعمال لا تتفاضل و لا تقاس بكثرتها و عددها و أشكالها و أنواعها ، إنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب ، و تقاس كذلك بحسن نية صاحب العمل ، إن كان بذلك العمل قاصداً وجه الله أم أنه عمله من أجل الرياء و السمعة .

قال النووي : " قوله صلى الله عليه وسلم : في الغازي و العالم و الجواد و عقابهم على فعلهم ذلك لغير الله و إدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء و شدة عقوبته ، و على الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ و فيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً ، و كذلك الثناء على العلماء و على المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصاً " (١) .

موضع الشاهد:

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٣ ، كتاب الأمانة ، باب من قاتل للرياء و السمعة استحق النار ، رقم الحديث : ١٩٠٥ ، مرجع سابق ، ص ٤٤ - ٤٥ .

(إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ: كَذَبْتَ . وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ . فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ: كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ . وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا . قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ: كَذَبْتَ . وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ) .

التحليل البلاغي:

في الجمع تهييج للفكر ، و تنشيط للسامع ، و تشويق لنفس المتلقي ، فقد بدأ الحديث بعبارة تلفت الانتباه و تشد الذهن ، و هي : (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ) و ذلك بذكر كلمة (أول) و بجوارها القضاء و يوم القيامة ، ذلك اليوم الذي تبلغ فيه النفوس مبلغاً عظيماً من الخوف و الدهول و الفزع .

فعندما أطلق الله تعالى الحكم و هو قوله : (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ) أعقبه جمع لثلاثة أصناف من الناس ، الأول : الغازي المرئي ، ثانيهما : العالم و قارئ القرآن غير مخلص النية لله ، و الثالث : الشري الغني المنفق القاصد بذلك الإنفاق السمعة فقط .

و الحديث يشير إلى الإخلاص ، و مع الإخلاص ينفع كل عمل قليله و كثيره ،
و من دون إخلاص لا ينفع أي عمل لا كثيره و لا قليله .

و المتمعن في الحديث السابق يدرك دور الجمع في تثبيت المعاني و تأكيدها في
النفوس و ترسيخها ، إضافةً إلى ما له من دورٍ بارزٍ في سمو الأسلوب و بهجته ،
و خاصةً عند ربط مفردات الجمل بعضها مع بعض و ربط كذلك الجمل المكونة
للفقرات بعضها مع بعض .

و جدير بالذكر أن الترتيب الذي ورد في الحديث القدسي بالنسبة للغازي و العالم
و الجواد ليس ترتيباً اعتباطياً ، إنما ترتيب مقصود ، فهل من عمل أعظم من الجهاد في
سبيل الله ؟ و مع ذلك قد يداخله الرياء ، و قد يجاهد الإنسان ليقال عنه شجاع
و جريء ، و هل من عمل أعظم أيضاً من تعلم العلم و تعليمه و قراءة القرآن
و إقراءه ؟ و مع ذلك قد يتعلم الإنسان ليقال عنه عالم ، و هل من عمل أعظم أيضاً
من العطاء و الإنفاق من الأموال التي بذل فيها الإنسان جهداً طيلة ليله و نهاره في
جمعه و تحصيله ؟ و مع ذلك قد ينفق و يعطي الإنسان ليقال عنه جواد ! .

ثانياً: التقسيم:التعريف باللون البديعي:

أشار ابن أبي الإصبع المصري إلى أن صحة الأقسام عبارة عن : استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه ، بحيث لا يغادر منه شيئاً (١) .

و وضَّح السكاكي أنه : " أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك " (٢) .

و ذكر الخطيب أنه : " ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكلٍ إليه على التعيين " (٣) ، و قد يطلق التقسيم على أمرين : أحدهما: أن يذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل حال ما يليق بها. الثاني: استيفاء أقسام الشيء بالذكر (٤) .

و شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب السابق : " (التقسيم وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكلٍ إليه على التعيين) وبهذا القيد يخرج اللف و النشر ، و قد أهمله السكاكي فتوهم بعضهم أن التقسيم عنده أعم من اللف و النشر ، و أقول : إن ذكر الإضافة مغن عن هذا القيد ، إذ ليس في اللف و النشر إضافة ما لكلٍ إليه ، بل يذكر فيه ما لكل حتى يضيفه السامع إليه ويرده " (٥) .

(١) : تحرير التحرير ، ١٧٣ .

(٢) : مفتاح العلوم ، ٢٠١ .

(٣) : الإيضاح ، ٣٥٣ .

(٤) : المرجع السابق ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

(٥) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٣٦-٣٣٧ .

و علق السبكي على قول الخطيب : " (و منه التقسيم وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل) من أفراده (إليه على التعيين) والمراد بالإضافة نسبته إليه ويحتز بقوله على التعيين من اللف والنشر " (١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي المعنوي (التقسيم) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٣٦-٣٣٧ .

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غِيلَانَ وَغَيْرُ وَاحِدٍ قَالُوا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ :
 أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ أَنَّ الْأَعْرَجَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ قَالَ : (يُنَادِي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ
 تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ
 تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٢] .

قَالَ أَبُو عِيسَى وَ رَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ وَ غَيْرُهُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الثَّوْرِيِّ وَ لَمْ يَرْفَعِهِ ^(١) .

المضمون العام للحديث:

متاع الدنيا واقع مشهود ، و نعيم الجنة غيب موعود ، و الناس يتأثرون بما يرون
 و يشاهدون ، و يثقل على قلوبهم ترك ما بين أيديهم إلى شيء ينالونه في الزمن الآتي ،
 فكيف إذا كان الموعود ينال بعد الموت ؟ ! .

فالحديث القدسي السابق يبين أن نعيم الجنة خير و أبقى من متاع الدنيا ، فقد
 بدأ الحديث بقوله : (يُنَادِي مُنَادٍ) أي في الجنة ، (إِنَّ لَكُمْ) أي قائلًا إن لكم
 (أَنْ تَحْيُوا) أي أن تكونوا أحياء دائماً (أَنْ تَصِحُّوا) أن تكونوا صحيحي البدن
 دائماً (فَلَا تَسْقَمُوا) أي لا تمرضوا (أَنْ تَشْبُوا) أي تدوموا شباباً (فَلَا تَهْرَمُوا)
 أي لا تشيبوا (أَنْ تَنْعَمُوا) أي يدوم لكم النعيم (فَلَا تَبْأَسُوا) أي : لا يصيبكم
 بأس ، و هو شدة الحال ^(٢) .

(١) : سنن الترمذي ، ج ٥ ، أبواب تفسير القرآن ، ٤٠ و من سورة الزمر ، رقم الحديث : ٣٥٢٧ ، مرجع
 سابق ، ص ٤٥٢ .

(٢) : تحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي ، ج٩ ، مرجع سابق ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن أهل الجنة ينادي فيهم منادٍ : (إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا) و ذكر الحديث . أي أنهم في نعيم دائم لا يخافون الموت ، و لا السقم ، و لا انقطاع ما هم فيه من النعيم كما قال الله تعالى : ﴿ وَفِكَهَةٌ كَثِيرَةٌ لَّا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ ﴾ [الواقعة : ٣٢ - ٣٣] .

و أن لهم سوقاً كل يوم جمعة يعني في مقدار ذلك ، و إلا فالجنة ليس فيها صلاة و لا جمعة و لا غيرها ، و أنها تهب ريح الشمال فتزيدهم حسناً و جمالاً . و المراد ريح تشبه ريح الشمال في برودتها و لذاذتها ، و ما ذكر يوجب للإنسان الرغبة في العمل الصالح الذي يتوصل به إلى هذه الدار - جعلنا الله و إياكم من أهلها " (١) .

موضع الشاهد:

(يُنَادِي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا ، وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا ، وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا) .

التحليل البلاغي:

الحديث القدسي السابق صورة من صور التقسيم ، و هو أن يذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل حال ما يليق بها (٢) فبذلك يزداد المعنى فخامة و تأكيداً .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص٣٥ .

(٢) : الإيضاح ، ص٣٥٥ .

فقد بدأ الحديث بقوله: (إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا) فحينما ذكر رب العزة نعيم الجنة و بدأ يعدده في هذا الحديث القدسي ذكر حالاً من أحوال أهل الجنة و هي الحياة الدائمة ، و أضاف ما يليق بتلك الحال و هو عدم الموت ، فأهل الجنة لا يموتون أبداً إلا مودة الدنيا ، فالموت من أجل المنغصات للإنسان ، و هو يتقيه بكل ما أوتي من قوة و مال و جاه و سلطان ، و لو ذكره ضاقت نفسه و تكدرت و تغيرت أحوال و تقلبت ، فأهل الجنة لا يخطر ببالهم الموت و لا الفناء أو الانتقال مما هم فيه .

ثم ذكر الحال الثانية من نعيم أهل الجنة و هي الصحة و سلامة البدن و أضاف إلى تلك الحال ما يليق بها ، و هو عدم السقم و المرض ، فالمرض من المكدرات للإنسان التي تكدر و تقلق حياته و تغيرها من السعادة إلى الهم و الغم و الضيق المستمر باستمرار المرض ، و لكن أهل الجنة لا يسقمون و لا يمرضون فهم أصحاء متعافون دوماً بإذنه تعالى .

ثم ذكر الحال الثالثة من نعيم أهل الجنة و هي الشباب و أضاف إلى تلك الحالة ما يليق بها و هي عدم الهرم و الشيخوخة ، فأهل الجنة في شباب دائم لا يطرأ عليهم الهرم و لا تصيبهم الشيخوخة و لا يشيخوا ، بل هم في شباب مستمر دائم .

ثم ذكر الحالة الأخيرة من نعيم أهل الجنة و هي النعيم المستمر ثم ذكر ما يليق بتلك الحال و هي عدم البؤس و الفقر ، فأهل الجنة في نعيم مستمر ليس فيه بؤس و لا فقر و لا شدة حال بل هم في راحة و سعادة وطمأنينة .

فنلاحظ من خلال ذلك أن أسلوب التقسيم " من عوامل ترابط الأسلوب ، و اتحاد أجزائه ، فأوله متصل و آخره مرتبط بأوله ، و كل كلمة فيه آخذة بعنق

صاحبها ، إذا الفائدة متوقفة على الكلام جميعه ، و معلقة بالانتهاء منه " (١) ، و قد جعله الشيخ عبد القاهر من النظم الذي يتحد في الوضع ، و يدق فيه الصنع ، و ترى فيه أجزاء الكلام متحدة و متداخلة ، و يشتد ارتباط ثان منها بأول (٢) .

و مما لاشك فيه أنّ أسلوب الطباق المتداخل في أسلوب التقسيم قد زاد في جمال الأسلوب و بهجته و سموه ، و ألبسه الجزالة و الفخامة و الرصانة ، و خاصة أن التقسيم كان معتمداً عليه اعتماداً أساسياً فقد تحقق إيضاح المعنى و إظهاره و تأكيده و تقويته و ذلك عن طريق المقارنة بين الضدين ، فالحياة ضدها الموت ، و الصحة ضدها السقم ، و الشباب ضده المهرم ، و النعيم ضده البؤس .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥ .

(٢) : دلائل الإعجاز ، الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، مرجع سابق ، ٩٣ - ٩٤ .

الحديث الثاني :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنِي مَالِكٌ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثَيْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ " قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ) (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد :

(... أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ) .

التحليل البلاغي:

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ٥ ، كتاب الاستسقاء ، باب قوله تعالى ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ

تَكْذِبُونَ ﴾ ، رقم الحديث : ٩٨٥ ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) : راجع البحث : ص ٨٨ .

في الحديث القدسي السابق صورة من صور التقسيم و هي ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين ^(١) .

المطر فضل من الله و رحمة بعباده ، و قد بدأ الحديث القدسي الذي رواه زيد بن خالد الجهني عنه صلى الله عليه وسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الصبح بالحديبية على إثر نزول مطر من الليلة ، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس و قال لهم : إن الله تعالى يقول : (أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَ كَافِرٌ) فهنا ذكر صلى الله عليه وسلم متعددًا و هو (مُؤْمِنٌ بِي وَ كَافِرٌ) ثم أضاف ما لكل إليه على التعيين ، فالمؤمن بالله و الكافر بالكواكب قال : مطرنا بفضل الله و رحمته ، و أما الكافر بالله و المؤمن بالكواكب فقال : مطرنا بنوء كذا و كذا .

فالتقسيم وضح المعنى و أكده ، و خصوصاً عندما أتى تفصيل بعد إجمال و إيضاح بعد إبهام فقد ازداد المعنى بذلك جمالاً و فخامة و جزالة ، فقد أتى بالبداية بقوله : (أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَ كَافِرٌ) فهذه العبارة مشوقة لنفس المتلقي ، محرّكة لفكره ، و بعد ذلك أتى بالمعنى مفصلاً ، و كان أدعى إلى ترسيخ المعنى و تثبيته في الأذهان .

و تجدر بالإشارة إلى مشاركة التقسيم فن بديعي آخر و هو المقابلة التي كانت لها دورها الفعال في إظهار المعنى بأوفى غرض و أكمل صورة ، و قد أسهم كل من التقسيم و المقابلة في جمال الأسلوب و بهجته و سموه فقد نتج عنهما تلاحم أجزاء الحديث و ائتلاف ألفاظه و ترابط معانيه .

(١) : الإيضاح ، ص ٣٥٣ .

الحديث الثالث :

حَدَّثَنِي يَحْيَى عَنْ مَالِكٍ ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا السَّائِبِ ، مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ . هِيَ خِدَاجٌ . هِيَ خِدَاجٌ . غَيْرُ تَمَامٍ) قَالَ ، فَقُلْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! إِنِّي أحيانًا أَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ . قَالَ فَعَمَزَ ذِرَاعِي ، ثُمَّ قَالَ : اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ يَا فَارِسِي . فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَ لِعَبْدِي مَا سَأَلَ) . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (اقْرَأُوا يَقُولُ الْعَبْدُ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي . وَ يَقُولُ الْعَبْدُ : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴾ ، يَقُولُ اللَّهُ : أَتَيْتَنِي عَبْدِي ، وَ يَقُولُ الْعَبْدُ : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، يَقُولُ اللَّهُ : مَجَّدَنِي عَبْدِي ، يَقُولُ الْعَبْدُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، فَهَذِهِ الْآيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَ لِعَبْدِي مَا سَأَلَ . يَقُولُ الْعَبْدُ : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ . فَهَؤُلَاءِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ (١) .

المضمون العام للحديث :

(١) : الموطأ ، الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، كتاب إسعاف المبطل لرجال الموطأ ، الإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، ، كتاب الصلاة ، باب القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر فيه بالقراءة ، ، رقم الحديث : ٤٢ ، مرجع سابق ، ص ٧٣ .

سبق التعرض له ^(١) .

موضع الشاهد :

(... قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَ بَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ فنصفها لي و نصفها لعبدي وَ لِعَبْدِي مَا سَأَلَ ...) .

التحليل البلاغي:

في الحديث القدسي السابق صورة من صور التقسيم و هي ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين .

و الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام ، و هي الصلة بين العبد و ربه ، و عليها تبنى ديانة المرء ، فمن حفظها فقد حفظ دينه ، و من أضاعها فهو لما سواها أضيع ، و هي الفرق بين المسلم و الكافر ، و الحديث السابق يشير إلى وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة من الصلاة .

و قد أشار الله تعالى في الحديث القدسي إلى أهمية قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة و قد كنى عنها بالصلاة لأنها لا تصح الصلاة إلا بها ، فقله تعالى : (قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَ بَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ) هنا ذكر لمتعدد ثم أضاف ما لكل إليه على التعيين ، فقال : (فنصفها لي و نصفها لعبدي ، وَ لِعَبْدِي مَا سَأَلَ) ، ثم أوضح إن النصف الذي له تعالى في الثلاث الآيات الأولى و الباقي لعبده .

(١) : انظر البحث : ص ١٣٣ ، و يجدر بالإشارة إلى أن الحديث الوارد في مبحث التورية رواية مسلم إنما هذا الحديث رواه صاحب الموطأ ، أضف إلى ذلك أن هناك عددًا من الفروقات في الألفاظ ما يميز به هذه الرواية عن تلك من بينها (... فنصفها لي و نصفها لعبدي ...) و هي موضع الشاهد في هذا الحديث .

قوله " (قَسَمْتُ الصَّلَاةَ) قال العلاء : أراد بالصلاة هنا الفاتحة ، لأنها لا تصح إلا بها ، كقوله (الحج عرفة) و المراد قسمتها من جهة المعنى لأن نصفها الأول تحميد لله و تمجيد و ثناء عليه و تفويض إليه ، و النصف الثاني سؤال و تضرع و افتقار (فنصفها لي) هي الآيات الثلاث - (الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين) - (و نصفها لعبدي) و هو من (اهدنا) إلى آخرها . ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (فهذه لعبدي) : أي هؤلاء الآيات مختصة به ، لأنها دعاؤه بالتوفيق إلى صراط من أنعم عليه و العصمة من صراط المغضوب عليهم و الضالين . (وَ لِعَبْدِي مَا سَأَلَ) من الهداية و ما بعدها " (١) .

فالسُّرُّ البلاغي من وراء التقسيم السابق يظهر في تثبيت الأقسام في الذهن و تمكثها من النفس و خاصة عندما جاءت القسمة بين رب العزة و العبد ، فتلك القسمة لها هيبتها و جلالها و فخامتها فهي أعظم قسمة .

و في التقسيم تناسق صوتي بديع نشأ من الجمل المتساوية و الأقسام المحددة و يظهر ذلك جلياً في الحديث السابق خاصة في : (حَمِدَنِي عَبْدِي أَنَّنِي عَلَيَّ عَبْدِي ... مَجَّدَنِي عَبْدِي ... فهذه الآية بَيْنِي وَ بَيْنَ عَبْدِي...) .

و أيضاً يظهر في التقسيم السابق ترابط الأسلوب و بلاغته و ذلك من خلال التحام أجزاء الكلام بعضها مع بعض و ارتباط معانيه .

(١) : الموطأ ، مرجع سابق ، ص ٧٣ .

الحديث الرابع :

حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ شَيْبٍ وَ عَبْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ
 أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 (أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، قَالَ : أَحْسَبُهُ قَالَ : فِي الْمَنَامِ
 فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ : هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا ، قَالَ :
 فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّْ ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ تَدْيِيَّ ، أَوْ قَالَ : فِي نَحْرِي ،
 فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ
 الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فِي الْكُفَّارَاتِ . وَ الْكُفَّارَاتُ : الْمُكْتُ فِي
 الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ ، وَالْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ
 فِي الْمَكَارِهِ ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ عَاشَ بِخَيْرٍ ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ
 وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ،
 وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً؛ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ
 مَفْتُونٍ ، قَالَ : وَالْدَّرَجَاتُ : إِفْشَاءُ السَّلَامِ ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ
 نِيَامٌ)^(١) .

المضمون العام للحديث:

هذا الحديث من الأحاديث القدسية العظيمة ، ففيه دليل على أن من رأى رؤيا
 تسره فإنه يقصها على أصحابه و إخوانه المحبين له ، و لا سيما إن تضمنت رؤياه
 بشارة لهم ، و تعليماً لما ينفعهم^(٢) .

(١) : سنن الترمذي ، ج ٥ ، كتاب تفسير القرآن ، باب (٣٨) ، رقم الحديث : ٣٢٤٧ ، مرجع سابق ،
 ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .

و فيه دلالة على شرف النبي صلى الله عليه وسلم و تفضيله بتعليمه ما في السماوات و الأرض ، و تجلى ذلك له مما تختصم فيه الملائكة في السماء و غير ذلك ^(١) .

و فيه دلالة على أن الملائكة الأعلى و هم الملائكة أو المقربون منهم يختصون فيما بينهم ، أو يتراجعون القول في الأعمال التي تقرب بني آدم من الله عزّ وجلّ ، و تكفر بما عنهم خطاياهم ، و قد أخبر الله عنهم بأنهم يستغفرون للذين آمنوا و يدعون لهم ^(٢) .

ثم ذكر الله تعالى أن الملائكة الأعلى يختصمون في الكفارات و الكفارات هي أولها : المكث في المساجد بعد الصلوات ، و يعني الجلوس بالمساجد بعد الصلوات ، و المراد بهذا الجلوس انتظاراً صلاة أخرى ^(٣) .

و ثانيها : المشي على الأقدام إلى الجماعات لا سيما إن توضأ الرجل في بيته ثم خرج إلى المسجد لا يريد بخروجه إلا الصلاة ^(٤) .

و ثالثها : إسباغ الوضوء في المكاره (وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ) أي إتمامه و إكماله باستيعاب المحل بالغسل و تطويل الغرة و تكرار الغسل ثلاثاً (عَلَى الْمَكَارِهِ) جمع مَكْرَه بفتح الميم : ما يكرهه شخص و يشق عليه ، و الكره بالضم و الفتح : المشقة ،

(١) : المرجع السابق ، ص ٣٤٦ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

(٣) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٤٨ .

(٤) : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ .

أي يتوضأ مع برد شديد ، و علل يتأذى معها بمس الماء ، و مع إعوازه ، و الحاجة إلى طلبه ، و السعي في تحصيله ، و ابتياعه بالثمن الغالي ، و نحوها مما يشق ^(١) .

و قد سميت كفارات لأن الله يكفر بها الذنوب و الخطايا و السيئات ، و لذلك جاء قوله : (... وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيْوَمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ...) ، فهذه الخصال المذكورة الأغلب عليها تكفير السيئات و يحصل بها أيضاً رفع الدرجات ^(٢) .

و قد أوصي الله تعالى رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم بأن يقول إذا صلى : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً؛ فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ) ، فهذا دعاء عظيم من أجمع الأدعية و أكملها ، فقوله صلى الله عليه وسلم : أسألك فعل الخيرات و ترك المنكرات ، يتضمن طلب كل خير و ترك كل شر ، فإن الخيرات تجمع كل ما يجهه الله تعالى و يقرب منه من الأعمال و الأقوال من الواجبات و المستحبات ، و المنكرات تشمل كل ما يكرهه الله تعالى و يباعد منه من الأقوال و الأعمال ، فمن حصل له هذا المطلوب حصل له خير الدنيا و الآخرة ، و قوله : (حُبَّ الْمَسَاكِينِ) هذا قد يقال أنه من جملة فعل الخيرات و أفردته بالذكر لشرفه و قوة الإهتمام به ، و سأل الله كذلك السلامة من الفتن ^(٣) .

ذكر الله تعالى فيم يختصم الملاً الأعلى إضافة على الكفارات : الدرجات ، و هي ثلاث :

(١) : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، ج١ ، باب ما جاء في إسباغ الوضوء ، ص ١٧١-١٧٢ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٤٨ .

(٣) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٨١ .

أحدها : إفشاء السلام فهو من موجبات دخول الجنة ^(١) .

و ثانيها : إطعام الطعام ، و قد جعله الله في كتابه من الأسباب الموجبة للجنة و نعيمها ^(٢) .

و ثالثها : قيام الليل و الناس نيام ، فقيام الليل يوجب علو الدرجات في الجنة ^(٣) .

موضع الشاهد :

(... وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَ كَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ...) .

التحليل البلاغي:

في الحديث القدسي صورة من صور التقسيم و هي استيفاء أقسام الشيء بالذكر ^(٤) ، الذي هو أخذ به بحيث لا يغادر فيها قسماً محتملاً .

فأتى التقسيم في الحديث القدسي شاملاً أحوال الإنسان و هي العيش و الموت و البعث ، فتلك جميع أحوال الإنسان لم يُترك منها قسم محتمل ، فالإنسان يعيش ثم يموت ثم يبعث ، فمن كُفِّرَتْ ذنوبه و خطاياها و سيئاته عن طريق المكث في المساجد لانتظار الصلاة بعد الصلاة ، و المشي على الأقدام إلى الجماعات ، و أسبغ و أتم الوضوء في المكاره من حالات برد شديد و نحوه - فإنه عاش بخير و مات بخير و كان مبعوثاً بإذن الله يوم القيامة من خطاياها و ذنوبه كيوم ولدته أمه .

(١) : المرجع السابق ، ص ٣٦٧ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٣٦٧ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٣٧٦ .

(٤) : الإيضاح ، ص ٣٥٦ .

فحصر أقسام الشيء و استيفؤها بالذكر له أثر جليل في تثبيت المعاني و تمكينها، حيث يحاط بالشيء من كافة أقسامه ، و يحصر من جميع وجوهه ، فلا يبقى أمام العقل إلا أن يسلم بما عرض عليه و يتفرغ لهضمه و استيعابه^(١) .

و قد شارك التقسيم في الحديث القدسي لونه بديعي معنوي آخر و هو الطباق الذي كان بين الفعلين (عَاشَ وَ مَاتَ) فقد أكسب الأسلوب لونا من البهجة و الرونق و الجزالة و الفخامة و الرصانة ، إضافة إلى أن ذلك أدعى إلى تثبيت المعاني في النفوس و شدة ترابط الأسلوب .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ٢٤٥ .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ : حَدَّثَنِي مَالِكٌ ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَ تَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ ، بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ) (١) .

المضمون العام للحديث:

وضح الحديث القدسي السابق فضل الجهاد في سبيل الله و عظم ثوابه ، فالجهاد في سبيل الله إما أن ينال الشهادة التي ترفعه مع النبيين و الصديقين ، و إما أن يرجع إلى سكنه الذي خرج منه مع جزيل الحسنات و الغنائم . فالحديث يدل على أن الغنيمة لا تنقص من أجر المجاهد شيئاً ، و أن المجاهد في سبيل الله له وافر الأجر غنم أو لم يغنم .

و قد بدأ الحديث بقوله : (تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ) " و قوله : (تضمن الله ، و تكفل الله ، و انتدب الله) بمعنى واحد ، و محصلة تحصيل الوعد المذكور في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآبٍ لَهُمُ الْجَنَّةِ ﴾ و ذلك التحقيق على وجه الفضل منه سبحانه و تعالى ، و قد عبّر صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه و تعالى بتفضله بالثواب بلفظ الضمان و نحوه مما

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج١١ ، كتاب الجهاد و السير ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : أحلت لكم الغنائم ، رقم الحديث ٢٩١٥ ، مرجع سابق ، ص ٩٥ .

جرت به عادة المخاطبين فيما تطمئن به نفوسهم ، و قوله : (لا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ)
نصَّ على اشتراط خلوص النية في الجهاد " (١) .

قوله : (بَأَنَّ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ) أي بغير حساب و لا عذاب ، أو المراد أن يدخله
الجنة ساعة موته ، كما ورد (أن أرواح الشهداء تسرح في الجنة) و بهذا التقرير يندفع
إيراد من قال : ظاهر الحديث التسوية بين الشهيد و الراجع سالماً ؛ لأن حصول الأجر
يستلزم دخول الجنة ، و محصل الجواب أن المراد بدخول الجنة دخول خاص (٢) .

قوله : (أَوْ يُرْجَعُهُ) بفتح أوله ، و هو منصوب بالعطف على يتوفاه .

قوله : (مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ) أي مع أجر خالص إن لم يغنم شيئاً ، أو مع
غنيمة خالصة معها أجر ، و كأنه سكت عن الأجر الثاني الذي مع الغنيمة لتقصه
بالنسبة إلى الأجر الذي بلا غنيمة ، و الحامل على هذا التأويل أن ظاهر الحديث أنه
إذا غنم لا يحصل له أجر ، و ليس ذلك مراداً ، بل المراد أو غنيمة معها أجر أنقص
من أجر من لم يغنم ، لأن القواعد تقتضي أنه عند عدم الغنيمة أفضل منه و أتم أجراً
عند وجودها ، فالحديث صريح في نفي الحرمان ، و ليس صريحاً في نفي الجمع (٣) .

موضع الشاهد:

(... بَأَنَّ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ يُرْجَعُهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مِنْ أَجْرٍ أَوْ
غَنِيمَةٍ) .

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٦ ، كتاب الجهاد و السير ، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد

بنفسه و ماله في سبيل الله ، مرجع سابق ، ص ١١ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ١١ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ١١ .

التحليل البلاغي:

في الحديث القدسي صورة من صور التقسيم و هي استيفاء أقسام الشيء بالذکر^(١) ، الذي هو آخذ به بحيث لا يترك منه قسماً محتملاً .

فالتقسيم في الحديث القدسي السابق أتى شاملاً لأحوال المجاهد في سبيل الله الذي لا يخرج إلا للجهاد في سبيل الله و تصديق كلماته ، و في هذا إشارة إلى صدق النية مع الله ، فالمجاهد في سبيل الله له حالان لا ثالث ، لهما فهو إما أن يستشهد في سبيل الله و يدخله الله الجنة ، أو أن يرجعه الله تعالى إلى مسكنه الذي خرج منه مع وافر الأجر و جزيل الغنائم .

فتلك هي جميع أحوال المجاهد في سبيل الله لم يترك الله منها قسم محتمل ، ففي حصر أقسام الشيء ترسيخ للمعاني و تثبيت لها ، و هذا هو السرُّ البلاغي في التقسيم في هذا الحديث .

و قد واكب التقسيم عدداً من الألوان البديعية التي أضفت على الحديث البهجة و الرونق ، منها الجناس الاشتقاق في (جاهد ، الجهاد) ، و كذلك الطباق في (لا يخرج إلا للجهاد ، يدخله الجنة) ، و قد أسهمت تلك الألوان البديعية بالإضافة إلى التقسيم في ترابط الأسلوب و تلاحم الأجزاء ، لاسيما و قد بدأ الحديث بفعل ماضي دال على الثبات و الإستقرار و هو ضمان من الله تعالى للمجاهدين في سبيله .

(١) : الإيضاح ، ص ٣٥٦ .

المبحث السابع:

حُسن الابتداء وحُسن الانتهاء

أولاً: حُسن الإبتداء:

التعريف باللون البديعي:

ذكر صاحب تحرير التحبير في باب حسن الابتداءات أن " هذه تسمية ابن المعتز ، و أراد بها ابتداءات القصائد ، وقد فرّع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال ، و خصّوا بها ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله و إن وقع في أثناء القصيدة " (١) .

في حين لم يحدد صاحب الإيضاح تعريفاً خاصاً به إنما ذكر أنه " ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه ، حتى تكون أعذب لفظاً ، و أحسن سبغاً ، و أصح معنىً ، الأول : الابتداء لأنه أول ما يقرع السمع ، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام ، فوعى جميعه ؛ و إن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه و إن كان في غاية الحسن " (٢) .

و قد شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب السابق بقوله " (فصل) من الخاتمة في حسن الابتداء و التخلص و الانتهاء (ينبغي للمتكلم) شاعرا كان أو كاتباً (أن يتأنق) أي يتتبع الأنق الأحسن ، يقال : تأنق في الروضة إذا وقع فيها متبعباً لما يونقه أي يعجبه (في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون) تلك المواضع الثلاثة (أعذب لفظاً) بأن تكون في غاية البعد عن التنافر و الثقل (و أحسن سبغاً) بأن تكون في غاية البعد عن التعقيد و التقديم و التأخير الملبس ، و أن تكون الألفاظ متقاربة في الجزالة و المتانة و الرقة و السلاسة ، و تكون المعاني مناسبة لألفاظها من غير أن يكتسي اللفظ الشريف المعنى السخيف ، أو على العكس ، بل يصاغان صياغة تناسب و تلاؤم (و أصح معنى) بأن يسلم من التناقض و الامتناع و الابتذال و مخالفة العرف و نحو ذلك (أحدها الابتداء) لأنه أول ما يقرع السمع فإن كان

(١) : تحرير التحبير ، ١٦٨ .

(٢) : الإيضاح ، ٤١٩ .

عذبا حسن السبك ، صحيح المعنى ، أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه و إلا أعرض عنه وإن كان الباقي في غاية الحسن فالابتداء الحسن في تذكارات الأحبة و المنازل " (١) .

و أيضاً شرح ابن يعقوب المغربي قول الخطيب السابق بقوله : " ... ثم بين المواضع الثلاثة التي ينبغي أن يعتنى بها فيما ذكر أكثر بقوله (أحدها) أي أحد تلك المواضع (الابتداء) لأنه أول ما يقرع السمع ، فإن كان عذبا حسن السبك ، صحيح المعنى ، أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه لانسياق النفس إليه و رغبتها فيه من حسنه الأول ، و استصحابه لذة المذاق السابق ، و إلا يكن الابتداء حسن السبك عذبا صحيح المعنى نافرة السمع بالمقابلة الأولى فيعرض عنه جملة و إن كان الباقي من الكلام حسنا ، لأن السمع قاطعه الابتداء القبيح ، و هذا أمر تجريبي و الابتداء الحسن في تذكارات المنازل و الأحبة... " (٢) .

و شرح أيضاً بهاء الدين السبكي قول الخطيب السابق بقوله : " ... (أحدها) (الابتداء) و هو المطلع لأنه أول ما يقرع السمع فإذا كان بهذه المثابة أقبل السامع على الكلام و وعاه ، و إلا أعرض عنه و إن كان حسنا ... " (٣) .

و دُكر في حاشية الدسوقي أن قوله : " (قوله : و نحو ذلك) أي كالسلامة من عدم المطابقة لمقتضى حال المخاطب (قوله : لأنه) أي الابتداء بمعنى المبتدأ به ، و قوله : يقرع بمعنى يصيب ، و قرع من باب نفع كما في المصباح (قوله : فإن كان عذبا) الأولى التعبير بأفعل التفضيل ليلائم ما مر ، أي فإن كان أعذب من غيره (قوله : أقبل السامع على الكلام فوعى) أي حفظ جميعه لانسياق النفس إليه و رغبتها فيه من حسنه الأول و استصحابها للذة المساق السابق (قوله : و إلا أعرض عنه) أي و إلا يكن الابتداء عذبا حسن السبك صحيح المعنى أعرض عنه

(١) : شروح التلخيص ، ٥٢٩ - ٥٣١ .

(٢) : شروح التلخيص ، ٥٣١ .

(٣) : شروح التلخيص ، ٥٣١ .

السامع لقبحه (قوله : فالابتداء الحسن) هذا مبتدأ خبره قوله : كقوله ، و قوله : (في تذكّار الأُحبة و المنازل) حال وليس خبراً لأنّ الابتداء الحسن ليس خاصاً بما ذكر ، بل يكون في الغزل ، و في وصف أيام البعاد بين الأُحبة ، و في استجلاب المودة ، و في التورك على الدهر وعلى النفس ، و في المدح و غير ذلك ... " (١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي المعنوي (حُسن الابتداء) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ٥٣١ .

الحديث الأول :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنِ أَبِي صَالِحٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً ، يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ ، قَالَ : فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ وَ يُكَبِّرُونَكَ ، وَ يَحْمَدُونَكَ وَ يُمَجِّدُونَكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَا ، وَ اللَّهُ مَا رَأَوْكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَ كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَ أَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَ تَحْمِيدًا وَ أَكْثَرَ تَسْبِيحًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَمَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالَ : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يَقُولُ : وَ هَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَا ، وَ اللَّهُ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، وَ أَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَ أَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً ، قَالَ : فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : مِنَ النَّارِ ، قَالَ : يَقُولُ : وَ هَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَا ، وَ اللَّهُ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا ، وَ أَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً ، قَالَ : فَيَقُولُ فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، قَالَ : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ : فِيهِمْ فُلَانٌ ، لَيْسَ مِنْهُمْ ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ ، قَالَ : هُمْ الْجُلَسَاءُ ، لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)^(١) .

المضمون العام للحديث:

تعرّض الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي السابق إلى فضل خير المجالس و أزكاها و أطهرها و أشرفها و أعلاها قدرًا و أجلها مكانة عند الله ، إنها مجالس الذكر ، فهي حياة القلوب ، و نماء الإيمان ، و زكاء النفس ، و سبيل السعادة و الفلاح في الدارين الدنيا و الآخرة ، و لهذا ورد هذا الحديث في فضلها ، و الحث

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرمانى ، ط ٢ ، ج ٢٢ ، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز وجل

على لزومها ، و الترغيب في المحافظة عليها ، و هناك نصوص كثيرة في الكتاب و السنة ، و من بين هذه النصوص الحديث القدسي السابق .

و قد بدأ الحديث بقوله : (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً ، يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ...) و الملائكة عالم غيبي فاضل ، و هم كلهم خير يسبحون في الأرض يطلبون حلق الذكر ، خلقهم الله من نور ، فإذا وجدوا حلق الذكر جلسوا معهم ، ثم حَقَّوا هؤلاء الجالسين بأجنحتهم إلى السماء .

يسأل الله تعالى هؤلاء الملائكة عن عبادته و هو أعلم بهم من ملائكته ، ما يقول عبادي ؟ قال يقولون : (يُسَبِّحُونَكَ وَ يُكَبِّرُونَكَ ، وَ يَحْمَدُونَكَ وَ يُمَجِّدُونَكَ) ، و قد قيل : (يؤخذ من مجموع هذه الطرق المراد بمجالس الذكر و أنها التي تشتمل على ذكر الله بأنواع الذكر الواردة من تسبيح و تكبير و غيرها ، و على تلاوة كتاب الله سبحانه و تعالى ، و على الدعاء بخيري الدنيا و الآخرة ، و في دخول قراءة الحديث النبوي و مدارس العلم الشرعي و مذاكرته و الاجتماع على صلاة النافلة في هذه المجالس نظر ، و الأشبه اختصاص ذلك بمجالس التسبيح و التكبير و نحوهما و التلاوة حسب ، و إن كانت قراءة الحديث و مدارس العلم و المناظرة فيه من جملة ما يدخل تحت مسمى ذكر الله تعالى)^(١) .

ثم يسأل الله ملائكته : (هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَا ، وَ اللَّهُ) أقسموا زيادة في مدح الذاكرين (مَا رَأَوْكَ) فيه تنبيه على أن تسبيح بني آدم و تقديسهم أعلى و أشرف . لأنه في عالم الغيب مع وجود الموانع و تقديس الملائكة في عالم الشهادة بلا صارف (قَالَ : فَيَقُولُ :) أي الله (كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟) تعجب و تعجيب و جواب لما دلَّ عليه كيف . لأنه سؤال عن الحال ، أي لو رأوني ما يكون حالهم في الذكر (قَالَ : يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَ أَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا) أي تعظيماً (وَ أَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا) فيه إيماء إلى أن تحمل مشقة الخدمة على قدر المعرفة و المحبة

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله عزَّ وجلَّ ، ج ١١ ، مرجع

(قَالَ : فَيَقُولُ : فَمَا يَسْأَلُونِي ؟) أي مني (قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ) فيه إشارة إلى أن سؤال الجنة ليس بمذموم ، فإنها دار الجزاء واللقاء وإنما ذم من لا يعبد الله إلا لرجاء الجنة أو لخوف النار فإن الله تعالى يستحق العبادة لذاته (قَالَ : يَقُولُ : وَ هَلْ رَأَوْهَا) فيه إشعار بأن الجنة مخلوقة موجودة حسية (فَيَقُولُونَ) وفي نسخة قال فيقولون (قَالَ : يَقُولُونَ : لا ، وَ اللَّهُ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حَرِصًا ، وَ أَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَ أَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً) لأنه الخبر ليس كالمعاينة (قَالَ) أي الله (فَمِمَّ) أي فمن أي شيء (يَسْأَلُونَ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : مِنْ النَّارِ) لأنها أثر غضب الله و عقابه و محل أصحاب بعده و حجابيه (قَالَ : يَقُولُ : وَ هَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لا ، وَ اللَّهُ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا) بفرارهم عما يجري إليها (وَ أَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً) أي خوفًا في قلوبهم بكثرة الاستعاذة منها (قَالَ : فَيَقُولُ : فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ) أي بذكرهم ، فإن الحسنات يذهبن السيئات (قَالَ : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ : فِيهِمْ فُلَانٌ) كناية عن اسمه و نسبه (لَيْسَ مِنْهُمْ) أي من الذاكرين (إِنَّمَا جَاءَ) أي إليهم (لِحَاجَةٍ) أي دنيوية له فجلس معهم يريد الملك بهذا أنه لا يستحق المغفرة (قَالَ : هُمُ الْجُلَسَاءُ) أي الكاملون (لا يَشْقَى) بفتح الياء (جَلِيسُهُمْ) أي مجالسهم ، قال الطيبي : أي هم جلساء لا يخيب جلسهم عن كرامتهم فيشقى انتهى (١) .

موضع الشاهد:

(إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً ، يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذُّكْرِ ...) .

التحليل البلاغي:

الابتداء أول ما يقرع السمع ، فإن كان عذب اللفظ ، صحيح المعنى ، جيد السكب ، ملائمًا للموضوع و مناسبًا للمقام ، أقبل السامع على الكلام بانسراح فوعاه

(١) : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ج٥ ، مرجع سابق ، ص١٤٦ - ١٤٧ .

و علم ما فيه ، و إن كان على خلاف ذلك أعرض عنه و نفر منه ^(١) ، و هذا ما يظهر في الحديث القدسي السابق .

فقد ابتداء الرسول صلى الله عليه وسلم الحديث بجملة اسمية مثبتة ، دعا فيها المخاطب إلى أن يقبل جميع كلامه فيصغي إليه و يتأمله و يعيه ، خاصةً و أنه بدأ كلامه بألفاظ عذبة خالية من الثقل و التنافر ، و تخير النظم الأجود البعيد عن التعقيد ، و أتى بالمعنى الصحيح المطابق لمقتضى الحال .

و هناك فرق بين قول الرسول صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى ملائكة) و بين (لله ملائكة) حيث جاءت الأولى جملة اسمية قوية مثبتة و الثانية أقل منها في الدرجة فهي مجرد إخبار ^(٢) .

و يظهر السرُّ البلاغي من حُسن الابتداء في أنه يشير إلى المقصود من الحديث التالي له فهو يشير إلى فضل ذكر الله تعالى و فضل كلمة التوحيد و الإيمان بالعالم الغيبي فينبغي للمتكلم النظر في أحوال المخاطب ، و يتفقد ما يكره سماعه ليتجنب ذكره .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ١١٤ .

(٢) : دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني ، مرجع سابق ، ص ٣١٥ .

الحديث الثاني:

أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ : حَدَّثَنَا هَارُونَ - هُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ - الْحَرَّازُ قَالَ : حَدَّثَنَا هَمَّامٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ الْحَسَنِ عَنْ حُرَيْثِ بْنِ قَبِيصَةَ قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا ، فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : فَقُلْتُ : إِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُيَسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا ، فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ) .

قَالَ هَمَّامٌ : لَا أَدْرِي هَذَا مِنْ كَلَامِ قَتَادَةَ ، أَوْ مِنَ الرَّوَايَةِ : (فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ ، قَالَ : انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ ؟ فَيُكَمَّلُ بِهِ مَا نَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ) (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد:

(إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ) .

التحليل البلاغي:

(١) : سنن النسائي ، بشرح الإمامين السيوطي والسندي ، ج ١ ، كتاب الصلاة ، باب المحاسبة على

الصلاة ، رقم الحديث : ٤٦٤ ، مرجع سابق ، ص ٣٤٣ .

(٢) : انظر البحث : ص ٩٨ .

يظهر حُسن الابتداء في الحديث القدسي السابق بعبارة مشوقة تنبه الفكر و تنشط الذهن و هي : (**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ**) فهذه العبارة تحمل ألفاظاً عذبة خالية من التنافر و الثقل ، فكل كلمة وضعت في مكانها الصحيح السليم بعيدة عن الغموض و التعقيد .

فالحديث بدأ بجملة اسمية فيها دلالة على الثبات و الاستقرار ، فقوله : (**إِنَّ**) تدل على التأكيد ، و قوله : (**أَوَّلَ**) فيها لفت انتباه و إثارة تشويق : ما أول ما يحاسب به العبد ؟ فهنا نجد أن العبارة جزلة النظم سلسلة اللفظ رقيقة السبك ، و هذا أدعى إلى قبولها و دخولها إلى عقل المتلقي بكل يسر و سهولة .

و يلاحظ أنّ العبارة السابقة عبارة موجزة كثيرة المعاني قليلة الألفاظ ، تشير إلى أنّ أول الأعمال التي يحاسب عليها العبد الصلاة ، فالصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، و من هدمها فقد هدم الدين ، و تجدر الإشارة إلى استخدامه صلى الله عليه و سلم للفاعل المضارع (**يُحَاسَبُ**) ففيه دلالة على أن نوعية الحساب و طريقته و كلفيته مجهولة لا يعلمها إلا الله سبحانه .

و قد اكتسب الحديث القدسي كغيره من الأحاديث القدسية بلاغة و فصاحة ترجع إلى عوامل عدة منها حُسن الابتداء ، و التسلسل المنطقي المترابط ، و جودة الصياغة و إتقانها .

الحديث الثالث:

حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ نَصْرٍ . أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ عَنْ لَيْثِ بْنِ سَعْدٍ . حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ يُحْيَى
عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُعَاوِيَّ ثُمَّ الْحُبَلِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ -
رضي الله عنهما - يقول : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ
رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ
سَجَلًا ، كُلُّ سَجَلٍ مِثْلَ مَدِّ الْبَصْرِ ، ثُمَّ يَقُولُ أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي
الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ! فَيَقُولُ : أَفَلَاكَ عُذْرٌ ؟ قَالَ : لَا يَا رَبِّ ،
فَيَقُولُ : بَلَى ؛ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٍ
فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : احْضُرْ
وَرَنْتَكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ ، فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا
تُظَلَمُ ، قَالَ : فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ
وَتَقَلَّتِ الْبِطَاقَةُ ؛ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ) (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد:

(إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...) .

التحليل البلاغي:

(١) : الجامع الصحيح سنن الترمذي ، إعداد : هشام سمير البخاري ، ج ٣ ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء

فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، رقم الحديث : ٢٦٤٤ ، مرجع سابق ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) : انظر البحث : ص ١٥٨ .

حُسن الابتداء هو داعية الانشراح و مطية النجاح ، و قد بدأ صلى الله عليه و سلم الحديث بجملة اسمية مؤكدة و مثبتة ، داعياً بها المتلقي إلى الإنصات و الإصغاء ؛ نظراً لما تحمله تلك الجملة من تشويق و لفت انتباه .

فقوله صلى الله عليه و سلم: (**إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ...) عبارة قوية تحمل في طياتها معاني عظيمة ، منها : فضل التوحيد الخالص من شوائب الشرك بأنه و بإذن الله سيكون مناجاة لصاحبه يوم القيامة إضافة إلى عظم أهوال يوم القيامة و أحوالها ذلك اليوم الذي يشيب به الوليد ، و تضع الحامل حملها ، و ترى الناس سكارى و ما هم بسكارى ، إضافة إلى أن هذه العبارة تحمل بشائر و مفاجآت لكل إنسان مؤمن إيماناً صادقاً .

فقوله صلى الله عليه و سلم : (**إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي**) يختلف عن (سيخلص الله رجلاً من أمتي) فالأولى جملة اسمية دالة على الثبات و الاستقرار ، و خبرية مثبتة ، و مؤكدة بالرغم من حدوث هذا الأمر بالاستقبال ففيها بشرى و مفاجأة و طمأنة للإنسان المؤمن إيماناً خالصاً و تفاعلاً و رضا و استحضاراً للعقل و القلب و تمنياً بأن يكون من هذا الصنف ، أما الجملة الثانية فهي أقل منها الدرجة حيث تحمل خيراً فقط .

و قد اشتمل هذا الابتداء الحسن إشارة إلى المقصود و هو عظم كلمة لا إله إلا الله ، و فضل التوحيد الخالص من شوائب الشرك ، و إن كان الأمر كذلك سُمي براءة استهلال^(١) .

فالرسول صلى الله عليه و سلم جعل مطلع كلامه و هو (**إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي** ...) متناسباً مع ما بعده و متلائماً معه ، فكان دالاً على موضوعه الذي هو آخذ في التعبير عنه ، و من هنا طُبع هذا الحديث بطابع البلاغة إضافة إلى ما يحمله من فنون و ألوان عدة .

(١) : (أحسن الابتداءات ما ناسب المقصود) ، الإيضاح ، ص ٤٢١ .

الحديث الرابع :

حدَّثني بشر بن مرحوم : حدَّثنا يحيى بن سليم ، عن إسماعيل بن أمية ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى : (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره) (١) .

المضمون العام للحديث :

سبق التعرُّض له (٢) .

موضع الشاهد :

(ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ...) .

التحليل البلاغي :

بدأ الحديث القدسي بوعيد شديد من الله سبحانه و تعالى محددًا زمنًا معيناً و هو يوم القيامة ، ذلك اليوم الذي لا ينجو منه أحد حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا برحمة الله عزَّ وجلَّ ، فمن الذي يجراً أن يخاصم الله عزَّ وجلَّ ؟

فجملة (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة) تحمل تشويقاً عظيماً للمتلقي و لفتاً للانتباه و لهفة لمعرفة ، من هم هؤلاء الثلاثة ؟ و تنشيط للفكر و تحفيز للذهن

(١) : صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب إثم من باع حراً ، رقم الحديث : ٢٢٢٧ ، مرجع سابق ، ص ٤١٥ .

(٢) : انظر البحث : ص ١٨٨ .

و العقل ، فالخبر الذي تحمله هذه الجملة الاسمية الخبرية خبراً قوياً يحمل وعيداً و تهديداً
لثلاثة أصناف من الناس ، و الجملة تدل على الثبات و الاستقرار .

و عند مجئ العدد ثلاثة يحصر تفكير المتلقي في ثلاثة أصناف فقط ، و و أما
ضمير المتكلم (أَنَا) ففيه دلالة على العظمة و القوة و الجبروت و الكبرياء و العزة التي
تليق به سبحانه عزَّ وجلَّ ، و عندما قال : (خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقشعر البدن
خوفاً منه سبحانه على ألا يكون ذلك الشخص المتلقي منهم و خاصةً في ذلك اليوم
الموعود .

ثم ذكر سبحانه هؤلاء الأصناف الثلاثة في جملة اسمية متوازنة مختلفة الألفاظ ،
متلائمة المعاني ، متلاحمة الأجزاء ، متناسبة الدلالات ، الخصم الأول مناقض العهد ،
و الخصم الثاني آكل الحرام ، و الخصم الثالث مستأجر لأجير و لم يعطيه أجره .

و قد أعلن الله سبحانه و تعالى خصومته لهؤلاء الأصناف يوم القيامة لعل الإنسان
أن يتقي الله في أقواله و أفعاله ، فلا يوجد شخص يقوى على مخاصمته سبحانه
و محاربتة و مواجهة جبروته و غضبه .

فقد اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابتداءً كلامه ألفاظاً جزلة عذبة خالية
من الثقل ، و أتى بمعنى صحيح مطابق لمتقضى الحال .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُمَيْرٍ ح ، وَحَدَّثَنَا ابْنُ مُمَيْرٍ (وَاللَّفْظُ لَهُ) حَدَّثَنَا أَبِي : حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ حَكِيمٍ : أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رُكْعَتَيْنِ . وَصَلَّيْنَا مَعَهُ . وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا . ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً . سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرْقِ فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِيهَا) (١) .

المضمون العام للحديث:

لقد فضّل الله تعالى هذه الأمة و ميّزها و اختصها على غيرها من سائر الأمم بكرامات كثيرة في الدنيا ليس لغيرها ، لم تكن لها أن تتميز و تتبوأ هذه المكانة ، و تلك الفضيلة إلا بتعظيم الله لرسولها و تكريم نبيها و إتباع هذه الأمة نبيها محمداً صلى الله عليه وسلم .

فقد بدأ الحديث القدسي بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بمسجدٍ من بني معاوية ، و هم بطن من بطون الأنصار ، قيل : كان المسجد في المدينة (دَخَلَ) أي دخل المسجد استئناف بيان. و في رواية البغوي : فدخل ، أي دخل المسجد (فَرَكَعَ) أي فصلّى فيه (رُكْعَتَيْنِ) أي تحية أو فريضة (وَصَلَّيْنَا مَعَهُ) أي موافقة أو متابعة (وَ دَعَا أَي فَنَاجَى كَمَا فِي رِوَايَةِ (رَبُّهُ طَوِيلًا) أي زماناً كثيراً أو دعاء عريضاً بعد الصلاة ، و الظاهر أن أصحابه دعوا معه أو أمنوا ، و الأظهر أن (طَوِيلًا) قيد للصلاة و الدعاء ... (ثُمَّ انْصَرَفَ) أي من الدعاء فقال: (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا)

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ط ٤ ، ج ١٧ ، كتاب الفتن و أشراف الساعة ، باب هلاك هذه الأمة

بعضها ببعض ، رقم الحديث: ٢٨٩٠ ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

أي من المسؤولات ، أو ثلاث مرات (فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً) فيه زيادة توضيح (سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ) أي بالقحط العام (فَأَعْطَانِيهَا) أي المسألة (وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ) أمتي (بِالْغَرَقِ) بفتحتين ، و في نسخة بسكون الراء بالغرق العام كقوم فرعون في اليم ، و قوم نوح بالطوفان (فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بِأَسْهُمٍ) أي حرهم الشديد (بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِيهَا)^(١) .

موضع الشاهد :

(سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً ...) .

التحليل البلاغي :

الاستهلال هو الطليعة الدالة لما جاء بعدها ، لذا أحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم مبدأ حديثه حينما قال : (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً) فقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم حديثه بألفاظ عذبة جزلة سلسلة منتقاة ، و قد تخير النظم الحسن و السبك الصحيح ، لذلك جاء المعنى واضحاً خالياً من الحشو و الركافة و التعقيد و الثقل .

و قد تأنق الرسول صلى الله عليه وسلم في مبدأ حديثه : (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا ...) فبدأ حديثه بجملة فعلية فعلها ماضٍ دال على الثبات و الاستقرار .

فمن الخصائص العظيمة لهذه الأمة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه لهذه الأمة ، فقد سأل الله ثلاثاً و أجاب الله دعوته في اثنتين و منعه واحدة : فالأولى أن لا يهلك أمته بالسنين أي المجاعات الماحقة التي تهلك بها الأمة كافة فأعطاه إياها ، و أن لا يهلكها بما أهلك به الأمم السابقة كالغرق الذي أهلك الله به قوم نوح و فرعون و جنوده ، فأعطاه إياها. و لكن أمراً آخر طلبه النبي صلى الله عليه وسلم من ربه ،

(١) : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ج١ ، كتاب الفضائل و الشمائل ، باب فضل سيد

المرسلين ، مرجع سابق ، ص ٤٣٠ - ٤٣١ .

فلم يجب إليه و لم يضمه له ، و هو : أن لا يجعل بأس هذه الأمة بينها ، فلم يجب الله سبحانه لرسوله الكريم هذا السؤال ، فتركه للسنن الكونية و الاجتماعية ، الأسباب و المسببات .

و في قوله صلى الله عليه وسلم : (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً) إثارة للذهن ، و تنشيط للعقل ، و تحفيز للفكر ، و هو يحتاج إلى التأمل ، و يبحث على التدبر ، فإذا اهتدى للمعنى ثبت في ذهنه و تأكد لديه .

و فيه أيضاً تشويق و لفت انتباه للمتلقى ، فقد تحث المتلقي على إلهاب عقله ، و شحذ فكره لمعرفة ما هي تلك الدعوات الثلاث التي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه .

و يلاحظ في الحديث ورود أعداد ثلاث بدأت من الأكبر للأصغر (ثلاثاً ، ثنتين ، واحدة) و قد جاءت كل كلمة في موقعها الصحيح و لم تكن ملفقة مقطعة الأوصال .

و عند التأمل في حروف العطف (فَأَعْطَانِي - و مَنْعَنِي) نجد براعته صلى الله عليه وسلم في توظيفها ؛ فالفاء تدل على الترتيب و التعقيب ، و أما الواو فهي تدل على المشاركة المطلقة ، فمن هنا نستنتج - كما يبدو لي - أن عطاء الله سبحانه و تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم كان سريعاً ، و ليس مثل منعه و الله أعلم .

فمن هنا نجد أنه انطبق وصف البلاغة على هذا الحديث القدسي فالرسول صلى الله عليه وسلم مهَّد لقوله تمهيداً جيداً ، و جعل أول كلامه منسجم الأفكار مع آخره ، إضافة إلى ما فيه من ألوان و فنون بلاغية رائعة .

ثانياً : حسن الانتهاء :التعريف باللون البديعي :

لم يذكر ابن أبي الإصبع المصري تعريفاً محدداً لحسن الانتهاء و اكتفى بذكر أنه :
 " يجب على الشاعر و الناثر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة ، فإنها آخر ما يبقى في
 الأسماع ، و لأنها ربما حُفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال فيجب أن
 يجتهد في رشاقتها و نُضجها و حلاوتها و جزالتها " (١) .

و لم يورد كذلك السكاكي تعريفاً محدداً لحسن الانتهاء ، في حين ذكر الخطيب
 القزويني : أنه ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه ، حتى تكون أعذب
 لفظاً و أحسن سبكاً ، و أصح معنى . و ذكر منها " الانتهاء ؛ لأنه آخر ما يعيه
 السمع ، و يرتسم في النفس ، فإن كان مختاراً كما وصفنا جبر ما عساه وقع فيما قبله
 من التقصير ، و إن كان غير مختار كان بخلاف ذلك ، و ربما أنسى محاسن ما
 قبله " (٢) .

و ذكر سعد الدين التفتازاني شارحاً قول الخطيب السابق : " (و ثالثها) أي
 ثالث المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها (الانتهاء) لأنه آخر ما يعيه السمع
 و يرتسم في النفس ، فإن كان حسناً مختاراً تلقاه السمع و استلذه حتى جبر ما وقع
 فيما سبقه من التقصير ، و إلا كان على العكس ، حتى ربما أنساه المحاسن الموردة
 فيما سبق ... " (٣) .

(١) : تحرير التحبير ، ٦١٦ .

(٢) : الإيضاح ، ٤١٩ ، ٤٢٤ .

(٣) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٥٤٣ .

و أيضًا علق المغربي على قول الخطيب ذاكراً : " (وثالثها) أي و ثالث المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها (الانتهاء) ، أي انتهاء القصيدة أو الرسالة أو الخطبة ، لأن الانتهاء آخر ما يفهمه السامع و يحفظه من القصيدة أو الخطبة أو الرسالة و يرتسم في نفسه ، فإن كان ذلك الانتهاء مختاراً حسناً تلقاه بغاية القبول و استلذه استلذاً يجبر به ما وقع فيما سبقه من التقصير و جبر الواقع من التقصير يعود إلى مجموع الكلام بالقبول و المدح ، و إلا كان الأمر على العكس ، أي و إن لم يكن الانتهاء حسناً مجه السامع و أعرض عنه و ذمه ، و ذلك مما قد يعود على مجموع الكلام بالذم لأنه ربما أنسى محاسنه السابقة قبل الانتهاء فيعمه الذم و يرمي إلى الورا و يكون عند السامع مما ينبذ بالعراء و من المعلوم في المذوقات أن آخر الطعم إن كان لذيذاً أنسى مرارته الأولى ، و إن كان مرا أنسى حلاوته الأولى ... " (١) .

و أشار صاحب العروس إلى أن قوله : " (و ثالثها الانتهاء) أي المقطع و يطلب تحسينه لأنه آخر ما يعيه السمع و يرتسم في الذهن ، قال : فإذا كان مختاراً جبر ما عساه وقع قبله من تقصير ، و إن كان غير مختار فبالعكس و ربما أنسى حسن ما قبله " (٢) .

و ذُكر في حاشية الدسوقي على شرح السعد : " (قوله الانتهاء) أي الكلام الذي انتهت به و ختمت القصيدة أو الخطبة أو الرسالة و ختم المصنف كتابه بالكلام على حسن الانتهاء لأجل أن يكون فيه حسن انتهاء ، حيث أعلم بفراغ كلامه و انتهائه ففيه براعة مقطع (قوله : آخر ما يعيه) أي يحفظه ، و قوله : (السمع) أي سمع السامع ، و يرتسم في نفسه أي يدوم و يبقى فيها ، فأل عوض عن المضاف إليه . (قوله : تلقاه السمع) أي بغاية القبول (قوله : حتى جبر ما وقع فيما سبقه من التقصير) أي فتعود ثمرة حسنه إلى مجموع الكلام بالقبول و المدح (قوله : و إلا كان

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٥٤٣ .

(٢) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٥٤٣ .

على العكس) أي و إن لم يكن الانتهاء حسنا مجه السمع و أعرض عنه و ذمه ،
و ذلك قد يعود على مجموع الكلام بالذم ، لأنه ربما أنسى محاسنه السابقة قبل
الانتهاء ، فهو أي ما ختم به الكلام كالطعام الذي يتناول في الآخر بعد غيره من
الأطعمة ، فان كان حلواً لذيذا أنسى مرارة أو ملوحة ما قبله و إن كان مرا أو مالحا
أنسى حلاوة ما قبله ... " (١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي المعنوي (حسن الانتهاء) ،
و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام
و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٥٤٣ .

الحديث الأول :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَهْرَامِ الدَّارِمِيُّ : حَدَّثَنَا مَرْوَانُ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدِ
 الدَّمَشْقِيِّ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ رَيْبَعَةَ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ
 الحَوْلَانِيِّ ، عَنْ أَبِي دَرِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ
 اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، أَنَّهُ قَالَ : (يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ
 بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا . فَلَا تَظَالَمُوا . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ . فَاسْتَهْدُونِي
 أَهْدِيكُمْ . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ . يَا
 عِبَادِي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ . فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ . يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ
 تُحْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا الَّذِي أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ
 لَكُمْ . يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي . وَ لَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي
 فَتَنْفَعُونِي . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى
 قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ . مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ
 وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا .
 يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي
 فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا
 أَدْخَلَ الْبَحْرَ . يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ
 وَجَدَ خَيْرًا فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ) .

قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الحَوْلَانِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الحَدِيثِ جِثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ (١)

المضمون العام للحديث :

اشتمل الحديث القدسي السابق على كثير من قواعد الدين و أصوله ، فنص على
 تحريم الظلم بين العباد ، و هو من أعظم المقاصد التي جاءت الشريعة بتقريرها ، و جاء

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي، ج ١٥ ، كتاب البر و الصلة و الآداب ، باب تحريم الظلم ، رقم

الحديث : ٢٥٧٧ ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

التأكيد فيه على أهمية الدعاء ، و طلب الهداية من الله وحده ، و سؤال العبد ربه كل ما يحتاجه من مصالح دينه و دنياه ، و الدعاء هو العبادة .

كما أنه تضمن تنزيه الله ، و إثبات صفات الكمال و نعوت الجلال له سبحانه ، و بيان غناه عن خلقه ، و أنه لا تنفعه طاعة الطائعين ، و لا تضره معصية العاصين ، و فيه أيضاً التنبيه على محاسبة النفس ، و تفقد الأعمال ، و الندم على الذنوب .

و قد وضع النووي معنى الحديث السابق " فقله تعالى : (**إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي**) . قال العلماء : معناه : تقدست عنه و تعاليت . و الظلم مستحيل في حق الله سبحانه و تعالى كيف يجاوز سبحانه حداً و ليس فوقه من يطيعه ، و كيف يتصرف في غير ملك و العالم كله في ملكه و سلطانه . و أصل التحريم في اللغة المنع فسمي تقدسه عن الظلم تحريماً لمشايمته للممنوع في أصل عدم الشيء .

و قوله تعالى : (**وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**) هو بفتح التاء أي لا تتظالموا ، و المراد لا يظلم بعضكم بعضاً ، و هذا توكيد لقوله تعالى : (**إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**) و زيادة تغليظ في تحريمه .

و قوله تعالى : (**كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ**) قال المازري : ظاهر هذا أنهم خلقوا على الضلال إلا من هداه الله تعالى ، و في الحديث المشهور كل مولود يولد على الفطرة ، قال: فقد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، و أنهم لو تركوا و ما في طباعهم من إثارة الشهوات و الراحة و إهمال النظر لضلوا ، و هذا الثاني أظهر ، و في هذا دليل لمذهب أصحابنا و سائر أهل السنة أن المهتدي هو من هداه الله ، و بهدي الله اهتدي ، و بإرادة الله تعالى ذلك ، و أنه سبحانه و تعالى إنما أراد هداية بعض عباده و هم المهتدون ، و لم يرد هداية الآخرين و لو أرادها لاهتدوا خلافاً للمعتزلة في قولهم الفاسد أنه سبحانه و تعالى أراد هداية الجميع جلّ الله أن يريد ما لا يقع أو يقع ما لا يريد .

و قوله تعالى : (ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر) المحيط بكسر الميم و فتح الياء هو الإبرة . قال العلماء : هذا تقريب إلى الأفهام و معناه لا ينقص شيئاً أصلاً كما قال في الحديث الآخر لا يغيضها نفقة أي لا ينقصها نفقة لأن ما عند الله لا يدخله نقص ، و إنما يدخل النقص المحدود الفاني ، و عطاء الله تعالى من رحمته و كرمه و هما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص ، فضرب المثل بالمحيط في البحر لأنه غاية ما يُضرب به المثل في القلة ، و المقصود التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه ، فإن البحر من أعظم المرئيات عياناً و أكبرها ، و الإبرة من أصغر الموجودات مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء و الله أعلم " (١) .

موضع الشاهد :

(... يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ . ثم أوفيكُم إياها . فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ) .

التحليل البلاغي :

حُسن الانتهاء أن يختتم المتكلم كلامه ختاماً حسناً في ألفاظه و معانيه ، و هذا ما نلاحظه في قوله صلى الله عليه وسلم السابق ، حيث راعى صلى الله عليه وسلم تحيّر الألفاظ و النظم الجيد و صحة المعنى و مطابقتها لمقتضى الحال .

فقد ختم الحديث صلى الله عليه وسلم ببيان عدل الله سبحانه و إحسانه إلى عباده ، فبين الله تعالى في نهاية الحديث أنه يحصي أعمال عباده ، ثم يوفيهم أجورها و جزاءها يوم القيامة ، فإن وجد العبد في صحيفته أعمالاً صالحة فهي محض إحسان ، و تفضل منه جلّ و علا ، حيث وفق العبد إليها و أعانه عليها ، و وفاه أجرها و ثوابها ، و لذلك استحق الحمد و الثناء ، و إن وجد غير ذلك فليوقن أن الله عامله بالعدل و لم يظلمه شيئاً ، و إن كان هناك من يستحق اللوم فهي النفس التي أمرته

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

بالسوء و سولت له المعصية و الذنب ، فيلاحظ هنا عدوثة الألفاظ و حسن سبكها و صحة معناها .

فالحديث صُيغ بصيغة البلاغة و البراعة و الجودة و الإتقان ، فهذا يظهر لمن يتأمل الحديث من أوله و حتى نهايته ، فحُسن الابتداء و جودة الإخراج و سلامة العرض و جودة صياغته و ترابطه و تلاحمه كلها أمور أدت إلى خروج الحديث بعيداً إلى جماليات لا تتناهى .

و يظهر في حُسن الانتهاء أساليب بلاغية عدة شاركت في جمال الأسلوب من أبرزها : أسلوب النداء في قوله (يَا عِبَادِي) ففيه دلالة على التودد و التقرب للعباد ، و أسلوب الشرط : (فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ) و فيه إشارة إلى عدل الواحد القهار و حكمته .

ختام الكلام هو آخر ما يعيه السامع و يرتسم في نفسه و يرسخ في ذهنه ، و هذا ما نجده في هذا الحديث القدسي .

الحديث الثاني :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ : حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ : حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجْرٍ عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد :

(... وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) .

التحليل البلاغي:

ختم الله تعالى الحديث القدسي ختاماً حسناً في ألفاظه و معانيه ، فقد كان الختام ملائماً لما قبله و مناسباً للموضوع ، فقد تحدث الله سبحانه و تعالى في الحديث عن وليه و فضل تقرب هذا الولي لله سبحانه ، و كيف أنه يكون سمعه و بصره و يده و رجله ، و أنه متى ما سأل يُعطي ؛ و متى ما يستعيز يُعاز ، ثم أتى ختام الحديث

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني، ج ٢٣، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، رقم الحديث : ٦١١٦ ،

مرجع سابق ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) : انظر البحث : ص ١٧٣ .

مترابطاً و متلاحماً بما قبله ، فالله سبحانه لا يتردد في شيء يفعلُه مثل ترده في نفس المؤمن ، فالمؤمن يكره الموت ، و الله تعالى يكره مساءته .

و " التردد كناية عن محبة الله تعالى لعبده المؤمن أن يأتي بسبب من الأسباب الموجبة لخلوصه من المرض الذي وقع فيه حتى يطول به عمره ، من دعاء ، أو صلة رحم ، أو صدقة ، فإن فعل مُدَّ له في عمره بما يشاء ، و تقتضيه حكمته ، و إن لم يفعل حتى جاء أجله ، و حضره الموت مات بأجله الذي قد قُضي عليه إذا لم يتسبب بسبب يترتب عليه الفسحة له في عمره ، مع أنه و إن فعل ما يوجب التأخير ، و الخلوص من الأجل الأول ، فهو لا بد له من الموت بعد انقضاء تلك المدة التي وهبها الله سبحانه له " (١) .

و عند التأمل في نهاية الحديث يُرى أنه توكيد و تقرير للكلام المتقدم و تحقيق له ، و خصوصاً إنه كرّر عدداً من الكلمات مثل : (تَرَدَّدْتُ ، تَرَدُّدِي ، يَكْرَهُ ، أَكْرَهُ ، أَنَا ، أَنَا) فغالباً ما يُراد من التكرار التأكيد .

كان ختام هذا الحديث مما يرسخ في الذهن ، و يبقى في النفس ، و يعلق بالقلب و العقل ؛ و ذلك لانسجام الألفاظ و المعاني بعضها مع بعض ، و أيضاً بسبب التسلسل المنطقي المترابط الموضوعي الواضح ؛ الذي أكسب الحديث الجودة و الدقة و الإتقان .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ٣٩٤-٣٩٥ .

الحديث الثالث:

أَخْبَرَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ ، فَإِذَا خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ فَخَانَهُ ، قِيلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : هَذَا خَانَكَ فِي أَهْلِكَ ، فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ ، فَمَا ظَنُّكُمْ ؟) (١) .

المضمون العام للحديث:

كان الحديث القدسي السابق في بيان فضل المجاهدين و علو مكانتهم عند الله عزَّ و جلَّ ، وفيه واجب المسلمین نحو المرأة المسلمة التي لحقها ضرر في زوجها المجاهد ، و وعيد شديد لمن خان مجاهداً في أهله و تخلى عن نفقتهم مع القدرة على ذلك .

قال السندي: " قوله (كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ) تغليظ و تشديد ، أو إشارة إلى وجود توقيهن ، و إلا فحرمة الأمهات مؤبدة دون حرمة نساء المجاهدين ((يتخلف)) محتمل أنه من خلفه إذا نابه ، أو من خلفه إذا جاء بعده و هما من حصر نصر ، و ذلك لأن الخائن في الأهل كالنائب للأصل ، و قد جاء بعده في الأهل (فَمَا ظَنُّكُمْ) أي إذا كان حال من خانه خيانةً واحدةً فما حال من زاد على ذلك . و ما ظنكم به ، أو إذا خير الغازي فما ظنكم بحسابه ؟ هل يأخذ الكل ، أو يترك شيئاً ؟ (٢) .

قال النووي في شرح صحيح مسلم : " قوله صلى الله عليه و سلم : (حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ) ، هذا في شيئين : أحدهما : تحريم التعرض لمن بريية من نظر محرّم ، و خلوة و حديث محرّم ، و غير ذلك . و الثاني : في

(١) : سنن النسائي ، بشرح الأمامين السيوطي و السندي ، ط١ ، ج٣ ، كتاب الجهاد ، باب من خان

غازياً في أهله ، رقم الحديث: ٣١٩٠ ، مرجع سابق ، ص٣٥٨ .

(٢) : المرجع السابق ، ص٣٥٨ .

برهن و الإحسان إليهن ، و قضاء حوائجهن التي لا يترتب عليها مفسدة ، و لا يتوصل بها إلى ريبة و نحوها " (١) .

موضع الشاهد:

(... قِيلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : هَذَا خَانَكَ فِي أَهْلِكَ ، فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ ، فَمَا ظَنُّكُمْ ؟) .

التحليل البلاغي:

ختم الحديث القدسي بأسلوب استفهامي إنشائي طلبي ، فيه إثارة لذهن المتلقي و تشويق و لفت انتباه ، إضافةً إلى ما له من دور في تنشيط العقل ، و حثه على التفكير و البحث .

فمن المتعارف عليه في أسلوب الاستفهام أنه ينقسم إلى قسمين : حقيقي و مجازي ، و هذا الحديث من القسم الثاني ، فقد خرج الاستفهام (فَمَا ظَنُّكُمْ ؟) من معناه الحقيقي إلى معني مجازي بلاغي و هو الاستنطاق ، أي فما ظنكم يوم القيامة ذلك اليوم الذي ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (٢) ما ظنكم ؟ في ذلك الخائن الذي يخون أخاه الغازي في نسائه ، ما ظنكم أن يفعل به خاصةً و أنه يوم يبحث فيه كل شخص عن حق يكون له على غيره حتى يأخذه أو يستوفيه ، و لو كان من أقرب الأقرباء إليه .

و يُلاحظ في نهاية الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلّم قد تأنق في صياغته ، فقد اختار الألفاظ الملائمة للمعاني و المناسبة لها ، و قد أجاد صلى الله عليه وسلّم

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٣ ، كتاب الإمارة ، باب حرمة نساء المجاهدين و إثم من خانهم

فيهن ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(٢) : (عيس ، ٣٤ - ٣٧) .

السبك و النظم ، و كانت النهاية مناسبة و مرتبطة أشد الارتباط بما تقدمها من كلام ، و لذلك ظهر الحديث متماسكاً و مقترناً بعضه مع بعض .

و عند إنعام النظر في نهاية الحديث نجد أنه من الأحاديث القدسية النادرة التي تنتهي بأسلوب استفهام .

الحديث الرابع :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ : حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ الْجَلَّاحِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّي وَ سَعْدِيكَ ، قَالَ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : رَبِّي لَا أَدْرِي ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْ ، فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، فُقُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّي وَ سَعْدِيكَ ، قَالَ : فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : فِي الدَّرَجَاتِ وَالْكَفَّارَاتِ ، وَفِي نَقْلِ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ ، وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ يُحَافِظُ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) (١) .

المضمون العام للحديث :

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد:

(... وَ مَنْ يُحَافِظُ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ وَ مَاتَ بِخَيْرٍ ، وَ كَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) .

التحليل البلاغي:

تميز هذا الحديث القدسي بحسن الانتهاء - كغيره من الأحاديث القدسية - فقد جاء آخر كلامه صلى الله عليه وسلم عن ربه عزَّ وجلَّ عذب اللفظ ، حسن السبك ، صحيح المعنى .

(١) : سنن الترمذي ، إعداد : هشام سمي البخاري ، د . ط ، ج ٥ ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ٣٨ ،

رقم الحديث : ٣٢٤٨ ، مرجع سابق ، ص ٣٦٧

(٢) : انظر البحث : ص ٢١٦ ، و لكن هذا الحديث برواية مختلفة .

فخاتمة الحديث القدسي كانت وثيقة الصلة بالموضوع ، فالحديث كان يتحدث عن فضل الدرجات و الكفارات ، ثم جاءت الخاتمة مشتملة على أسلوب الشرط المقرون بالترغيب على القيام بهذه الأعمال ، و ضرورة الحفاظ عليها و ملازمتها حتى يفوز بالمكافأة العظيمة ، و هي الحياة و العيش و الممات الطيب ، و البراءة من الذنوب و المعاصي و الخطايا كيوم ولدته أمه .

فقد كانت نهاية الحديث القدسي نهاية حسنة أتت على أحسن و أتم و أجود وجوه البلاغة ، راعى فيه صلى الله عليه وسلم صحة المعنى و جودة اللفظ و مطابقته لمقتضى الحال .

و في نهاية الحديث عددٌ من الأساليب البلاغية التي شاركت في جمال الأسلوب و بهجته و رونقه ، منها ما ذكر سابقاً و هو أسلوب الشرط ، بالإضافة إلى أسلوب الطباق الذي كان بين الفعلين (عَاشَ ، مَاتَ) ، و أسلوب التشبيه فقد شبه خلو الإنسان المحافظ على الدرجات و الكفارات المداوم على فعلها من الذنوب و المعاصي بخلوه من الذنوب و المعاصي و الخطايا حينما ولدته أمه ، فما أعظمه من فضل ! و ما أكبره من أجر ! .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ : أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، يَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ ، فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، فَيَقُولُ : أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا : يَا رَبَّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ ، فَيَقُولُ : أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد:

(... أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) .

التحليل البلاغي:

تخير صلى الله عليه وسلم بانتهاء حديثه القدسي فيما يرويه عن ربه عز وجلّ ألفاظاً عذبة فصيحة خالية من الثقل والحشو ، و معنى صحيح مطابق لمقتضى الحال ، و نظم يمتاز بالدقة و الجودة .

فقد كان نهاية حديثه صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجلّ مرتبطاً أشد الارتباط بأوله ، فالحديث عبارة عن خطاب رب العزة لأهل الجنة ، و سؤاله عز وجلّ عن

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ط ٢ ، ج ٢٣ ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة و النار ، رقم

الحديث : ٦١٦٢ ، مرجع سابق ، ٤٨-٤٩ .

(٢) : انظر البحث : ص ٧٣ .

رضاهم و قد أدخلهم جنته ، و كان جوابهم حسب علمهم : (وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ يَا رَبُّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ) ، فكان جواب الله عزَّ وجلَّ أن هناك نعيمًا أكبر من نعيم الجنة ، ألا و هو إحلال الرضا عليهم فلا يسخط عليهم أبداً ، فرضاه سبحانه و تعالى عن عباده هو أكبر نعيم يلقونه في دار الإكرام و الإنعام ، و رضاه عزَّ و جلَّ سبب كل سعادة ، و الله متفضِّل عليهم بالنعم كلها دنيوية و أخروية .

فمن هنا نلاحظ أنه صلى الله عليه وسلَّم قد ختم كلامه عن الله عزَّ و جلَّ ختاماً حسناً في ألفاظه و معانيه ، ملائماً لما قبله ، و مناسباً للموضوع ، لذلك رسخ في الذهن ، و ثبت بالقلب ، و وعاه العقل .

و قد تميز نهاية الحديث بلون بديعي يشع ضوءاً و هو الطباق بين المختلفين الاسم و الفعل : (رِضْوَانِي ، أَسْخَطُ) " فالجمع بين الأمور المتضادة يكسو الكلام جمالاً و يزيده بهاءً و رونقاً " (١) .

(١) : علم البديع ، بسيوي عبدالفتاح فيود ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ .

الفصل الثاني

الألوان البديعية اللفظية في الأحاديث القدسية ،

و قيمتها البلاغية ، و يتضمن :

- ❖ المبحث الأول : الجناس .
- ❖ المبحث الثاني : السجع .
- ❖ المبحث الثالث : رد العجز على الصدر .
- ❖ المبحث الرابع : لزوم ما لا يلزم .

المبحث الأول:

الجناس

التعريف باللون البديعي:

لم يذكر ابن أبي الأصبع المصري تعريفاً خاصاً بالجناس، إنما ذكر تعريفات من سبقه من الرماني و قدامة و ابن المعتز حيث قال : " حدَّ الرَّمَّاني التَّجْنِيسَ بأنَّ قال: هو بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد من اللغة ، وجعله قسامين : جناس مزوجة ، و جناس مناسبة ، ... وأما قدامة وابن المعتز وإن اختلفا في تسمية هذا الباب فقد اتفقا على معناه ، فقال قدامة في حدّه: هو اشتراك المعاني في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق ... وقال ابن المعتز هو أن تجيء الكلمة مجانسة أختها " (١) .

و قال السكاكي : " التَّجْنِيسُ هو تشابه الكلمتين في اللفظ والمعتبر فيه في باب الاستحسان عدة أنواع ... " (٢) ، ثم عدد أنواع الجناس .

و اكتفى الخطيب القزويني عند تعريفه الجناس بقوله : " الجناس بين اللفظين ، و هو : تشابههما في اللفظ " (٣) . ثم شرع في ذكر الأنواع والأمثلة .

و قال سعد الدين التفتازاني : " فمنه الجناس بين اللفظين ، و هو تشابههما في اللفظ ، أي : في التلفظ ، فيخرج التشابه في المعنى ، نحو : أسد و سبع ، أو في مجرد العدد ، نحو : ضرب و علم ، أو في مجرد الوزن ، نحو : ضرب و قتل ... " (٤) .

و شرح المغربي قول الخطيب السابق : " (الجناس بين اللفظين) أي: في النوع المسمى بالجناس - بكسر الجيم - (وهو) أي: الجناس ، (تشابههما) أي: اللفظين (في اللفظ) أي : في التلفظ والنطق بهما ، لكون المسموع فيهما متحد الجنسية كلا أو جلا ، و إنما فسرنا اللفظ بالتلفظ لأنه لو حمل على ظاهره كان التقدير هو تشابه

(١) : تحرير التحيير ، ١٠٢-١٠٣ .

(٢) : مفتاح العلوم ، ٢٠٢ .

(٣) : الإيضاح ، ٣٧٥ .

(٤) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤١٢ .

اللفظين في اللفظ ، و لا يخفى ما فيه ، و يحتمل أن يطلق اللفظ على ذاتهما أي: حروفهما فيكون المعنى : تشابه اللفظين في حروفهما ، ثم التشابه المذكور لا بد فيه من اختلاف المعنى كما دلت عليه الأمثلة ... " (١) .

و ذكر السبكي أن : " منه الجناس بين اللفظين ، و يسمى التجنيس ، و هو حسن ما لم يكرر كما سيأتي ، قال في كنز البلاغة : و لم أر من ذكر فائدته ، و خطر لي أنها الميل إلى الإصغاء إليه ، فإن مناسبة الألفاظ لتحدث ميلاً و إصغاء إليها ، و لأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء و المراد به معنى آخر كان للنفس تشوق إليه " .أ. هـ و العبارة الثانية قاصرة على بعض أنواع الجناس " (٢) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي اللفظي (الجناس) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤١٢ .

(٢) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤١٢-٤١٣ .

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا أَزْهَرُ بْنُ الْقَاسِمِ : حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَابَاهُ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ ، فَيَقُولُ : انظُرُوا إِلَيَّ عِبَادِي ، أَتُونِي شُعْثًا غُبْرًا) (١) .

المضمون العام للحديث:

ليوم عرفة شأن عظيم في نفوس الحجاج من المؤمنين وهم واقفون على صعيد عرفات الطاهر ، رافعين أكف الضراعة و الابتهاال إلى ربهم الكريم الوهاب ، طمعاً في مغفرته ، و تكفير خطاياهم ، و محو سيئاتهم .

ففي ذلك اليوم و هو التاسع من ذي الحجة يباهي الله ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة ، و قد أتوه شعثاً غبراً من كل حدب و صوب ، و من كل فج عميق ، فالحاج في ذلك اليوم يقف مسيل الدمعة ، منكسر الفؤاد ، راجياً من الملك العلام القبول و المغفرة على ما سلف من ذنوب .

موضع الشاهد :

(... عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ ...) .

التحليل البلاغي:

وقع الجناس بين اسمين في قوله : " عَشِيَّةَ عَرَفَةَ " ، " بِأَهْلِ عَرَفَةَ " فكلمة عرفة الأولى يقصد بها اليوم التاسع من ذي الحجة ، و عرفة الثانية يقصد بها حجاج بيت الله

(١) : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، رقم أحاديثه محمد عبد السلام عبد الشافي ، ط ١ ، ج ٢ ، (بيروت :

دار الكتب العلمية ، ١٤١٣ هـ) ، ص ٢٢٤ .

الحرام ، و هم واقفون على صعيد عرفات الطاهر ، و الجناس من النوع التام ^(١) المماثل ^(٢) ، فقد جاء الاسمان متفقين في أنواع الحروف ، و أعدادها ، و هيئاتها ، و ترتيبها ، مختلفين في المعنى .

و يعد " الجناس من الحلّى اللفظية و الألوان البديعية التي لها تأثير بليغ ، تجذب السامع ، و تحدث في نفسه ميلاً إلى الإصغاء و التلذذ بنغمته العذبة ، و تجعل العبارة على الأذن سهلة و مستساغة ، فتجدد من النفس القبول ، و تتأثر به أي تأثير ، و تقع من القلب أحسن موقع " ^(٣) .

و الجناس لا يقبل و لا يعد حسناً إلا إذا طلبه المعنى و استدعاه ، و جاء عفو الخاطر ، صادراً عن طبع لا عن تكلف و تصنع ... يقول عبد القاهر الجرجاني : " و على الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ، و لا سَجَعاً حَسَناً ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه و استدعاه و ساق نحوه ، و حتى يَجِدَهُ لا تبتغي به بدلاً ، و لا تجد عنه جَوْلًا ، و من هنا كان أخلّى جناس تسمُّعُه و أعلاه ، و أحقُّه بالحُسْن و أولاهُ ، ما وقع من غير قصدٍ من المتكلم إلى اجتلابه ، و تاهب لطلبه ، أو ما هو - لحسن مُلاءمته ، و إن كان مطلوباً - بهذه المنزلة و في هذه الصورة ... " ^(٤) .

و الجناس في الحديث القدسي " عَشِيَّةَ عَرَفَةَ " ، " أَهْلِ عَرَفَةَ " جاء عفو الخاطر لا تكلف فيه و لا تصنع ، تماثلت كلماته تماثلاً كاملاً ، فطربت له الأذن ، و اهتز له وتر القلب ، مما خلق موسيقى داخلية رائعة .

و يظهر السرُّ البلاغي من الجناس و هو حسن الإفادة ، مع أن الصورة صورة التكرير و الإعادة ، و في هذا يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني : " و اعلم أنّ النكتة

(١) : الجناس التام : أن يتفقا في أنواع الحروف ، و أعدادها ، و هيئاتها ، و ترتيبها . (الإيضاح : ٣٧٥) .

(٢) : الجناس المماثل : إن كانا من نوع واحد - كاسمين - سمي ماثلاً . (الإيضاح : ٣٧٥) .

(٣) : البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم ، عبد الفتاح لاشين ، د . ط (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤٣٠هـ) ، ص ١٥٨ .

(٤) : أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، مرجع سابق ، ص ١١ .

التي ذكرتها في التجنيس ، و جعلتها العلة في استيجابه الفضيلة و هي حُسن الإفادة ،
مع أنّ الصورة صورة التكرير و الإعادة " (١) .

(١) : المرجع السابق : ص ١٧ .

الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَّارَةَ الْحَضْرَمِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضَيْلٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قُلَيْبٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ : مَا كَذَا ، مَا كَذَا ، حَتَّى يَقُولُوا : هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ ؟) .

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ . ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، عَنْ زَائِدَةَ كِلَاهُمَا ، عَنِ الْمُخْتَارِ ، عَنْ أَنَسِ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، غَيْرَ أَنَّ إِسْحَاقَ لَمْ يَذْكُرْ ، (قَالَ : قَالَ اللَّهُ : إِنَّ أُمَّتَكَ) (١) .

المضمون العام للحديث:

هذا الحديث فيه دواء لما يخالج كثيراً من النفوس ، و يتحدث به كثير من الناس فيما بينهم ، و قد حصل ما تحدث به رسول الله ﷺ في الحديث حتى في عصرنا هذا ، يحصل من بعض الناس أن يقول أحدهم : من خلق الله ؟ و هذا السؤال سؤال المحال ، و ذلك أن الذي تقتضيه البراهين العقلية و النصوص القرآنية أن صانع العالم أي : خالقه ، يجب أن يكون أزلياً أي : لا ابتداء لوجوده .

و قد بدأ الحديث القدسي بقول الله ﷻ : " (إِنَّ أُمَّتَكَ) ، أي : أمة الدعوة ، أو بعض أمة الإجابة بطريق الجهالة أو الوسوسة من الأمور العامة (لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ) أي : بعضهم لبعض ، أو في خواطرهم من غير اختيارهم (مَا كَذَا ؟ مَا كَذَا ؟) كناية عن كثرة السؤال ، و قيل و قال ، أي : ما شأنه ؟ و من خلقه ؟ (حَتَّى يَقُولُوا) أي : حتى يتجاوزوا الحد ، و ينتهوا إلى أن يقولوا (هَذَا اللَّهُ خَلَقَ

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، باب بَيَانِ الْوَسْوَسَةِ فِي الْإِيمَانِ وَمَا يَقُولُهُ ، رقم

الحديث : ٢١٧ . مرجع سابق ، ص ١٣٤ .

الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) و المقصود من الحديث إعلامه تعالى لنبيه عليه الصلاة و السلام بما سيقع من أمته ليحذرهم منه " (١) .

و قال ابن بطلال رحمه الله - حول الوسوسة في الإيمان - : " فإن قال الموسوس : فما المانع أن يخلق الخالق نفسه ، قيل له : هذا ينقض ، بعضه بعضا ، لأنك أثبت خالقا و أوجبت وجوده ثم قلت : يخلق نفسه فأوجبت عدمه ، و الجمع بين كونه موجودا معدوما فاسد لتناقضه ؛ لأن الفاعل يتقدم وجوده على وجود فعله ، فيستحيل كون نفسه فعلا له ، و هذا واضح في حل هذه الشبهة ، و هو يفضي إلى صريح الإيمان . انتهى ملخصا موضحاً " (٢) .

و قد سئل ابن عثيمين - رحمه الله - : " رجل يوسوس له الشيطان بوساوس عظيمة فيما يتعلق بالله ﷻ و هو خائف من ذلك جدًّا ، فما توجيه سماحتكم ؟
الجواب: ما ذكر من جهة مشكلة السائل التي يخاف من نتائجها ، أقول له : أبشر بأنه لن يكون لها نتائج إلا النتائج الطيبة ؛ لأن هذه وساوس يصل بها الشيطان على المؤمنين ليزعزع العقيدة السليمة في قلوبهم ، و يوقعهم في القلق النفسي و الفكري ليكدر عليهم صفو الإيمان، بل صفو الحياة إن كانوا مؤمنين .
و ليست حاله بأول حال تعرض لأهل الإيمان ، و لا هي آخر حال ، بل ستبقى ما دام في الدنيا مؤمن " (٣) .

موضع الشاهد :

(... هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ) .

التحليل البلاغي:

(١) : مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، باب الوسوسة ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧-٢٣٨ .

(٢) : الهدية في شرح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .

(٣) : المرجع السابق، ص ٩٤-٩٥ .

وقع الجناس في قوله : " خَلَقَ الخَلْقَ " فالكلمة الأولى فعل (خَلَقَ) تدل على أن الله هو الخالق ، و الكلمة الثانية (الخَلْقَ) تدل على أن الله خالق الخلق و هم العباد ، و الجناس من نوع الجناس التام المستوفي ^(١) ، فقد جاء فعل و اسم متفقين في أنواع الحروف ، و أعدادها ، و هيئاتها ، و ترتيبها ، و مختلفين في المعنى .

و الجناس في الحديث القدسي وقع عفو الخاطر دون تكلف أو تصنع ، و ترجع بلاغته إلى عدة أمور منها :

التجاوب الموسيقي الصادر عن تماثل الكلمات تماثلاً تاماً في (خَلَقَ الخَلْقَ) كلمتان تطرب لهما الأذن ، و تهتز لهما أوتار القلوب ، فتتجاوب في تعاطف مع أصداء أبنيتهما و هذا يؤكد بجلاء أهمية الجناس في خلق الموسيقى الداخلية في الحديث القدسي ، و بناء ما بين ألفاظه من وشائج التنعيم ^(٢) .

إضافة إلى ما يحدثه الجناس من المفاجأة و خداع الأفكار و اختلاب الأذهان ، إذ يتوهم السامع أن اللفظ مردد ، و المعنى مكرر ، و أنه لن يجني منه سوى التطويل و السامة ، و عندما يأتي اللفظ الثاني بمعنى يغير ما سبقه ، تأخذ الدهشة لتلك المفاجأة غير المتوقعة ، فاللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء و المراد به معنى آخر ، كان للنفس تشوق إليه و تطلع ، و عندئذ يقع منها أحسن موقع ؛ لأن الجنس يعيد اللفظة على السامع كأنه يخدعه من الفائدة و قد أعطاها و يوهمه كأنه لم يزد ، و قد أحسن الزيادة و وفاها ^(٣) . و هذا ما نلحظه في الجناس السابق فخلق الأولى تقتضي حصر فعل الخلق لله تعالى فهو الخالق وحده دون سواه ، و أما الخلق فتعني العباد و هم من خلق الله تعالى .

(١) : الجناس المستوفي : إن كان من نوعين مختلفين - كاسم و فعل - سمي مستوفياً . الإيضاح : ٣٧٥ .

(٢) : علم البديع ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

الحديث الثالث:

أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كَثِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، وَ بَقِيَّةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَمَزَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ ، عَنْ أَبِيهِ - وَ كَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ رَاقِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّيْلَةَ كُلَّهَا ، حَتَّى كَانَ مَعَ الْفَجْرِ ، فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ ، جَاءَهُ خَبَّابٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بِأبي أنت وأمي ! لَقَدْ صَلَّيْتَ اللَّيْلَةَ صَلَاةً مَا رَأَيْتُكَ صَلَّيْتَ نَحْوَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَجَلَ إِنَّهَا صَلَاةُ رَغَبٍ ، وَ رَهَبٍ ، سَأَلْتُ رَبِّي - عَزَّ وَ جَلَّ - فِيهَا ثَلَاثَ خِصَالٍ ، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَ مَنَعَنِي وَاحِدَةً : سَأَلْتُ رَبِّي - عَزَّ وَ جَلَّ - أَنْ لَا يُهْلِكَنَا بِمَا أَهْلَكَ بِهِ الْأُمَّمَ قَبْلَنَا ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُ رَبِّي - عَزَّ وَ جَلَّ - أَنْ لَا يُظْهِرَ عَلَيْنَا عَدُوًّا مِنْ غَيْرِنَا ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يَلْبِسَنَا شَيْعًا ، فَمَنَعَنِيهَا) .^(١)

المضمون العام للحديث:

يبين الحديث القدسي شفقة النبي على أمته و دعاءه لهم .

قال السيوطي: (قوله : " أجل " أي نعم وزنا و معنى (أَنْ لَا يَلْبِسَنَا شَيْعًا) أي : لا يجعلنا فرقا مختلفين ")^(٢) .

" قال السندي : قوله (أَجَلَ) كنعم وزنا و معنى (صَلَاةُ رَغَبٍ ، وَ رَهَبٍ) أي صلاة رغبة في استحابة دعائه و رهبة من رده (أَنْ لَا يُهْلِكَنَا) انظر إليه ﷺ ؛ فإن الأنبياء دعوا على أممهم بالهلاك و هو يدعو لهم بعدم الهلاك . (أَنْ لَا يُظْهِرَ) من الإظهار ، أي لا يجعل غالبا علينا عدوا من الكفرة (أَنْ لَا يَلْبِسَنَا) بكسر الباء ،

(١) : سنن النسائي ، شرح الإمامين السيوطي و السندي ، ج ٢ ، كتاب قيام الليل و تطوع النهار ، باب إحياء الليل ، رقم الحديث: ١٦٣٧ ، مرجع سابق ، ص ٣٥٤-٣٥٥ .

(٢) : المرجع السابق : ص ٣٥٤ .

أي : لا يخلطنا في معارك الحرب و (شِيعًا) فرقا مختلفين يقتل بعضهم بعضا ، و يحتمل أن هذه الخصال الثلاث هي المرادة بقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ الآية ؛ فالعذاب من فوق يكون إشارة إلى الإهلاك العام بلا مداخلة عدو؛ لاستناده إلى الله تعالى ، و من تحت الأرجل : إشارة إلى غلبة الكفرة على المسلمين ؛ لكون الكفرة يستحقون الإذلال و الاستحقار ، فإذا غلبوا يصير العذاب كأنه جاء من الأسفل ، فلعله ﷺ استشعر من هذه الآية استحقاقتهم لهذه الخصال الثلاث فطلب أن يدفع الله عنهم ، فرفع الاثنان ، و بقي الثالث كما هو المشاهد ، و الله تعالى أعلم " (١) .

موضع الشاهد :

(... إِنَّهَا صَلَاةٌ رَّغَبٌ ، وَ رَهَبٌ ...) .

التحليل البلاغي:

وقع الجناس بين اسمين : (رَغَبٌ ، وَ رَهَبٌ) ، فالكلمة الأولى (رَغَبٌ) تدل على رغبة النبي ﷺ في استجابة دعائه الذي دعاه في صلاته ، و الكلمة الثانية (رَهَبٌ) تدل على رهبة الرسول ﷺ و خوفه من عدم استجابة دعائه ، و الجناس من نوع الجناس غير التام و يسمى جناسًا مضارعًا (٢) .

فجاء الجناس في الحديث القدسي السابق جناسًا حسنًا مقبولاً ، جاء عفو الخاطر لا تكلف فيه و لا تصنع ، يظهر فيه أيضاً تجاوب موسيقي صادر من تماثل الكلمات تماثلاً ناقصاً ، حيث اختلفت الكلمتان : (رَغَبٌ - رَهَبٌ) في نوع الحروف ، و وقع الاختلاف في الوسط ، و كان الحرفان اللذان وقع بهما الاختلاف متقاربين في المخرج ، فكلاهما من الحروف الحلقية .

(١) : سنن النسائي ، شرح الإمامين السيوطي و السندي ، ج ٢ ، كتاب قيام الليل و تطوع النهار ، باب إحياء الليل ، رقم الحديث : ١٦٣٧ ، مرجع سابق ، ص ٣٥٤ .

(٢) : الجناس المضارع : إذا كان الحرفان المختلفان متقاربين . (الإيضاح) : ٣٨٧ .

و يظهر السرُّ البلاغي من الجناس في حسن الإفادة من أن الصورة صورة التكرير و الإعادة ، يتوهم المتلقي في بادئ الأمر أن اللفظ مردد و المعنى مكرر ، و لكن عندما يعاود النظر تظهر المفاجأة و خداع الأفكار و هو أن لفظ (رَهَبٍ) لها معنى مغاير عن لفظ (رَعَبٍ) و هنا يظهر سر بلاغي آخر هو عنصر التشويق و تنشيط الفكر .

" و الجناس من أسباب تلاحم الأسلوب و ترابط أجزائه ، لما بين طرفيه من المماثلة الشكلية ، و له وقع موسيقي ملحوظ ، يجعل الأسلوب مميزاً و ذا أثر قوي في النفس " (١) .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠ .

الحديث الرابع:

حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ ابْنُ أَبِي مُزَرِّدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَعَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ قَالَتْ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ ؟ ، قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَذَلِكَ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : اقرؤا إن شئتم : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد:

(... فَلَمَّا فَرَعَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ ...) .

التحليل البلاغي:

وقع الجناس بين اسمين (الرَّحْمُ ، الرَّحْمَنِ) فالكلمة الأولى (الرَّحْمُ) تطلق على عضو من أعضاء جسد المرأة ، و منها تحريم قطع الأرحام ، و وجوب وصلها ، فمن وصلها وصله الله ، و من قطعها قطعه الله ، و الكلمة الثانية (الرَّحْمَنِ) و هو

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرمانى ، ط ٢ ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، باب (وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) ، رقم

الحديث : ٤٥١١ ، مرجع سابق ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) : انظر البحث : ص ٩١ .

اسم من أسماء الله ﷻ يرجى و يدعى به ، و يسمى هذا الجنس جناساً ناقصاً^(١) ،
و يعد من الجنس المطرف^(٢) .

يعد الجنس في الحديث السابق جناساً حسناً مقبولاً ؛ إذ هو الذي طلبه المعنى
و استدعاه و ساقه نحوه ، حيث جاء دون تكلف أو تصنع ، و يظهر السر البلاغي
من الجنس الواقع بين الكلمتين (الرَّحْمُ ، الرَّحْمَنِ) أولاً : في التناغم الموسيقي
الحاصل من تماثل الكلمتين تماثلاً ناقصاً ، فكلمة (الرَّحْمَنِ) تزيد عن كلمة
(الرَّحْمُ) بحرف واحد فقط ، و لكن لكل منهما معنى مختلف عن الآخر ، فرب العزة
ﷻ يخاطب الرحم بعد أن فرغ من خلق الخلق ، ففي قيام الرحم و استجارتها بالرحمن
دلالة عظيمة على عظم صلة الأرحام و تحريم قطعها .

و ثاني الأسرار البلاغية تظهر من خلال خداع الفكر و تنشيط الذهن ،
فالكلمتان : (الرَّحْمُ ، الرَّحْمَنِ) متشابهتان في اللفظ ، مختلفتان في المعنى ، و الناظر
للهوالة الأولى يشعر أنه لن يجني منه سوى التطويل ، و لكن عند معاودة النظر تظهر
حسن الإفادة .

و قد أفضى الجنس إلى نوع من الترابط و التلاحم القوي بين أجزاء الكلام شارك
في سمو الأسلوب و بلاغته .

و وجه حسن هذا النوع كما يقول عبد القاهر الجرجاني : " أنك تتوهم قبل أن
يرد عليك آخر الكلمة كالميم من عواصم و الباء من قواضب ، أنها هي التي مَضَتْ ،
و قد أرادت أن تجيئك ثانيةً ، و تعودَ إليك مؤكِّدَةً ، حتى إذا تمكن في نفسك تمامها ،
و وعى سمعك آخرها ، انصرفت عن ظنك الأول ، و زُلتَ عن الذي سبق من
التخيُّل ، و في ذلك ما ذكرتُ لك من طلوع الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها ،
و حصول الريح بعد أن تُغالطَ فيه حتى ترى أنه رأس المال " ^(٣) .

(١) : الجنس الناقص : إن اختلفا في أعداد الحروف فقط سمي ناقصاً . (الإيضاح : ص ٣٧٧) .

(٢) : الجنس المطرف : أن يختلفا بزيادة حرف واحد فقط ، في الأول أو في الوسط أو في الآخر .
(الإيضاح : ص ٣٧٧) .

(٣) : أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ تَوْبَةَ ، حَدَّثَنَا زَائِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْمُخَضَّرَمَةَ بِعَرَفَاتٍ ، فَقَالَ : (أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ، وَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا ، وَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟) ، قَالُوا : هَذَا بَلَدٌ حَرَامٌ ، وَشَهْرٌ حَرَامٌ ، وَيَوْمٌ حَرَامٌ . قَالَ : " أَلَا وَإِنَّ أَمْوَالَكُمْ وَدِمَاءَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، فِي يَوْمِكُمْ هَذَا ، أَلَا وَإِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ . وَأُكَاثِرُ بِكُمْ الْأُمَّمَ فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي . أَلَا وَإِنِّي مُسْتَنْقِذٌ أَنْاسًا . وَمُسْتَنْقِذٌ مِنِّي أَنْاسٌ . فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ! أُصِيحَابِي ؟ فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بِعَدَاكَ) (١) .

المضمون العام للحديث:

يكشف الحديث القدسي السابق دعاء النبي لأُمَّته يوم عرفة ، و بعض ما جاء في خطبة يوم النحر .

قوله : " عَلَى نَاقَتِهِ الْمُخَضَّرَمَةَ " أي : مقطوعة طرف الأذن ، و هي العضباء ، أي : كوش بريده .

قوله : " أَلَا وَ إِنِّي مُسْتَنْقِذٌ أَنْاسًا ، وَ مُسْتَنْقِذٌ مِنِّي أَنْاسٌ ... الخ

الأول : بكسر القاف و الثاني : بفتحها من الاستنقاذ ، و هو التمييز و التخليص عما وقع فيه ، أي : إني طالب نجاة أناس بشفاعتي لتخليطهم ، و مستنقذ مني أناس ، أي : و هم يخلصون و يباعدون مني ، و يحكم بهم إلى النار .

قال السندي : " قوله (الْمُخَضَّرَمَةَ) بمعنى اسم المفعول من خضرم كدحرج أي : التي قطع طرف أذنها .

قوله : (أَلَا وَإِنِّي فَرَطُكُمْ) بفتحين أي المهيب لكُم ما تحتاجون إليه .

قوله : (فَلَا تُسَوِّدُوا) بأن تكثروا المعاصي فلا تصلحوا لأن يفتخر بمثلكم .

(١) : سنن ابن ماجه ، علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب المناسك ، باب الخطبة يوم النحر ، رقم

قوله (مستنقدا) على صيغة اسم الفاعل ، الثاني على صيغة اسم المفعول أي أنا أحقق أحوال أناس و أبحث عنها و أشهد على أحوال أخرى ، هذا إذا كان بالذال المهملة كما في كثير من الأصول ، و أما إذا كان بالذال المعجمة كما في بعض الأصول فمعناه واضح و الله تعالى أعلم ^(١) .

موضع الشاهد:

(... أَلَا وَ إِنِّي مُسْتَنْقِدٌ أَنَسًا ، وَ مُسْتَنْقَدٌ مِنِّي أَنَسٌ ...) .

التحليل البلاغي:

جاء الجناس بين اسمين (مُسْتَنْقِدٌ - مُسْتَنْقَدٌ) أحدهما اسم فاعل ، و الآخر اسم مفعول ، فالكلمة الأولى (مُسْتَنْقِدٌ) و هي اسم فاعل ، أي : أن رسول الله ﷺ سيميز و يخلص أناسًا يوم القيامة بفضل شفاعته ﷺ ، و الكلمة الثانية (مُسْتَنْقَدٌ) و هي اسم مفعول و تعني سيخلص أناسًا و يباعدون منه و يحكم بهم إلى النار ، و الجناس غير تام و يسمى جناسًا محرفًا ^(٢) .

وقع الجناس في الحديث القدسي موقعاً حميداً و حسناً و مقبولاً ، و ذلك لأن التحسين و الفضيلة راجعة و عائدة إلى المعنى ، فالكلمتان : (مُسْتَنْقِدٌ - مُسْتَنْقَدٌ) كلمتان متشابهتان في نوع الحروف و ترتيبها و عددها و مختلفان في حركاتها و كذلك معناها ، فلولا كسر القاف و فتحها لكرر و تردد اللفظ و المعنى ، و لكن الاختلاف وقع في الحركات و من ثم كان له تأثيره في المعنى ، فهنا تظهر حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكرير و الإعادة .

(١) : شروح ابن ماجه ، قدم له و حققه : رائد بن صبري أبو علفة ، ج ١ ، كتاب المناسك ، باب خطبة يوم النحر ، ص ١١٤٨ .

(٢) : الجناس المحرف : إن اختلفا في هيآت الحروف فقط . (الإيضاح) ص ٣٧٦ .

و يظهر السُرُّ البلاغي من الجناس في الحديث القدسي من خلال التناغم الداخلي الصادر من تماثل الكلمات تماثلاً تاماً ، فالكلمتان تحملان نفس عدد الحروف و نوعها و ترتيبها ، مما جعل لها أصداء في القلب و العقل و الذهن .

و قد أفاد الجناس أيضاً تناسباً و توازناً و خاصة في ذلك الموقف العظيم الذي وقف به النبي ﷺ و كأنه يحس بدنو أجله ، و يريد تبليغ صحابته و أمته ، و يعلمهم مصالح دينهم و دنياهم ، و يدعو لهم ، و قد أسهم الجناس أيضاً في تلاحم الكلام و ترابطه ، و قد أثر ذلك في سمو الأسلوب و بلاغته .

و مما لا شك فيه أنه يظهر في الحديث القدسي عنصر التشويق ، و ينشط الفكر و الذهن ، و خاصة عند تردد اللفظين اللذين يحملان نفس عدد الحروف و نوعها و ترتيبها و تختلف في حركاتها .

الحديث السادس:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ : حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ : حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَرْمٍ عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد:

(... وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ...) .

التحليل البلاغي:

وقع الملحق بالجناس عن طريق الاشتقاق (١) في الحديث القدسي السابق ، في مواقع عدة : بين الفعلين (أُحِبُّهُ - أَحْبَبْتُهُ) (اسْتَعَاذَنِي - أُعِيدَنَّهُ) و الاسم

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ٢٣ ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، رقم الحديث : ٦١١٦ ،

مرجع سابق ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) : انظر البحث : ص ١٧٣ .

و الفعل المضارع : (سَمِعَهُ - يَسْمَعُ) و كذلك (بَصَرَهُ - يُبْصِرُ) ، و الفعل
الماض الاسم : (تَرَدَّدْتُ - تَرَدَّدِي) فقد جاء كل اشتقاق من أصل واحد .
فكل من الفعلين المضارع و الماضي (أُحِبُّهُ - أَحْبَبْتُهُ) ينحدران من أصل واحد
و هو الحب ، و كل من الاسم و الفعل المضارع (سَمِعَهُ - يَسْمَعُ) يرجعان إلى
أصل واحد ، و هو السمع ، كذلك الاسم و الفعل المضارع (بَصَرَهُ - يُبْصِرُ)
يرجعان إلى أصل واحد و هو الإبصار ، و كذلك الفعل الماضي و المضارع
(اسْتَعَاذَنِي - أُعِيدَنَّهُ) يرجعان إلى أصل واحد و هو الاستعاذة ، و كذلك الفعل
الماضي و الاسم (تَرَدَّدْتُ - تَرَدَّدِي) يرجعان إلى أصل و هو التردد .
و في كل ما سبق نجد أن الاشتقاق كان لوجوده سر بلاغي مهم تحقق بوجوده ،
و إن ذهب هذا الاشتقاق ذهب و غادر السر البلاغي ، فمنها :
الموسيقى الداخلية و التناغم اللفظي و الجرس الصوتي و هذه من أبرز الأسرار
البلاغية ، و قد أسهم في تثبيت المعنى و ترسيخه في ذهن المتلقي و قلبه .
و يظهر السر أيضاً في حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكرير و الإعادة ، فالله
رَبِّكَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدَهُ كَانَ (سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ) وَ (بَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ) فلا
يصرف سمعه و بصره و لا يشغل جوارحه إلا بما يرضى الله و يأمره به ، فالله سبحانه
يكون سمعه و بصره في المعاونة على عدوه .
و قد أسهمت شواهد الاشتقاق الخمسة في ترابط الأسلوب و تلاحمه ، و يظهر
ذلك من خلال التوازن و التناسب الذي طُبِعَ به الحديث .

الحديث السابع:

وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى ، عَنْ خُثَيْمِ بْنِ عِرَاكِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : (أَسْلَمَ سَأَلَهَا اللَّهُ ، وَغَفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا أَمَا إِنِّي لَمَ أَقْلُهَا ، وَلَكِنْ قَالَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) (١) .

المضمون العام للحديث :

جاء الإسلام و لبعض القبائل رفعة على بعض ، بالمال تارة ، و بالقوة البدنية تارة أخرى ، و بالقوة العقلية و السلوكية ثالثة ، و بالأصل و الأحساب رابعة ، فحول كل هذه الموازين إلى ميزان الإسلام ، و صار السبق إلى الإسلام ، و بذل النفس و المال في سبيل إعلاء كلمة الله و الجهاد في سبيل الله ، هو الميزان الحقيقي ، الذي يفاضل به بين القبائل ، فارتفعت بهذا الميزان قبائل كانت قبل الإسلام غير رفيعة ، و هبطت بهذا الميزان قبائل كانت قبل الإسلام عالية مرموقة .

يؤكد رسول الله ﷺ هذا المعنى في نفوس أصحابه ، و يقرره غاية التقرير فيقول: غفار بسبق إسلامها غفر الله لها (٢) .

و قال النووي : " قوله ﷺ : (أَسْلَمَ سَأَلَهَا اللَّهُ) قال العلماء : من المسالمة و ترك الحرب ، قيل : هو دعاء ، و قيل : خبر . قال القاضي في المشارق : هو من أحسن الكلام ، مأخوذ من سالمته إذا لم تر منه مكروها ، فكأنه دعا لهم بأن يصنع الله بهم ما يوافقهم ، فيكون سالمها بمعنى سلمها ، و قد جاء فاعل بمعنى فعل ، كقاتله الله أي قتله " (٣) .

موضع الشاهد:

(أَسْلَمَ سَأَلَهَا اللَّهُ ، وَ غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ...) .

- (١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، حققه محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ١٥ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب دعاء النبي ﷺ لغفار و أسلم ، رقم الحديث : ٢٥١٦ ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .
 (٢) : فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، ج ٩ ، مرجع سابق ، ص ٥٥٦ .
 (٣) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ٥٩-٦٠ .

التحليل البلاغي:

وقع الملحق بالجناس عن طريق المشابهة ^(١) في الحديث القدسي السابق في موقعين هما : (أَسْلَمُ - سَأَلَمَهَا) و (غِفَارُ - غَفَرَ) فإن أسلم ليست من المسالمة ، و لا غفار من المغفرة ، بل هي أسماء قبائل مرتجلة لهم .

و يظهر السرُّ البلاغي للملحق بالجناس عن طريق المشابهة من وجوه عدة منها :
حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكرير و الإعادة ، و يظهر ذلك جلياً في كل من (أَسْلَمُ - سَأَلَمَهَا ، و غِفَارُ - غَفَرَ) فكل من أسلم و غفار أسماء قبائل و قد ذُكر " سَأَلَمَهَا اللَّهُ " أي : جعلها الله مسالمة للإسلام فيما مضى ، و لأنها أسلمت دون اشتراك في الحروب ^(٢) .

و ذُكر (غَفَرَ اللَّهُ لَهَا) ليحتمل أن معناها دعاء ، أي : أسأل الله أن يغفر لها ما تقدم و ما تأخر ، و المراد قطعاً من آمن منهم ، و قد اختصت غفار بقوله : " غَفَرَ اللَّهُ لَهَا " لما اشتهروا به قبل إسلامهم من سرقة الحجيج الذين يمرون بديارهم .
حكى ابن التين أن بني غفار كانوا يسرقون الحاج في الجاهلية ، فدعا لهم النبي ﷺ بعد أن أسلموا ليمحو عنهم ذلك العار ، و هي جملة لفظها خير ، و يحتمل أن يكون معناها خبراً أيضاً ، إشعاراً بأن ذنبها السابق قد غفر ؛ لأن الإسلام يجبر ما قبله ^(٣) .
و إلى جانب حسن الإفادة يظهر التشويق بما يحمله من تنشيط الفكر و تفتيح للذهن ، و ذلك عند تكرار الألفاظ و تردها و اختلاف المعاني و مناسبة اللفظ للمعنى ، و من هنا ترسخ و تثبت المعاني و تستقر في القلوب و الأذهان و العقول ، و خاصة عندما يصاحبها التجاوب الموسيقي ، و التجانس الصوتي ، و تناغم الجرس ، حيث يضيف على الأسلوب إضافة رائعة .

(١) : أن يجمعها المشابهة ، و هي ما يشبه الاشتقاق ، و ليس به . (الإيضاح) : ص ٣٨١ .

(٢) : فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، ج ٩ ، مرجع سابق ، ص ٥٥٧ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٥٥٦ .

المبحث الثاني:

السجع

التعريف باللون البديعي:

ذكر صاحب تحرير التحبير أنَّ السجع : " هو أن يتوَحَّى المتكلم أو الشاعر في أجزاء كلامه ، بعضها غير متزنة بزنة عروضية و لا محصورة في عدد معين ، بشرط أن يكون رويُّ الأسجاع رويَّ القافية ، و الفرق بينة و بين التسميط كون أجزاءه على روي قافيته ، و بينه و بين التجزئة اختلاف زنة أجزاءه ، و مجيئها على غير عدد محصور معيّن " (١) .

و اكتفى السكاكي بقوله عن السجع : " و من جهات الحسن الأسجاع و هي في النثر كما في القوافي في الشعر... " (٢) .

و أشار الخطيب القزويني إلى أن السجع : " تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد ، و هذا معنى قول السكاكي : (الإسجاع في النثر كالقوافي في الشعر) " (٣) .

و شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب بقوله : " (السجع قيل و هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد) في الآخر (و هو معنى قول السكاكي هو) أي السجع (في النثر كالقافية في الشعر) يعني أن هذا مقصود كلام السكاكي و محموله ، و إلا فالسجع على التفسير المذكور بمعنى المصدر ، أعني توافق الفاصلتين في الحرف الأخير ، و على كلام السكاكي هو نفس اللفظ المتواطئ الآخر في أواخر الفقر و لذا ذكره السكاكي بلفظ الجمع و قال : إنها في النثر كالتقوافي في الشعر و ذلك لأن القافية لفظ في آخر البيت ، أما الكلمة نفسها أو الحرف الأخير منها أو غير ذلك على تفضيل المذاهب و ليست عبارة عن تواطؤ الكلمتين من أواخر الأبيات

(١) : تحرير التحبير ، ٣٠٠ .

(٢) : مفتاح العلوم ، ٢٠٣ .

(٣) : الإيضاح ، ٣٨٤ .

على حرف واحد فالحاصل أن السجع قد يطلق على الكلمة الأخيرة من الفقرة باعتبار توافقها للكلمة الأخيرة من الفقرة الأخرى ، و قد يطلق على نفس توافقهما و مرجع المعنيين واحد " (١) .

و علّق ابن يعقوب المغربي على قول الخطيب بقوله : " (السجع) أي النوع المسمى بالسجع (و هو) أي السجع (تواطؤ) أي توافق (الفاصلتين) ، و هما الكلمتان اللتان في آخر الفقرتين من النثر بمنزلة القافيتين في البيتين (على حرف واحد) أي توافق الفاصلتين في كونهما على حرف واحد في آخر كل منهما ، و ربما يفهم من إضافة التوافق إليهما أن لهما حالتين : التوافق و عدمه ، و في كلا الحالتين يسميان فاصلتين ، و هو الأقرب لكلامهم (و هو) أي و هذا التفسير (معنى قول السكاكي هو) أي السجع (في النثر كالقافية في الشعر) و من المعلوم أن القافية في الشعر هي لفظ ختم به البيت ، أما الكلمة نفسها أو الحرف الآخر منها أو غير ذلك كأن تكون من المحرك قبل الساكنين إلى الانتهاء على ما تقرر من المذاهب فيها ... " (٢) .

و ذكر صاحب عروس الأفراح : " (و منه السجع الخ) ش من البديع اللفظي السجع مأخوذ من سجع الحمام و هو تغريده و هو محمود ، و قال الرماني : السجع عيب و كأنه يريد ما يقصد لفظه غير تابع للمعاني و يسمى غير ذلك فواصل كما سيأتي عن غيره ، قال الخفاجي : السجع محمود إنما الاستمرار عليه في الدوام لا يحمده ، و لذلك لم تجيء فواصل القرآن كلها على سبيل السجع ، بل فيه ذلك تارة و غيره أخرى (قيل و هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد) يعني الكلمتين اللتين هما آخر القريبتين (و هو معنى قول السكاكي هو في النثر كالقافية في الشعر) ... " (٣) .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٢) : شروح التلخيص ، ج ٤ : ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٣) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٤٥ .

و أشار الدسوقي على ما ذكر السعد إلى أنَّ قوله : (و منه السجع) اعلم أن هنا ألفاظاً أربعة ينبغي استحضار معانيها لكثرة دورانها على الألسن فيزول الالتباس السجع و الفاصلة و القرينة و الفقرة ، فالقرينة قطعة من الكلام جعلت مزوجة لأخرى ، و الفقرة ، مثلها أن شرط مزاجتها الأخرى و إلا كانت أعم سواء كانت مع تسجيع أو لا كما هو ظاهر كلامهم ، و أما الفاصلة فهي الكلمة الأخيرة من القرينة التي هي الفقرة ، و أما السجع فقد يطلق على نفس الفاصلة الموافقة لأخرى في الحرف الأخير ، منها و يطلق على توافق الفاصلتين في الحرف الأخير ، و إلى هذا أشار المصنف بقوله : قيل و هو تواطؤ أي توافق الفاصلتين أي الكلمتين اللتين هما آخر الفقرتين حالة كونهما من النثر ... " (١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي اللفظي (السجع) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٤٥ - ٤٤٦ .

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : (قَالَ اللَّهُ : كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ : لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ : اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ ، وَلَمْ أُوَلَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفًّا أَحَدٌ) (١) .

المضمون العام للحديث:

ثبت في هذا الحديث القدسي إثبات البعث بعد الموت ، و نفى أن يكون لله سبحانه و تعالى ولداً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .
و قد بدأ الحديث القدسي بقول الله سبحانه إن ابن آدم كذَّبه و شتمه و لم يكن له ذلك .

ثم شرع بالتفصيل ، فقال ﷺ : (فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ ...) " أي : بل إن العادة أن الإعادة أهون من البدء ، و إن كلاهما بالنسبة إلى الله سواء ، فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

و قوله ﷺ : (وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) ، و إنما كان ذلك شتماً لما فيه من التنقيص ؛ لأن الولد إنما يكون من والدة تحمله ثم تضعه ، و يستلزم ذلك سبق نكاح ، و الناكح يستدعي باعثاً على ذلك ، و الله تعالى منزه عن ذلك .
(وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ) صمد : فَعَلَ بمعنى مفعول ، أي : مصمود إليه و مقصود من كل الخلق .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، باب قوله : (قل هو الله أحد) ج ١٨ ، ص: ٢١٧ .

(لَمْ أَلِدْ ، وَلَمْ أُوَلِّدْ) لأنه تعالى لما كان واجب الوجود بذاته ، كان قديماً موجوداً قبل كل موجود ، و لما كان كل مولود محدثاً أي : له أول انتفت الولدية .
و لما كان الله لا يشبه أحداً من خلقه و لا يجانسه ، حتى لا يكون له من جنسه صاحبة ، فيتوالد انتفت الولدية .

(وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُؤًا أَحَدٌ) أي : مكافئاً و مماثلاً .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام - رحمه الله تعالى - : " السلوب الواجبة لله تعالى على قسمين : أحدهما : سلب نقيصة ، كالسنة و النوم و الموت ، و سلب للمشاركة في الكمال : كسلب الشريك .
و أما قوله : " لم يلد ولم يولد " فإنه سلب للنقص ، إذ الولد و الوالد لا يكونان إلا من جسمين ، و هما من الأغيار ، و الأغيار نقص يتنزه الله تعالى عنه .
و إن كانا يدلان بالالتزام على أن الولد مثل الوالد ، فبذلك يعودان إلى سلب المشاركة في الكمال .أ. ه .

ثم قال أبو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى : قوله : " الله الصمد " و العرب تسمي أشرافها الصمد .

قال أبو وائل شقيق ابن سلمة : هو السيد الذي انتهى سؤدده .
و قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجهم و مسائلهم ، و هو من صمد إذا قصد ، و هو الموصوف به على الإطلاق ، فإنه مستغن عن خلقه و عن غيره مطلقاً ، و كل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته ... " (١) .

موضع الشاهد:

(... فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، لَمْ أَلِدْ ، وَلَمْ أُوَلِّدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُؤًا أَحَدٌ) .

(١) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ٣٤-٣٥ .

التحليل البلاغي:

وقع السجع في الحديث القدسي بين ثلاثة فواصل^(١) هي : (الصَّمْدُ ، أُوْلَدُ ، أَحَدٌ) و قد اختلفت من الفواصل وزناً و اتفقت رويًا ، و يسمى هذا النوع من السجع المطرف^(٢) ، فوزن (الصَّمْدُ وَأَحَدٌ) يختلف عن وزن (أُوْلَدٌ) و الروي واحد و هو حرف الدال .

و قد توافرت في السجع السابق شروط حُسنه ، فقد لوحظ أن الألفاظ المسجوعة حلوة رنانة ، صافية حسنة ، فيها الألفاظ تابعة للمعنى ، فالمعنى هو الذي ساق الألفاظ و استدعاها و قادها ، و هذا مصداق لقول شيخ البلاغة الإمام عبد القاهر : " و على الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ، و لا سَجْعاً حَسَنًا ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه و استدعاه و ساق نحوه ... " (٣) .

و يظهر السرُّ البلاغي للسجع في أنه يؤثر في النفوس و الألباب تأثيراً بالغاً ، لما يحدثه من نغمات موسيقية جذابة و قوية تطرب لها الأذن ، و يقبلها السمع دون ملل ، و من هنا ترسخ المعاني في القلوب و العقول ، و هذا هو مغزى البلاغة .

" و السجع عنصر من عناصر التناسب في الكلام ، فالأسلوب مقسم إلى فقر متساوية ، متشاكلة المقاطع ، متشابهة الأوزان ، متناسقة النغم ، و هذا مؤدِّ إلى ربط الكلام و تلاحمه " (٤) .

و قد يتميز الحديث القدسي السابق بموسيقى هادئة غمرته ، و أضفت عليه جوًّا إيحائيًّا ، يصور حقيقة كونية ثابتة ، و هي حقيقة البعث بعد الموت ، و نفي أن يكون لله سبحانه و تعالى ولداً ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً ، و هذه الموسيقى منبعها

(١) : الفاصلة : هي الكلمة الأخيرة من الفقرة أو القرينة . (علم البديع ، بسيوي عبد الفتاح فيود ، ص ٢٩٠) .

(٢) : إن اختلفتا (أي الفقرتين) في الوزن فهو السجع المطرف . (الإيضاح) ، ص ٣٨٤ .

(٣) : أسرار البلاغة ، الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، مرجع سابق ، ص ١١ .

(٤) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ١١٠ .

و مكنها السجع الذي جاء في فقرات الكلام ، و هذا التكرار النغمي الذي وفره السجع أضفى على الحديث القدسي سلاسة و رونقاً ، و ساعد بشكل كبير في توضيح الدلالات الإيجابية الكامنة في الحديث ، فجاءت تقرر حقيقة و هي إثبات البعث بعد الموت ، و نفي أن يكون لله سبحانه و تعالى ولداً .

الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ حَمْرَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى. ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَيَّنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيَّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ. ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَيَّنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيَّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟) (١).

المضمون العام للحديث:

حث الحديث و دل على وجوب تعظيم الله ﷻ ، و تعظيمه توحيده و تنزيهه عن الشرك.

الحديث إخبار من ابن عمر عن النبي بأن الله يوم القيامة سيطوي السماوات السبع بيمينه ، ثم سيطوي الأرضين السبع بشماله ، و عند طي كل واحدة منهن سينادي الجبارين و المتكبرين مستصغراً شأنهم و محقراً إياهم ، معلناً أنه هو صاحب الملك الحقيقي الكامل الذي لا يضعف و لا يزول ، و أن كل من سواه من ملك و مملوك و عادل و جائر زائل و ذليل بين يديه ﷻ ، لا يسأل عما يفعل و هم يسألون .

موضع الشاهد:

(... أَيَّنَ الْجَبَّارُونَ ، أَيَّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ...) .

التحليل البلاغي:

(١) : صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة و الجنة و النار ، باب فِي الْبُعْثِ وَالنُّشُورِ وَصِفَةِ الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ج ١٧ رقم الحديث : ٢٧٨٨ ، ص ١٠٩ .

وقع السجع في الحديث القدسي السابق بين فاصلتين هما : (الْجَبَّارُونَ ، الْمُتَكَبِّرُونَ) و قد اختلفت الفاصلتان وزناً و اتفقت رويًا ، و يسمى هذا النوع السجع المطرف ، فوزن (الْجَبَّارُونَ) مختلف عن وزن (الْمُتَكَبِّرُونَ) و الروي واحد و هو حرف الراء .

و قد جاء السجع في هذا الحديث جميلاً بليغاً ، اكتسى و لبس به اللفظ حلة بهية ، و ازداد به المعنى قوة و فخامة ، جاء به الأسلوب مؤثراً في النفس مستولياً على الأسماع و العقول ، و قد قرر حقيقة و هي إثبات تحريم التجبر و التكبر ، فالله عَجَبٌ صاحب الملك فقط صاحب التصرف المطلق ، فجاء الاستفهام من الله عَجَبٌ في قوله : (أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ) استحقاراً و تصغيراً لكل من كثر ظلمه و عدوانه و طغيانه ، و لكل من تكبر على الحق يرده ، و على الخلق يحتقرهم .

تساوت كل من (الْجَبَّارُونَ) و(الْمُتَكَبِّرُونَ) في الجمع و التضعيف ، و قد أسهم ذلك في صنع الإيقاع الموسيقي النغمي ، و كان ذلك مدعاة لجذب الانتباه ، و يظهر من خلال ذلك شدة بأس و قوة هؤلاء الجبارين و المتكبرين في الدنيا ، و ضعفهم يوم القيامة أمام الله سبحانه العزيز الجبار المتكبر ، فما أضعفهم و أذلهم و أحقرهم في ذلك اليوم ! الذي يفر فيه المرء من أخيه و أمه و أبيه و صاحبتة و بنيه .

الحديث الثالث:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذِهِ خَدِيجَةٌ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ) (١) .

المضمون العام للحديث:

وضح الحديث القدسي السابق فضل السيدة خديجة رضي الله عنها ، و ما أعده الله تعالى لها من الفضل و الثواب الجزيل في جنات الخلد ، و هو بيت من قصب لا صخب فيه و لا نصب .

و قد بدأ الحديث القدسي عندما أتى جبريل - النبي ﷺ و هو بجراء ، فقال : (يَا رَسُولَ اللَّهِ) هذه - إشارة إلى ما في ذهن جبريل - (خَدِيجَةٌ قَدْ أَتَتْ) أي: توجهت من (مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ) أي : مع خبز (أَوْ طَعَامٌ) أي: مشتمل عليهما (فَإِذَا أَتَتْكَ) أي تحقق مأتاها عندك ، (فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا) بفتح الراء أي: أبلغها ، (السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ) بفتححتين ، أي: لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف . و قال ابن حجر: " أي من قصب اللؤلؤ ، و لم يقل من لؤلؤ إذ في لفظ القصب مناسبة لأنها أحوزت قصب السبق لمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها ... (لَا صَخَبَ) بفتح الصاد و الخاء المعجمة و لا لنفي الجنس أي: لا صياح أو لا اختلاط صوت (فِيهِ) أي: في القصب المعبر به عن القصر و في نسخة فيها ، فالضمير راجع إلى الجنة . و يؤيده قوله (وَ لَا نَصَبَ) بفتححتين قال تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّنَّ فِيهَا نَصَبٌ ﴾

(١) : صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي ﷺ خديجة ، و فضلها رضي الله عنها ، رقم الحديث : ٣٨٢٠ ، مرجع سابق ، ص ٧٢٦ .

وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿﴾ [فاطر : ٣٥] أي : كلال ، قال شارح : أي لا يكون لها شاغل يشغلها عن لذائذ الجنة و لا تعب ينقصها . و قال القاضي : نفى عن القصب الصخب و النصب لأنه ما من بيت في الدنيا يسكنه قوم إلا كان بين أهله صخب و جلبة و إلا كان في بنائه و إصلاحه نصب و تعب ، فأخبر الله تعالى أن قصور الجنة خالية عن هذه الآفات . قال الطيبي : و يؤيد الوجه الثاني أن بناء بيت الجنة حاصل بقوله كن ، ليس كأبنية الدنيا ، فإنها إنما يتسبب بناؤها بصخب و نصب ، و كذا السكون فيها لا يخلو عنهما و ليس حكم بيت في الجنة كذلك " (١) .

موضع الشاهد:

(...وَبَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخْبَ فِيهِ وَلَا نَصَبٍ) .

التحليل البلاغي:

وقع السجع في الحديث القدسي بين فاصلتين هما : (قَصَبٍ، نَصَبٍ) و قد اتفقت فيه الفاصلتان فقط وزناً و تقفية ، و يسمى هذا النوع من السجع المتوازي (٢) ، فإن (قَصَبٍ) و (نَصَبٍ) متفتتان وزناً و رويًا .

جاء السجع في الحديث القدسي عفواً بعيداً عن التكلف ، و جاءت ألفاظه مألوفة و منسجمة انسجاماً تاماً مع المعنى ، فظهرت موسيقية الألفاظ و الذي أكسبها السجع نغمة عذبة ، آنست لها السمع و تأثرت بها النفس .

فالسجع أتى مقررراً لحقيقة واقعة بإذن الله تعالى ، حيث أرسل الله تعالى لخديجة - رضي الله عنها - التحية و البشارة ، محمولتين من أمين السماء جبريل ، مدفوعتين إلى أمين الأرض (محمد ﷺ) ليقوم بدوره بتبليغ التحية الكريمة و البشارة الكريمة من كريم عن كريم ، إلى سيدة نساء العالمين خديجة رضي الله عنها .

(١) : مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح ، ج ١١ ، كتاب المناقب ، باب مناقب أزواج النبي ﷺ ، و رضي الله عنهن ، مرجع سابق ، ص ٣٢٩-٣٣٠ .

(٢) : انظر : الإيضاح ، ص ٣٨٥ .

فلخديجة رضي الله عنها سلام و جنة و رضوان ، بعد ما بشرها رسول الله ﷺ
ببيت في الجنة من لؤلؤ ، و بيوت الجنة قصور تنعم في قصرها بغاية الهدوء و النعيم ،
و قد عبر عن ذلك بقوله : (... ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا
نصب) . فعند التأمل في (قَصَبٍ) و (نَصَبٍ) يلاحظ جمال اللفظ المستخدم
و مناسبته للمعنى الذي زاده قوة و فخامة و جزالة و هذا بخلاف القول : (بيت من
لؤلؤ لا صياح فيه و لا تعب) ففي الأول نجد أن الأسلوب كان في ذروة البلاغة
و البيان ، و هذا ما لا نجد في الثاني ، و قد أسهم السجع في ترابط أجزاء الكلام
و تلاحمه .

الحديث الرابع:

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ : حَدَّثَنَا أَبِي : حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ : سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَ أَنَا مَعَهُ إِذَا ذُكِرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد:

(...وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا...).

التحليل البلاغي:

وقع السجع في الحديث القدسي السابق بين فاصلتين هما : (ذِرَاعًا ، بَاعًا) و قد اختلفت الفاصلتان وزنًا و اتفقت رويًا ، و يسمى هذا النوع من السجع المطرف ، و ذلك لأن وزن (ذِرَاعًا) يختلف عن وزن (بَاعًا) و الروي واحد و هو حرف العين . رسَّخ السجع في الحديث حقيقة و هي وجوب حسن الظن بالله وَعَلَى ، و فضل الإكثار من ذكره ، و بيَّن أن قرب الله من عبده إذا تقرب إليه بأنواع الطاعات .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : (وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ فَاتَّقُوا) و قوله

جلَّ ذكره : (تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ) ، رقم الحديث : ٦٩٥٦ ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

(٢) : انظر البحث : ص ١١٣ .

و قد جاء هذا المحسن البديعي على أكمل صور البلاغة و الفخامة و الرصانة خاصة و أنه أتى بألفاظ بهية ، و معانٍ جزلة ، و تراكيب متناسقة متجانسة بعضها مع بعض .

و في استخدامه (ذِرَاعًا ، بَاعًا) أهمية كبرى ، و يكمن ذلك في ذكره لوحداث قياس متعارف عليها في ذلك الوقت ، فالعرب كانت تقيس في السابق بالذراع و الباع ، و يضاف إلى ذلك التناغم الموسيقي الصادر من اختياره لتلك الألفاظ ، فظهرت ميزة و هي شدة ارتباط الفاصلة و تماسكها بما قبلها من الكلام ، و كأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيداً لها بحيث لو حذفت لاختل معنى الكلام .

فالتأمل في الحديث يرى أن تراكيبه تتميز بالتلاحم و الترابط ، و ذلك يعود إلى أسباب عدة منها السجع ، فالحديث يشتمل على فكرة كلية رئيسية واحدة و هي حسن الظن بالله تعالى و تنبثق من هذه الفكرة أفكار جزئية متتابعة متناسقة النظم و هي :

- ١ . أن الله مع العيد حين يذكره .
- ٢ . إذا ذكر العبد الله وَعَجَّلَكَ في نفسه ذكره الله وَعَجَّلَكَ في نفسه .
- ٣ . إذا ذكر العبد الله وَعَجَّلَكَ في ملاً ذكره الله وَعَجَّلَكَ في ملاً خير منهم .
- ٤ . إذا اقترب العبد من الله وَعَجَّلَكَ شبراً اقترب الله وَعَجَّلَكَ إليه ذراعاً .
- ٥ . إذا اقترب العبد من الله وَعَجَّلَكَ ذراعاً اقترب الله وَعَجَّلَكَ إليه باعاً .
- ٦ . إذا أتى العبد الله وَعَجَّلَكَ ماشياً ، أتاه الله وَعَجَّلَكَ هرولة .

فقد أسهم السجع في تأكيد المعنى و توضيحه و ترسيخه فمن تقرب إلى الله تعالى بالطاعة بمقدار الذراع ، فالله يتقرب إليه بالثواب و المغفرة و الرحمة بمقدار الباع ، و في ذلك دليل على كرم الله وَعَجَّلَكَ لعباده .

الحديث الخامس:

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْأَعْرَبِيِّ أَبِي مُسْلِمٍ أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَأَنَا أَكْبَرُ . وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ . قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي . وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَلَا شَرِيكَ لِي . وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ . قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، لِي الْمُلْكُ ، وَلِي الْحَمْدُ . وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي) .

قال أبو إسحاق : ثم قال الآخر شيئاً لم أفهمه ، قال : فقلت لأبي جعفر : ما قال؟ فقال: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ رَزَقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ)^(١) .

المضمون العام للحديث:

يظهر في الحديث القدسي السابق فضل ذكر الله تعالى و خاصة قول لا إله إلا الله ، فالله تبارك و تعالى يرضى و يصدق على ما يقول العبد من الأذكار الموجودة بالحديث أعلاه ، و ثمرة تصديقه لذلك الذكر إثابة عبده عليه عظيم الثواب ، فمن رزقهن - أي : ذكر لا إله إلا الله - عند موته لم تمسه النار أبداً .
و قد ورد في حاشية السندي : قوله : " (مَنْ رَزَقَهُنَّ) على بناء المفعول و رجع نائب الفاعل إلى (من) ، أي من أعطاه الله تعالى هذه الكلمات عند الموت و وفقه لها لم تمسه النار ، بل يدخل الجنة ابتداء مع الأبرار . اللهم اجعلنا ممن رزقته إياهن " (٢) .

(١) : صحيح ابن ماجه ، ط ١ ، المجلد الثالث ، كتاب الأدب ، باب فضل لا إله إلا الله ، رقم الحديث :

٣٠٧٦ ، الرياض ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، ١٤١٧ هـ ، ٢٤٣-٢٤٤ .

(٢) : سنن ابن ماجه بشرح الإمام السندي ، ط ١ ، كتاب الأدب ، باب فضل لا إله إلا الله ، ج ٤ ،

(بيروت : دار المعرفة ، ١٤١٦ هـ) ، ص ٢٤٤-٢٤٥ .

موضع الشاهد:

(... وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ . قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي ...) .

التحليل البلاغي:

وقع السجع في الحديث القدسي السابق بين فاصلتين هما : (عَبْدِي ، وَحْدِي) و قد اتفقت فيه الفاصلتان فقط وزناً و تقفية ، و يسمى هذا النوع من السجع المتوازي ، فإن (عَبْدِي) و (وَحْدِي) متفتتان وزناً و رويًا . و يظهر في السجع أن اللفظ جاء فيه تابع للمعنى فكلمتا (عَبْدِي ، وَحْدِي) جاءتا تابعتين لمعنى الحديث منساقتين له انسياقاً و منقادتين له انقياداً ، و قد أحدثت هاتان اللفظتان نغمة مؤثرة و موسيقى رنانة ، و أيضاً يظهر في الألفاظ أنها حلوة عذبة خالية من الغثاثة و البرودة ؛ لأنها أتت عن طبع و لم تأت عن تكلف . و ترجع بلاغة السجع في قول رسول الله السابق إلى أنه يؤثر في النفس تأثير السحر ، و يلعب بالأنفهام لعب الريح بالهشيم لما يحدثه من النغمة المؤثرة و الموسيقى القوية التي تطرب لها الأذن ، و تهش لها النفس ، فتقبل على السماع من غير أن يداخلها ملل أو يخالطها فتور ، فيتمكن المعنى من الأذهان و يقر في الأفكار ، و يعز لدى العقول ...^(١) . و هذا ما نلاحظه في كلمتي (عَبْدِي ، وَحْدِي) فقد تقرر عن طريق السجع حقيقة كونية ، و هو أنه لا إله إلا الله ، فالذكر سبب لتصديق الرب رَبِّكَ عبده ، فإنه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله و نعوت جلاله ، فإذا أخبر بها العبد صدقه ربه ، و من صدقه الله تعالى لم يحشر مع الكاذبين ، و رُجِيَ له أن يحشر مع الصادقين ، و من رُزِقَ و أُعْطِيَ هذه الكلمات عند الموت لم تمسه النار بإذن الله تعالى ، بل سيدخل جنات الخلد مع الأبرار .

(١) : الصيغ البديعي ، أحمد موسى ، د . ط ، مصر ، دار الكاتب العربي ، ١٣٨٨ هـ ، ص ٤٧٩ .

المبحث الثالث:

رد العجز على الصدر

التعريف باللون البديعي:

ذكر ابن أبي الإصبع المصري في باب رد الأعجاز على الصدر : " و هو الذي سماه المتأخرون التصدير ، و قد قسمه ابن المعتز ثلاثة أقسام : الأول ما وافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في صدره ، (أو كانت مجانسة لها) ... و الثاني : ما وافق آخر كلمة من البيت أول كلمة منه ... و الثالث : ما وافق آخر كلمة من البيت بعض كلماته في أي موضع كان ... " (١) .

و عرّف السكاكي رد العجز على الصدر بقوله : " هو أن يكون إحدى الكلمتين المتكررتين أو المتجانستين أو الملحقتين بالتجانس في آخر البيت و الأخرى قبلها في أحد المواضع الخمسة من البيت ، و هي صدر المصراع الأول و حشوه و آخره و صدر المصراع الثاني و حشوه ... " (٢) .

و بيّن الخطيب القزويني أن رد العجز على الصدر في النثر : " أن يجعل أحد اللفظين المكررين ، أو المتجانسين ، أو الملحقين بهما ، في أول الفقرة و الآخر في آخرها " (٣) .

و شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب القزويني : " (رد العجز على الصدر و هو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين) أي المتفقين في اللفظ و المعنى (أو المتجانسين) أي المتشابهين في اللفظ دون المعنى (أو الملحقين بهما) أي بالمتجانسين يعني اللذين يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق (في أول الفقرة) و قد عرفت معناها (و) اللفظ (الآخر في آخرها) أي آخر الفقرة ... " (٤) .

(١) : تحرير النحير ، ١١٦ .

(٢) : مفتاح العلوم ، ٢٠٣ .

(٣) : الإيضاح ، ٣٨١ .

(٤) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٣٣-٤٣٤ .

و ذكر ابن يعقوب المغربي شارحا قول الخطيب : " (رد العجز على الصدر) أي النوع المسمى بذلك (و هو) أي رد العجز على الصدر يكون في النثر و في النظم ، فهو (في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين) و هما المتفقان لفظا و معنى (أو) أحد (المتجانسين) و هما المتشابهان في اللفظ دون المعنى (أو) أحد (الملحقين بهما) أي بالمتجانسين ، و قد تقدم أن الملحقين بالمتجانسين قسما ما يجمعهما الاشتقاق و ما يجمعهما شبه الاشتقاق (في أول الفقرة) متعلق بأن يجعل أي هو في النثر أن يجعل في أول الفقرة أحد المذكورين من تلك الأنواع (و) يجعل اللفظ (الآخر) منهما (في آخرها) أي في آخر تلك الفقرة ، و الفقرة في أصلها اسم لعظم الظهر استعيرت للحلي المصنوع على هيئته ، ثم أطلقت على كل قطعة من قطع الكلام الموقوفة على حرف واحد لحسنها و لطافتها ... " (١) .

و شرح بهاء الدين السبكي قول الخطيب حيث قال : " (و منه رد العجز مع الصدر الخ) أي من أنواع التحسين اللفظية لا من الجناس كما توهمه الخطيب لتصريح السكاكي و كل من تكتلم في هذا العلم بعده بما قلناه رد العجز على الصدر ، و يسمى التصدير ، و هو تارة يكون في النظم و تارة يكون في النثر ، ففي النثر هو عبارة عن جعلك أحد اللفظين المتكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما أي بالمتجانسين في أول الفقرة و الآخر في آخرها ... " (٢) .

كما ذكر الدسوقي أن : " قوله (رد العجز) أي إرجاع العجز للصدر بأن ينطق به كما نطق بالصدر (قوله : المتفقين في اللفظ و المعنى) أي و لا يستغنى بأحدهما عن الآخر (قوله : في أول الفقرة) متعلق بيجعل أي هو في النثر أن يجعل في الفقرة أحد المذكورين من تلك الأنواع الأربعة ، و يجعل اللفظ الآخر من ذلك النوع في آخر تلك الفقرة (قوله : و قد عرفت معناها أي في بحث الأرصاد فلذا لم يتعرض لبيانها

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٣٣-٤٣٤ .

(٢) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٣٣ .

و حاصل ما مر أن الفقرة بفتح الفاء وكسرهما في الأصل اسم لعظم الظهر ، ثم استعيرت للحلي المصوغ على هيئته ، ثم أطلقت على كل قطعة من قطع الكلام الموقوفة على حرف واحد لحسنها و لطافتها ، و التحقيق أنه لا يشترط فيها أن تكون مصاحبة لأخرى فصح التمثيل بقوله و تخشى الناس الخ و بقوله سائل اللئيم الخ لأن كلا منهما ليس معه أخرى ... " (١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي اللفظي (رد العجز على الصدر) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٣٣ .

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنِ أَبِي صَالِحٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً ، يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ ، قَالَ : فَيَحْفُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ ، وَيُمَجِّدُونَكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَا ، وَ اللَّهُ مَا رَأَوْكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَ كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَ أَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَ تَحْمِيدًا وَ أَكْثَرَ تَسْبِيحًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَمَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالَ : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يَقُولُ : وَ هَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَا ، وَ اللَّهُ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، وَ أَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَ أَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً ، قَالَ : فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : مِنَ النَّارِ ، قَالَ : يَقُولُ : وَ هَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَا ، وَ اللَّهُ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا ، وَ أَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً ، قَالَ : فَيَقُولُ فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، قَالَ : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ : فِيهِمْ فُلَانٌ ، لَيْسَ مِنْهُمْ ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ ، قَالَ : هُمْ الْجُلَسَاءُ ، لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد:

(... قَالَ هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرمانى ، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز و جل ، رقم الحديث :

٦٠٣٤ ، مرجع سابق ، ص ١٨٦-١٨٨ .

(٢) : انظر البحث : ص ٢٢٨ .

التحليل البلاغي:

وقع رد العجز على الصدر بين كلمتين وردت إحداهما في أول الفقرة (الْجُلَسَاءُ) والثانية في آخرها وهي (جَلِيسُهُمْ) ، وقد جمع بينهما الاشتقاق فكل منهما يرجع أصلها إلى الفعل الماضي الثلاثي (جَلَسَ) .

وقد أكد رد العجز على الصدر وجاء " دليتل على فضيلة مجالسة الصالحين ، وأن الجليس الصالح ربما يعم الله سبحانه وتعالى بجليسه رحمته وإن لم يكن مثله ؛ لأن الله قال : قد غفرت لهذا . مع أنه ما جاء من أجل الذكر والدعاء لكنه جاء حاجة ، وقال: (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) وعلى هذا فيستحب الاجتماع على الذكر وعلى قراءة القرآن وعلى التسبيح والتحميد والتهليل وكل يدعو لنفسه ، ويسأل الله لنفسه ، ويذكر لنفسه " (١) .

و ترجع بلاغة هذا الفن البديعي إلى أمرين :

أولهما : دلالاته على تأكيد المعاني وتقريرها وذلك أن اللفظ عندما يكرر يتأكد معناه في ذهن السامع ويتقرر (٢) ، وهذه الصورة بدت واضحة فعندما كرر جليسهم أكد المعنى وقرره ورسخه وثبته في ذهن السامع ، حيث إن جميع الجلوس شملتهم المغفرة والرحمة سواء من جاء بنية الذكر والتهليل والتحميد والتمجيد ، أم جاء لحاجة من حوَّج الدنيا .

و أما الأمر الذي الشيء ترجع له بلاغة هذا الفن هو " دلالة أول الكلام على

آخره ، و ارتباط آخره بأوله ، و تلك هي البلاغة ، فقد قال الخبراء بفن القول :
البلاغة : أن يكون أول كلامك دالاً على آخره ، و آخره مرتبطاً بأوله ... و قد كان

(١) : الهدية في شرح الأحاديث القدسية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤١٤ .

(٢) : علم البديع ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، مرجع سابق ، ص ٣٠٥ .

صناع الكلام يفخرون بدلالة أول كلامهم على آخره ، و ارتباط آخره بأوله ، كما كان
النقاد يفطنون للكلام الجيد المتناسك ، و يدركون آخره عند سماعهم لأوله ... " (١) .

(١) : المرجع السابق : ص ٣٠٥ .

الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَبِي الْحُبَابِ ، سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي ، الْيَوْمَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي) (١) .

المضمون العام للحديث:

يوضح الحديث القدسي فضل الحب في الله ، و الكرامة التي ينالها الإنسان من وراء ذلك .

و قد بدأ الحديث بقوله ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) " أي : في الموقف العظيم يوم القيامة ، فيوم القيامة أطوار و أحوال " (٢) .

ثم قال الله عز و جل : (أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي) " و الاستفهام نداء لهم ، ليس استفهاماً عن مكانهم ، فهو أعلم بهم ، و المتحابون بتشديد الباء ، و أصله المتحابيون ، أي: الذين اشتركوا في جنس المحبة ، و أحب كل منهما الآخر حقيقة ، لا إظهاراً فقط ، و الباء للتعليل " (٣) ، أي: من أجل طاعتي و عظمتي لا للدنيا " (٤) .

و معنى : (الْيَوْمَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي) " أي : أنه لا يكون من له ظل مجازاً في الدنيا ، و جاء في غير مسلم : ظل عرشي ، قال القاضي : ظاهره أنه في ظله من الحر ، و الشمس و وهج الموقف ، و أنفاس الخلق ، قال: و هذا قول

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٥ ، كتاب البر و الصلة و الآداب، باب في فضل الحب في الله ،

رقم الحديث: ٢٥٦٦ ، مرجع سابق ، ص ١٠١

(٢) : فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، ج ١٠ ، مرجع سابق ، ص ٢٨٦ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٤) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

الأكثرين ، و قال عيسى بن دينار : معناه : كفه من المكاره ، و إكرامه و جعله في كنفه و ستره ، و منه قولهم : السلطان ظل الله في الأرض ، و قيل : يحتمل أن الظل هنا عبارة عن الراحة و النعيم يقال هو في عيش ظليل أي طيب " (١) .

موضع الشاهد:

(... الْيَوْمَ أَظْلُهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي) .

التحليل البلاغي:

جاء الفن البديعي رد العجز على الصدر بين كلمتين وردت إحداهما في أول الفقرة (ظلي) ، و الثانية في آخرها و هي (ظلي) و جمع بينهما التكرار .

و يظهر السرُّ البلاغي لهذا الفن من خلال تأكيد المعنى و تقريره و ترسيخه و تشبيته في ذهن السامع ، فعندما جاء اللفظ المكرر (ظلي) و هي آخر كلمة في الحديث القدسي ، تأكد المعنى في ذهن السامع ، ففضل الحب في الله عظيم ، و هو أن يكون في حماية الله عز وجل ، ف (الْيَوْمَ أَظْلُهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي) " ظاهره أن هناك ظلاً و وقاية من الحر و الشمس، و هو كذلك ، ففي الأحاديث أن الشمس تدنو من الرؤوس ، حتى يغرق بعض الناس في العرق ، و إذا كانت الشمس المعلومة قد كورت قبل ذلك ، فلا حجر على القدرة من إعادتها ، أو خلق شمس أخرى ، قال القاضي : ظاهره أنه في ظله من الحر و الشمس و وهج الموقف و أنفاس الخلق ، قال : و هذا قول الأكثرين أ. هـ و قيل : إن التعبير كناية و لا ظل ، و لا حر ، و لا شمس ، و المراد : حمايته من المكاره ، و جعله في كنفه و إكرامه و ستره ، فهو من

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

قبيل : السلطان ظل الله في الارض ، و يحتمل أن يكون كناية عن الراحة و النعيم ، كما يقال هو في عيش ظليل أي طيب " (١) .

و يظهر السرُّ البلاغي أيضاً في ارتباط الكلام بعضه مع بعض و تلاحم أجزائه ، و تآزرها بعضها مع بعض ، فالسامع يستطيع أن ينطق بالكلمة الأخيرة بمجرد سماعه لأول الفقرة ، فرد العجز على الصدر يعد رابطاً من روابط التذكر ، فعند قول الله عز و جل : (الْيَوْمَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ...) فيستطيع السامع النطق بـ (ظِلِّي) و لو لم ير هذا الحديث أو لم يسمعه من قبل .

و لرد العجز على الصدر فضل كبير في قوة الأسلوب و الصياغة ، و تماسك اللبنة ، و جودة السبك ، و هذا واضح أشد الوضوح في الحديث القدسي .

(١) : فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، ج ١٠ ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .

الحديث الثالث:

حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ . حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ . أَخْبَرَنَا رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ عَنْ
 الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكَ ،
 مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ) (١) .

المضمون العام للحديث:

يوضح الحديث السابق وجوب الإختلاص في العمل و ذم الرياء ، فالله سبحانه
 و تعالى أغنى أن يشاركه غيره ، فمن عمل عملاً له و لغيره لم يقبل الله منه ، بل إن الله
 يتركه لذلك الغير ، فهذا الحديث من الترهيب من أن يقصد الإنسان بعبادته غير الله .

و قد بدأ الحديث القدسي بقول الله تعالى : (أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ) " أي أنا أغنى
 من يزعم أنهم شركاء على فرض أن لهم غنى . (عَنِ الشُّرْكَ) أي : عما يشركون به مما
 بيني و بين غيري في قصد العمل . و المعنى : ما أقبل إلا ما كان خالصاً لوجهي
 و ابتغاء لمرضاتي . فاسم المصدر الذي هو الشرك مستعمل في معنى المفعول و يؤيد ما
 قررناه ما أوضحه بطريق الاستئناف بقوله : (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ) أي : في قصد
 ذلك العمل (مَعِيَ) أي : مع ابتغاء وجهي (غَيْرِي) أي من المخلوقين فلا يضره قصد
 الجنة و توابعها مثلاً ، فإنها من جملة مرضاته سبحانه ، و إن كان المقام الأكمل أن لا
 يعبد له لطمع جنة أو خوف نار ، فإنه عد كفراً عند بعض العارفين . . . و قوله :

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٨ ، كتاب الزهد و الرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله ،
 (و في نسخة : باب تحريم الرياء) رقم الحديث : ٢٩٨٥ ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

(تَرَكْتُهُ وَ شِرْكُهُ) خبر (من) و الواو بمعنى مع ، أو المعنى تركته عن نظر الرحمة و تركت عمله المشترك عن درجة القبول " (١) .

" قال الطيبي - رحمه الله -: اسم التفضيل هنا مجرد الزيادة ، و الإضافة فيه للبيان ، أو على زعم القوم ، و فيه أن وجه الإضافة للبيان يحتاج إلى مزيد البيان، و كأنه أراد أن معناه : أنا غني مما بينهم دونهم ، ثم قال : و الضمير المنصوب في (تَرَكْتُهُ) يجوز أن يرجع إلى العمل و المراد من الشرك الشريك " (٢) .

قال النووي : " ... معناه : أن غني عن المشاركة و غيرها ، فمن عمل شيئاً لي و لغيري لم أقبله ، بل أتركه لذلك الغير، و المراد : أن عمل المرئي باطل ، لا ثواب فيه و يأثم به " (٣) .

موضع الشاهد:

(أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَ شِرْكُهُ) .

التحليل البلاغي:

وقع رد العجز على الصدر بين كلمتين وردت إحداهما في أول الفقرة : (الشُّرَكَاءِ) والثانية في آخرها : (شِرْكُهُ) ، و قد جمع بينهما الاشتقاق ، فكل منهما يرجع إلى أصلها في الفعل الماضي الثلاثي (شَرَكَ).

(١) : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ج ٩ ، كتاب الرقاق ، باب الرياء و السمعة ، مرجع سابق ، ص ٥٠١-٥٠٢ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٥٠٢ .

(٣) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٥ ، كتاب الزهد و الرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله ، (و) في نسخة : باب تحريم الرياء (رقم الحديث : ٢٩٨٥ ، مرجع سابق ، ص ٩٠)

و يتضح السرُّ البلاغي للفرن البديعي رد العجز على الصدر في الحديث السابق في أمرين :

أولهما : دلالة على تأكيد المعاني و تقريرها ، و ذلك أن اللفظ عندما يذكر مجانساً عن طريق الاشتقاق للآخر يتأكد معناه في ذهن السامع و يتقرر و يرسخ ، فالتأمل في الحديث يجد أن لفظ (الشُّرَكَاءِ ، الشُّرِكِ ، أشْرَكَ ، شِرْكُهُ) تكرر وجوده في الحديث أربع مرات ، و كلها تعود و ترجع إلى أصل واحد ، و ذلك يدل على تحريم الرياء ، و ضرورة الإخلاص في العمل ، فالإخلاص شرط في قبول الله تعالى للعمل الصالح ، فقد قال الله تعالى في ذلك : (وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)^(١) (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ)^(٢) فالله أغنى الشركاء عن الشرك ، فإذا أشرك إنسان في أمر يجب أن يكون قاصداً بذلك الله و الناس فإن الله غير محتاج لذلك العمل ، و سيتركه و شركه ، كما أوضح ذلك النووي بقوله : " ... عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ، و يأثم به " ^(٣) ، فعلى المسلم أن يراقب أعماله التي يؤديها ، فما كان فيه شركاً مع الله تعالى فعليه أن يصحح نيته بأن تكون خالصة لله .

ثانيهما: يظهر في الترابط بين المعاني و التلاحم بين أجزاء الكلام ، فهو يؤدي إلى تقوية السبك و تماسك اللبنة ، و جودة المعاني ، و جزالة الألفاظ ، فالحديث قليل اللفظ عظيم المعنى ، فالله تعالى أغنى الشركاء ، و حذّر من أن يقصد الإنسان بعبادته غير الله ، و عدّ ذلك من عظام الذنوب ، بل من الشرك به ؛ لأنه ينافي الإخلاص الذي يقتضي أن يقصد المسلم بعمله الله وحده لا شريك له .

(١) : البينة : ٥ .

(٢) : الزمر : ٣ .

(٣) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

الحديث الرابع:

حَدَّثَنَا عَبْدُهُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْجَعْفِيُّ عَنْ زَائِدَةَ : حَدَّثَنَا بَيَّانُ بْنُ
بِشْرِ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ : (إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُضَامُونَ
فِي رُؤْيَيْهِ) (١) .

المضمون العام للحديث:

أثبت الحديث القدسي أن المؤمنين يوم القيامة سيرون الله عز و جل كما يرون
القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته .

و رؤية الله تعالى في الجنة للمؤمنين هي أعظم لذة لهم ، و أعظم نعيم و أعظم
حبور أو سرور يصل إليهم ، يبهج نفوسهم ، و تستنير و تضيء به وجوههم .

و قد جاء الحديث السابق إثباتاً لمن أنكر الرؤية أو تصور بأن الله عز وجل شبيه
بالقمر ، فمعنى " التشبيه بالقمر أنكم ترونه رؤية محققة لا شك فيها ، و لا تعب ،
و لا خفاء ، كما ترون القمر كذلك ، فهو تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي ، و لا
كيفية الرؤية بالكيفية " (٢) .

موضع الشاهد:

(إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ) .

التحليل البلاغي:

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ٢٣ ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ)

(٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) ، رقم الحديث: (٦٩٥٨) ، ص ١٤٠-١٤١ .

(٢) : المرجع السابق : ص ١٤١ .

وقع رد العجز على الصدر بين كلمتين وردت إحداهما في أول الفقرة : (سَتَرُونَ) و الثانية في آخرها و هي : (رُؤْيْتِه) ، و قد جمع بينهما الاشتقاق فكل منهما يرجع أصلها إلى الفعل الماضي الثلاثي (رَأَى) .

و قد أكد رد العجز على الصدر و جاء دليلاً على رؤية المؤمنين لربهم عز وجل يوم القيامة ، و هي رؤية لذة و بهجة و نعيم و سرور في جنات النعيم ، فعندما أتت كلمة (سَتَرُونَ) في أول الحديث ثم جاءت كلمة (رُؤْيْتِه) في آخر الحديث أسهمت الثانية في تأكيد معنى الأولى و تقريره و ترسيخه ، إضافة إلى كلمة (كَمَا تَرُونَ) التي وردت في وسط الحديث ، فالكلمات جميعها بهذه الصورة البلاغية جاءت تأكيداً و ترسيخاً و تثبيتاً و تقريراً لمعنى واحد ، ألا و هو إثبات رؤية المؤمنين لربهم عز وجل يوم القيامة لمن أنكر ذلك ، أو لمن تصور و شك أن ورود كلمة البدر هنا للتشبيه (أي : تشبيه الله به) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

و أيضاً ، يلاحظ أن رد العجز على الصدر كان سبباً من أسباب تلاحم الأسلوب و ترابطه و تآزره لما بين (سَتَرُونَ) و (رُؤْيْتِه) من التشابه الشكلي الذي أدى في نهاية الأمر إلى موسيقى رنانة جعلت الأسلوب مميزاً ، و جذاباً ، و ذا أثر قوي في النفس و القلب .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَهْرَامِ الدَّارِمِيُّ : حَدَّثَنَا مَرْوَانُ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدِ
 الدَّمَشْقِيِّ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ
 الْخَوْلَانِيِّ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ
 اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، أَنَّهُ قَالَ : (يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ
 بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا . فَلَا تَظَالَمُوا . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ . فَاسْتَهِدُونِي
 أَهْدِكُمْ . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ . يَا
 عِبَادِي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ . فَاسْتَكَسُونِي أَكْسِكُمْ . يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ
 تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا الَّذِي أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ
 لَكُمْ . يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي . وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي
 فَتَنْفَعُونِي . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى
 قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ . مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ
 وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا .
 يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي
 فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا
 أَدْخَلَ الْبَحْرَ . يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا ، فَمَنْ
 وَجَدَ خَيْرًا فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ) .

قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي، ج ١٥ ، كتاب البر و الصلة و الآداب ، باب تحريم الظلم ، رقم

الحديث : ٢٥٧٧ ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) : انظر البحث : ص ٢٤٤ .

موضع الشاهد:

(يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا

تَظَالُمُوا ...) .

التحليل البلاغي:

وقع رد العجز على الصدر بين كلمتين وردت إحداهما في أول الفقرة : (الظُّلْمَ) و الثانية في آخرها و هي : (تَظَالُمُوا) ، و قد جمع بينهما الاشتقاق فكل منهما يرجع أصلها إلى الفعل الماضي الثلاثي (ظلم) .

و قد نص و أكد رد العجز على الصدر على تحريم الظلم بين العباد ، و هو من أعظم المقاصد التي جاءت الشريعة بتقريرها ، و ترسيخها في أذهان الناس ، فوردت كلمة (الظلم) في أول الفقرة دالة على تنزيه الله لنفسه عن الظلم ، فهو سبحانه أحكم الحاكمين و أعدل العادلين في السماوات السبع و الأرضين ، و قد جاء ذلك في الذكر

المبين ، حيث ورد : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَعِفْهَا

وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ (١) و أيضاً قال جلَّ في علاه: ﴿ وَمَا رَبُّكَ

بِظُلْمٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ (٢) ، و وردت الكلمة الثانية (فَلَا تَظَالُمُوا) محرمة للظلم

بين العباد ، و ناهية إياهم أن يتظالموا فيما بينهم ، فالظلم أنواع كثيرة ، و قد بين هذا الفن البديعي نوعاً من أنواع الظلم و هو ظلم الإنسان لغيره بأخذ حقه ، أو الاعتداء عليه في بدنه أو ماله أو عرضه أو نحو ذلك .

(١) : النساء : ٤٠ .

(٢) : فصلت : ٤٦ .

فمن خلال ذلك تتسبين قيمة الفن البديعي البلاغي التي تكمن في تقرير المعنى ،
و تأكيده ، و إيضاحه ، و إيصاله للمتلقي في أجلّ صورة ، إضافة إلى ما تتميز به من
نعمة موسيقية كانت ذات أثر قوي في النفس و العقل .

و رد العجز على الصدر الوارد بين كلمتي : (الظُّلمَ ، تَظَالُمُوا) سبب من أسباب
تلاحم الأسلوب و ترابط المعنى الذي يشير أولاً و آخراً إلى تحريم الظلم مطلقاً ، و يدل
على ذلك حرف التوكيد "إن" و ضمير المتكلم "الياء" في (إِنِّي) ، و لفظ التحريم ذاته
في قوله (حَرَّمْتُ) ، و تكرار لفظي (التحريم ، والظلم) في قوله : (إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ
عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا) ، و قد ختمت الجملة الأولى من
الحديث بقوله : (فَلَا تَظَالُمُوا) مع أن المراد فهم مما سبقها ، فإن المعنى قد تم عند
قوله : (مُحَرَّمًا) ، لكنه أعاد المعنى المراد مرة أخرى بقوله : (فَلَا تَظَالُمُوا) ، و هذا
المعنى يفيد المنع قوة .

المبحث الرابع:

لزوم ما لا يلزم

التعريف باللون البديعي:

ذكر ابن أبي الإصبع تعريف لزوم ما لا يلزم في باب الالتزام حيث قال : " هو أن يلتزم الناثر في نثره ، أو الشاعر في شعره قبل روي البيت من الشعر حرفا فصاعدا على قدر قوّته ، و بحسب طاقته ، مشروطا بعدم الكلفة " (١) .

عرّف صاحب الإيضاح لزوم ما لا يلزم بأنه : " أن يجيء قبل حرف الروي و ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع " (٢) .

و ذكر العلامة سعد الدين التفتازاني أن : " (لزوم ما لا يلزم) و يقال له الإلزام و التضمنين و التشديد و الإعنات أيضا (و هو أن يجيء قبل حرف الروي) ، و هو الحرف الذي تبني عليه القصيدة و تنسب إليه ، فيقال قصيدة لامية أو ميمية مثلا ، من رويت الحبل إذا فتلته ؛ لأنه يجمع بين الأبيات ، كما أن الفتل يجمع بين قوى الحبل ، أو من رويت على البعير إذا شددت عليه الرواء و هو الحبل الذي يجمع به الأحمال (أو ما في معناه) أي قبل الحرف الذي هو في معنى حرف الروي (من الفاصلة) يعني الحرف الذي وقع في فواصل الفقر موقع حرف الروي في قوافي الأبيات ، و فاعل يجيء هو قوله : (ما لا ليس بلازم في السجع) يعني أن يؤتى قبله بشيء لو جعل القوافي أو الفواصل أسجعا لم يحتج إلى الإتيان بذلك الشيء و يتم السجع بدونه ، فمن زعم أنه كان ينبغي أن يقول ما ليس بلازم في السجع أو القافية ليوافق قوله قبل حرف الروي أو ما في معناه فهو لم يعرف معنى هذا الكلام ، ثم لا يخفى أن المراد بقوله : يجيء قبل كذا ما ليس بلازم في السجع أن يكون ذلك في بيتين أو أكثر ،

(١) : تحرير التحرير ، ٥١٧ .

(٢) : الإيضاح ، ٣٨٩ .

أو فاصلتين أو أكثر ، و إلا ففي كل بيت أو فاصلة يجيء قبل حرف الروي أو ما في معناه ما ليس بلازم في السجع ... " (١) .

و ذكر صاحب مواهب الفتاح : " (و منه) أي و من البديع اللفظي (لزوم ما لا يلزم) أي النوع المسمى بلزوم ما لا يلزم ، و يقال له الإلزام و التضمين لتضمينه قافيته ما لا يلزمها و الإعنات أي الإيقاع فيما فيه عنت بفتحتين أي مشقة و شدة (و هو) أي لزوم ما يلزم المسمى بما ذكر (أن يجيء قبل حرف الروي أو) يجيء قبل (ما في معناه) أي قبل ما في معنى الروي (من الفاصلة) بيان لما ، و أطلق الفاصلة على الحرف الذي هو في معنى الروي و هو الحرف الذي تختم به فاصلة من الفواصل ، و قوله : (ما ليس بلازم في السجع) فاعل يجيء ، يعني أن لزوم ما لا يلزم هو أن تأتي بحرف قبل الروي ، أو ما يجري مجرى الروي من حرف الفاصلة بحرف لا يلزم ذلك الحرف في السجع ... " (٢) .

و أشار صاحب العروس إلى " (و منه) أي من التحسين اللفظي (لزوم ما لا يلزم و هو أن يجيء قبل حرف الروي أو ما في معناه من الفاصلة) أو السجعة (ما ليس لازماً في السجع) و الأولى أن يقال التقفية ليعم السجع و النظم ... " (٣) .

و ورد في حاشية الدسوقي على شرح السعد أن " قوله (الإلزام) أي لأن المتكلم شاعراً كان أو ناثراً ألزم نفسه أمراً لم يكن لازماً له (قوله : و التضمين الخ) أي لتضمينه قافيته ما لا يلزمها (قوله : و الإعنات) أي الإيقاع فيما فيه عنت أي مشقة لأن إلزام ما لا يلزم فيه مشقة (قوله : قبل حرف الروي) أي من القافية ، و يؤخذ من قول الشارح لأنه يجمع بين الأبيات أن الإضافة غير بيانية و المعنى قبل الحرف الذي

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٦٣-٤٦٥ .

(٢) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٦٣-٤٦٤ .

(٣) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٦٣-٤٦٤ .

يجمع بين الأبيات و يحتمل أنها بيانية لأنهم قد يعبرون بالروي بدون حرف مراد به الحرف المذكور (قوله : و هو الحرف) أي الأخير من القافية (قوله : فيقال قصيدة لامية) أي إن كان الحرف الأخير من قافيتها لاما و هكذا (قوله : من رويت الحبل) أي مأخوذ من قولك رويت الحبل (قوله : إذا فتلته) أي ويلزمه الجمع (قوله : لأنه) أي الروي (قوله : بين قوى الحبل) أي طاقاته (قوله : الرواء) بكسر الراء و المد (قوله و هو الحبل الذي يجمع به الأحمال) أي و الحرف الأخير من القافية الذي تنسب إليه القصيدة يجمع بين الأبيات (قوله : أو ما في معناه) عطف على حرف الروي أي أو يجيء قبل الحرف الذي في معناه (قوله : يعني الخ) أشار الشارح إلى أن قوله : من الفاصلة بيان لما في معناه و أنه أطلق الفاصلة على الحرف الذي يختم به الفاصلة فهو من تسمية الجزء باسم الكل ، و الظاهر أن الفاصلة باقية على معناها الحقيقي وهو الكلمة الأخيرة من الفقرة أي حال كونه كائنا من الفاصلة (قوله : ما ليس بلازم في السجع) ما عبارة عن شيء كما قال الشارح (قوله : يعني أن يؤتى قبله) أي قبل ما ذكر من حرف الروي أو الحرف الذي في معناه ... " (١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي اللفظي (لزوم ما لا يلزم) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٦٣-٤٦٤ .

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنِ أَبِي صَالِحٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً ، يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ ، قَالَ : فَيُخَفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ وَ يُكَبِّرُونَكَ ، وَ يَحْمَدُونَكَ وَ يُمَجِّدُونَكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لا ، وَ اللَّهُ مَا رَأَوْكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَ كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَ أَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَ تَحْمِيدًا وَ أَكْثَرَ تَسْبِيحًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَمَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالَ : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يَقُولُ : وَ هَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لا ، وَ اللَّهُ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، وَ أَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَ أَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً ، قَالَ : فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : مِنَ النَّارِ ، قَالَ : يَقُولُ : وَ هَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لا ، وَ اللَّهُ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا ، وَ أَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً ، قَالَ : فَيَقُولُ فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، قَالَ : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ : فِيهِمْ فُلَانٌ ، لَيْسَ مِنْهُمْ ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ ، قَالَ : هُمْ الْجُلَسَاءُ ، لا يَشْفَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)^(١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له^(٢) .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرمانى ، ط ٢ ، ج ٢٢ ، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز و جل

رقم الحديث : ٦٠٣٤ ، مرجع سابق ، ١٨٦-١٨٨ .

(٢) : انظر البحث : ص ٢٢٨ .

موضع الشاهد:

(... قَالَ : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ و يُكَبِّرُونَكَ ، و يَحْمَدُونَكَ و يُمَجِّدُونَكَ...).

التحليل البلاغي:

لقد جاء الفن البديعي اللفظي لزوم ما لا يلزم في الحديث القدسي حيث التزم ﷺ قبل الفاصلة (الكاف) بأكثر من حرف و هو حرفي (الواو و النون) ، و لا يخفى أن هذا غير مقصود منه ﷺ ، إنما صدر عن طبع ، و جاء عفواً ، و لم يكن متكلفاً و متعنتاً ، بل اقتضاه المقام ، و استدعته المناسبة ، و جاء تابعاً للمعنى ، و ليس المعنى تابعاً له .

و عندما يُتأمل في الكلمات (يُسَبِّحُونَكَ و يُكَبِّرُونَكَ ، و يُمَجِّدُونَكَ) كلها تفسر من أنواع العبادات التي ينبغي صرفها لله تعالى فقط دون سواه ، فالتسبيح^(١) معناه التنزيه ، سبَّح له : نزه الله تعالى ، و التكبير^(٢) معناه التَّعْظِيم ، و الحمد^(٣) ضد الذم ، و هو أعم من الشكر ، و التمجيد^(٤) من المجد و هو الكرم ، و بذلك يُرى كيف استجلب النبي ﷺ الكلمات المتناسبة معنوياً ، و المتوائمة لفظياً بحيث أحدثت نوعاً رائعاً من الموسيقى الرنانة بأذني السامع و القارئ على حدٍ سواء .

(١) : مختار الصحاح ، الرازي ، مادة سبح ، مرجع سابق ، ص ١١٩

(٢) : المرجع السابق ، مادة كبر ، ص ٢٣٤ .

(٣) : المرجع السابق ، مادة حمد ، ص ٦٤ .

(٤) : المرجع السابق ، مادة مجد ، ص ٢٥٧ .

الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ شَيْبٍ وَ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ
 أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قَلَابَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 (أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، قَالَ : أَحْسَبُهُ قَالَ : فِي الْمَنَامِ
 فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ : هَلْ تَدْرِي فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا ، قَالَ :
 فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّْ ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّْ ، أَوْ قَالَ : فِي نَحْرِي ،
 فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيْمَ يَخْتَصِمُ
 الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فِي الْكُفَّارَاتِ . وَالْكَفَّارَاتُ : الْمُكْتُ فِي
 الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ ، وَالْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَإِسْبَاحُ الْوُضُوءِ
 فِي الْمَكَارِهِ ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ عَاشَ بِخَيْرٍ ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيْوَمَ
 وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ،
 وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ ، وَإِذَا أَرَدْتَ بَعَادِكَ فِتْنَةً؛ فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ
 مَفْتُونٍ ، قَالَ : وَالذَّرَجَاتُ : إِفْشَاءُ السَّلَامِ ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ
 نِيَامٌ) (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد:الشاهد يقع في ثلاثة مواضع:

(١) : سنن الترمذي ، ج ٥ ، كتاب تفسير القرآن ، باب (٣٨) ، رقم الحديث : ٣٢٤٧ ، مرجع

سابق ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٢) : انظر البحث : ص ٢١٦ .

- (... الْمَكْتُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ ، وَالْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ ...) .
- (... فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ ...) .
- (... إِفْشَاءُ السَّلَامِ ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ...) .

التحليل البلاغي:

جاء الفن البديعي اللفظي لزوم ما لا يلزم في الحديث القدسي السابق حيث التزم النبي ﷺ قبل الفاصلة في الموضوعين ، الأول و الثالث ، بحرف واحد ، و هو ألف المد ، و أما بالنسبة للموضع الثاني فقد التزم ﷺ بحرفين قبل الفاصلة ، و هما : الراء و ألف المد ، و مما تجدر الإشارة إليه أن هذا الالتزام غير مقصود منه ﷺ ، إنما جاء عفواً و صادراً عن طبع غير متكلفٍ ، فالمقام استدعاه و المناسبة طلبته .

ففي الموضع الأول يوضح ﷺ فيم يختصم الملاء الأعلى ، ثم ذكر في الكفارات و ذكر إجابة شافية كافية ، شديدة التأثير على العقل و الفكر ، و ذلك نتيجة استخدامه لوناً بديعياً مشبعاً بالموسيقى الداخلية و الخارجية صادراً عن الانسجام و التوافق الصوتي بين الكلمات و دلالاتها ، فاختيار الرسول ﷺ للفظتي (الصَّلَوَاتِ ، الْجَمَاعَاتِ) ينم عن ذوق رفيع و طبع سليم .

و في الموضع الثاني يوضح ﷺ دعاء عظيمًا من أجمع الأدعية و أكملها ، فهو يسأل الله فعل الخيرات و ترك المنكرات ، فهو بذلك يتضمن طلب فعل كل خير و ترك كل شر ، و إن حصل ذلك حصل على خيري الدنيا و الآخرة ، فقد التزم ﷺ بحرفين قبل الفاصلة و هما الراء و الألف ، و التزم كذلك بالحركات مما نتج عن ذلك موسيقى

داخلية و خارجية ، إضافة إلى القيمة و الدلالة الفكرية المعنوية ، فحرف المد السابق أكسب المقطع نغمة موسيقية عذبة ، فكانت تلك العبارات أكثر تأثيراً في المتلقي .

و في الموضوع الثالث يوضح الرسول ﷺ ما هي الدرجات التي يختصم فيها الملاء الأعلى أيضاً ، ثم ذكر (إِفْشَاءُ السَّلَامِ ، وَ إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَ الصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ) فاستخدامه ﷺ لكلمات (السَّلَامِ - الطَّعَامِ - نِيَامٌ) لم يأت اعتباطاً ، بل جاء و صدر عن ذوق قويم ، و فهم سليم ، و لسان عربي مبين ، فتلك الكلمات جاءت محتومة بحرف (الميم) و مسبوقة بحرف المد (الألف) فتميزت بالتوافق الموسيقي بينها ، إضافة إلى الإيقاع الداخلي ، فجاءت تلك العبارات المنغمة المعبرة فمن أجل أن يترقى الإنسان في درجات الجنة ، فعليه :

أولاً : أن يفشي السلام بين الناس و يسلم على من عرف و من لم يعرف ، فهو أدعى إلى التحابب و التلاطف بين الناس .

ثانياً : إطعام الطعام ؛ فهو أفضل ما في الإسلام ؛ لأنه يؤلف القلوب و يقرب الأبعاد .

ثالثاً : أن يصلي بالليل و الناس نيام ، فالصلاة صلة بين العبد و ربه ، فكيف و قد يصلي الإنسان بالليل ، و يناجي الله تعالى ، و قد ترك لذة النوم ، و استيقظ دون غيره من الناس النيام ليقابل رب العزة ﷻ ؟ .

الحديث الثالث:

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ رُبَيْعِ بْنِ جِرَاشٍ قَالَ : قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو لِحَدِيفَةَ : أَلَا تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِنَّ مَعَ الدَّجَالِ إِذَا خَرَجَ مَاءٌ وَنَارًا ، فَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهَا النَّارُ فَمَاءٌ بَارِدٌ ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ فَنَارٌ تُحْرِقُ ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ فَلْيَقْعْ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّهَا نَارٌ ، فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ . قَالَ حَدِيفَةُ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ الْمَلِكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ فَقِيلَ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : مَا أَعْلَمُ ، قِيلَ لَهُ : انظُرْ ، قَالَ : مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أَبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَأُجَارِيهِمْ فَأَنْظِرُ الْمُوسِرَ وَأَتَجَاوِزُ عَنْ الْمُعْسِرِ ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ فَقَالَ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا يَسَسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطْبًا كَثِيرًا ، وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا ، حَتَّى إِذَا أَكَلْتُ لَحْمِي وَخَلَصْتُ إِلَى عَظْمِي فَامْتَحِشْتْ فَخُدُّوهَا فَاطْحِنُوهَا ، ثُمَّ انظُرُوا يَوْمًا رَاحًا فَادْرُوهُ فِي الْيَمِّ فَفَعَلُوا ، فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ : لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ) .

قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو : وَأَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ وَكَانَ نَبَأًا (١) .

المضمون العام للحديث:

يحمل هذا الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه ثلاثة أحاديث رواها حذيفة رضي الله عنه فالأول : يتحدث فيه عن فتنة المسيح الدجال ، و الثاني : يتحدث فيه عن فضيلة إنظار المعسر ، و الثالث : يتحدث فيه عن الرجل الذي أمر أهله بإحراقه بعد موته .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٤ ، كتاب بدء الخلق ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، رقم

فالأول قال حذيفة : " إِنِّي سَمِعْتُهُ (أي : ﷺ) يَقُولُ إِنَّ مَعَ الدَّجَالِ إِذَا خَرَجَ مَاءٌ وَنَارًا...) ، " أي و ما يتولد منه من أسباب النعم ، بحسب الظاهر المعبر عنه بالجنة فيما تقدم يرغب إليه من أطاعه " (١) .

(وَنَارًا) أي: ما يكون ظاهره سبباً للعذاب و المشقة و الألم يخوف به من عصاه ، (فَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ فَنَارٌ تُحْرَقُ...) المعنى أن الله تعالى يجعل ناره ماءً بارداً عذباً على من كذبه و ألقاه فيها غيظاً كما جعل نار نمرود برداً و سلاماً على إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، و يجعل ماءه الذي أعطاه من صدقه ناراً محرقة دائمة . و محمله أن ما ظهر من فتنته ليس له حقيقة ، بل تخيل منه و شعبدة كما يفعل السحرة و المشعبدون ، مع احتمال أن الله تعالى يقلب ناره و ماءه الحقيقيين فإنه على كل شيء قدير (فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ) أي الدجال أو ما ذكر من تليسه (مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّهَا نَارٌ) أي فليختر تكذيبه و لا يبالي بإيقاعه فيما يراه ناراً (فَإِنَّهُ عَذْبٌ طيب) أي في الحقيقة أو بالقلب أو بحسب المال و الله تعالى أعلم بالحال (٢) .

و الثاني : قول حذيفة : (سَمِعْتُهُ (أي : ﷺ) يَقُولُ : إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ الْمَلِكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ...) " و في هذا الحث على التيسير على المعسرين ، و عدم العسر في المداينة و المعاملة ، و الحث على إنظار المعسرين ، أو إعفائهم

(١) : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، كتاب الفتن ، باب العلامات بين يدي الساعة و ذكر

الدجال ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١١٢ .

(٢) : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، مع اختلاف في ألفاظ الحديث مع أنه

نفس الراوي (حذيفة رضي الله عنه) ، ص ١١٢ .

و مسامحتهم ، و أن ذلك من أسباب العفو عنهم يوم القيامة ، و تيسير الله عليهم يوم القيامة " (١) .

" و المشروع لكل مؤمن أن يتخلق بهذا الخلق ، و أن يحرص على أن يكون من أهل التيسير و العفو و الإنظار و عدم المضايقة " (٢) .

و الثالث: قول حذيفة : " وَسَمِعْتُهُ (أي : الرسول ﷺ) يَقُولُ إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا يئسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ (...) و هو حديث الرجل الذي أمر أهله بإحراقه بعد موته خشية من الله تعالى ، و كيف كان الخوف منه سبحانه من أسباب مغفرة الذنوب ، ففي القصة أن رجلاً من بني إسرائيل أوصى أهله عندما يئس من الحياة أن إذا مات أن يجمعوا له حطباً كثيراً ، و يوقدوا فيه النار ، و يضعوه حتى تأكل النار لحمه و تخلص إلى عظمه و تمتحش ، و الامتحاش هو الاحتراق (٣) ، ثم يأخذوا العظام بعد الامتحاش فيطحنوها و ينتظروا (يَوْمًا رَاحًا) قال الجوهرى : معناه : " يوم راح : أي شديد الريح ، و إذا كان طيب الريح يقال : رِيحٌ بالتشديد " (٤) ، و قال الخطابي : " يوم راح : أي : ذو ريح ، كما يقال : رجل مال أي : ذو مال " (٥) ، فعندما يأتي ذلك اليوم فاذروه في اليم ، ففعل بنوه ما أوصاهم به أبوهم ، فجمعه الله تعالى ،

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، ص ١٧١ ، و قد تقدم مضمون هذا الحديث ، انظر البحث : ص ٧٩ ، و لكن باختلاف طرق الرواية .

(٢) : المرجع السابق ، ص ١٧١ .

(٣) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٤ ، كتاب بدء الخلق ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .

(٤) : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٥) : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

و قال له : لم فعلت ذلك ؟ قال: من خشيتك ، فغفر الله له ، قيل: و كان نباشاً ، " أي : الرجل الموصي ، سراقاً للأكفان " (١) .

موضع الشاهد:

ورد الشاهد في موضعين:

الأول: (... فَأَنْظِرُ الْمُوسِرَ وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ ، ...) .

الثاني: (... حَتَّى إِذَا أَكَلْتَ لَحْمِي وَخَلَصْتَ إِلَى عَظْمِي...) .

التحليل البلاغي:

جاء الفن البديعي اللفظي لزوم ما لا يلزم في الحديث القدسي السابق في موضعين اثنين : حيث التزم ﷺ في الموضع الأول قبل الفاصلة (الراء) بحرف واحد ، و هو (السين) في كل من (الْمُوسِرَ ، الْمُعْسِرِ) ، و مما لا يخفى أن ذلك صادر عن طبع و ذوق سليمين ، فصلوات الله عليه يروي قصة ذلك الرجل الذي كان يبايع الناس و يجازيهم ، حينما أتاه الملك كي يقبض روحه و سأله هل عملت من خير ؟ و قال : إنه لا يعلم ، غير أنه كان مسامحاً في الاقتضاء و الاستيفاء ، و يقبل ما فيه نقص يسير . فالرسول ﷺ أراد أن يبين سعة رحمة الله تعالى بعباده ، فقد غفر الله عز و جل له بهذا العمل على الرغم من قلته ، و كذلك أراد أن يبين فضل إنظار الموسر و التجاوز عن المعسر ، فعند استخدامه ﷺ للفظي (الْمُوسِرَ ، الْمُعْسِرِ) استخدم إيقاعاً جميلاً و نغماً معبراً و موسيقى عذبة ، فكان الهدف الذي يرمي إليه هو إيضاح المعنى ، و إفهامه و ترسيخه في العقول و الألباب و حصل له ما أراد ، فعند استخدامه تلك اللفظتين ، أتى بفنين بديعين هما : الطباق ، و لزوم ما لا يلزم ، فهذان الفنَّان

(١) : المرجع السابق ، ص ٨٩

ساعدنا على إيصال المعنى عن طريق موسيقى الأصوات التي انفعلت بها النفوس
و تأثرت بها القلوب .

و في الموضوع الثاني التزم ﷺ قبل الفاصلة (الياء) بحرف هو (الميم) في كل من
(لَحْمِي ، و عَظْمِي) و مما تجدر الإشارة إليه أن ذلك غير مقصود ، فليس في كلامه
ﷺ لزوم ما لا يلزم ؛ لأن كلامه ﷺ يعد من أعلى مراتب البيان البلاغي بما يحتويه من
بديع الصنع و رفيع القول .

فالرسول ﷺ يروي قصة ذلك الرجل الذي أوصى بنيه بعد موته بإحراقه و طحن
عظامه و رميها في يوم شديد الريح باليم ، خشية و خوفاً من الله ، و قد غفر الله له ،
فقد استخدم ﷺ لفظي (لَحْمِي ، و عَظْمِي) فهاتان اللفظتان تحملان معنيين بديعين
هما : مراعاة النظير ، و لزوم ما لا يلزم ، استطاع الرسول ﷺ من خلالهما إيصال المعنى
و ترسيخه بالأذهان و تثبيته . فالخوف و الخشية من الله في هذا الحديث كان سبباً من
أسباب مغفرة الذنوب ، و تكفير الخطايا ، عن طريق ذلك الفن الذي يحمل الموسيقى
بنوعيتها الخارجية و الداخلية ، و نشأ ذلك من خلال انسجام الحروف بعضها مع
بعض و اتساق اللفظتين (لَحْمِي ، و عَظْمِي) مع بعضهما ، فقد اشتركت الكلمتان
بأكثر من حرف ، و كان لهذا الاشتراك فائدة موسيقية عظيمة ، و قيمة نغمية جليلة
أدت إلى زيادة ربط الألفاظ بالمضمون .

الحديث الرابع:

و حَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ :
 دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقٍ . فَإِذَا فَتَى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَائِيَا . وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي
 شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ . وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ . فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ .
 فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ ، هَجَرْتُ . فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهَجِيرِ . وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي قَالَ :
 فَأَنْتَظِرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ . ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : وَ اللَّهُ
 إِنِّي لِأَحِبُّكَ لِلَّهِ . فَقَالَ : اللَّهُ ؟ فُئِلْتُ : اللَّهُ ؟ فَقَالَ : اللَّهُ . فُئِلْتُ : اللَّهُ . فَقَالَ :
 اللَّهُ ، قَالَ : فَأَخَذَ بِحُبُوبَةِ رِدَائِي فَجَبَدَنِي إِلَيْهِ . وَقَالَ : أَبَشِرْ . فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى : وَجَبْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ
 فِيَّ ، وَ الْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ ، وَ الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَ الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ) (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد:

(وَجَبْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَ الْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ ، وَ الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَ
 الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ) .

التحليل البلاغي:

جاء الفن البديعي اللفظي لزوم ما لا يلزم في الحديث القدسي السابق حيث التزم
 ﷺ بذكر الكلمة (فِيَّ) في جميع الفقرات الأربع ، إلى جانب التزامه ﷺ قبل الفاصلة

(١) : الموطأ ، الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، كتاب إسعاف المبطأ لرجال الموطأ ، الإمام جلال الدين
 عبدالرحمن السيوطي ، كتاب الجامع ، باب ما جاء في المتحابين في الله . رقم الحديث: ١٦ ، مرجع سابق ،
 ص ٨٢٧ .

(٢) : انظر البحث : ص ١٩٤ .

(النون) بحرف الياء في كل من (الْمُتَحَايِينَ ، وَ الْمُتَجَالِسِينَ ، وَ الْمُتَزَاوِرِينَ ، وَ الْمُتَبَاذِلِينَ) .

فقد أراد أن يوضح ﷺ أوصافاً و علاماتٍ ، من يتصف بها و جبت محبة رب العزة له ، و محبة الله هي الغاية الكبرى و النعمة العظمى ، التي يتشوق إليها كل مؤمن ، فوضح ﷺ تلك العلامات بعبارات قصيرة متوازنة ، و جمل منتقاة عذبة ، و أسلوب متلاحم مترابط ، يشد ذهن المتلقي و يلفت انتباهه ، و كأن تلك الجمل عقود زُكِّت من اللؤلؤ و الياقوت و المرجان ، فأوصل ﷺ المعنى إلى ذهن المتلقي بأسلوب منمق عذب موسيقى نتج أولاً : عن تكرار كلمة (فِي) أربع مرات ، و لقد لعب تكرار تلك الكلمة دوراً عظيماً في الموسيقى اللفظية ، إلى جانب زيادته في إيضاح المضمون المعنوي .

و نتج ثانياً : عن التزامه ﷺ بحرف (الياء) قبل الفاصلة (النون) ، الذي يعد علامة من علامات جمع المذكر السالم ، ففي تتابع (الياء و النون) و الذي يليه كلمة (فِي) في الجمل المتوازنة شكَّلت مقطوعة موسيقية متدفقة الألحان و الأنغام ، مثلت المعنى خير تمثيل و أجله و أكمله .

و في استخدامه ﷺ للألفاظ : (الْمُتَحَايِينَ ، وَ الْمُتَجَالِسِينَ ، وَ الْمُتَزَاوِرِينَ ، وَ الْمُتَبَاذِلِينَ) دعوة إلى التواصل و الاجتماع و التحابب و التزاور و التبادل بين المسلم و أخيه ، فكل كلمة تحدث تعبيراً في الوجدان ، و من ثم تؤثر في الإدراك و النفس و العقل .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غِيلَانَ وَغَيْرُ وَاحِدٍ قَالُوا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ :
 أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ أَنَّ الْأَعْرَجَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ قَالَ : (يُنَادِي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ
 تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ
 تَنَعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ([الزخرف : ٧٢] .

قَالَ أَبُو عِيسَى وَ رَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ وَ غَيْرُهُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الثَّوْرِيِّ وَ لَمْ يَرْفَعَهُ (١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له (٢) .

موضع الشاهد:

(...إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا
 أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا
 أَبَدًا) .

التحليل البلاغي:

(١) : الجامع الكبير (سنن الترمذي) ، ج ٥ ، أبواب تفسير القرآن ، ٤٠ و من سورة الزمر ، رقم الحديث

: ٣٥٢٧ ، مرجع سابق ، ص ٤٥٢ .

(٢) : انظر البحث : ص ٢٠٧ .

جاء الفن البديعي اللفظي لزوم ما لا يلزم في الحديث القدسي السابق حيث التزم
 ﷺ بذكر كلمة (أَبَدًا) في جميع الفقرات الأربع ، إلى جانب التزامه ﷺ قبل الفاصلة
 (واو الجماعة) بحرف الميم في كل من (تَسْقُمُوا - تَهْرُمُوا) .

فقد أراد ﷺ أن يوضح جزءاً يسيراً من نعيم الجنة ، و ذلك عندما ينادي منادٍ
 حينما يدخل أهل الجنة الجنة ، و يبشرهم بأربع نعم متوالية دائمة عليهم ، و هي الحياة
 الدائمة و عدم الموت ، و الصحة الدائمة و عدم المرض ، و الشباب الدائم و عدم
 الهرم ، و النعيم الدائم و عدم البأس ، فوضّح ﷺ هذا النعيم بجمل متوازنة ، و عبارات
 منمقة منتقاة ، و مقاطع موسيقية منعمة ، و أسلوب جزل تكسوه الفخامة و الرصانة
 و الفصاحة .

فالمقام مقام تبشير للمؤمنين المشتاقه نفوسهم للجنة و نعيمها ، فجاء التبشير عن
 طريق تلك الجمل المختومة بكلمة (أَبَدًا) ؛ تأكيداً للمعنى و ترسيخاً و تثبيتاً له في
 الذهن ، فالتكرار في الحديث كان ذا أثر عظيم في توفير الجانب الموسيقي .

و كذا أظهر الجانب الموسيقي في ختامه ﷺ لكل فقرة من الفقرات قبل كلمة
 (أَبَدًا) بواو الجماعة المتصل بالفعل المضارع ، و الذي يعد حرفاً من حروف المد ،
 و قد نتج عن ذلك تناغم موسيقي بديع ، و إيقاع جميل ، تطرب الأذن لسماعه ،
 و تتلذذ به الأفئدة و النفوس ، فما تكاد موسيقى الجملة تنتهي و تستقر في الأسماع
 حتى تعود ألحانها المؤثرة تتردد في الجملة التي تليها و هكذا حتى نهاية الحديث ، مما يجعل
 الجمل سلسلة من الموجات الصوتية و النغمات الموسيقية المتصلة التي لا تنتهي إلا بعد
 أن تكون قد بلغت من المستمع مبلغاً عظيماً .

الخاتمة

حمدا لك اللهم ، بك المعونة و التوفيق و الهداية لأقوم طريق ، و الصلاة و السلام على محمد عبدك و رسولك الذي آتته الحكمة و فصل الخطاب ، و عصمته من الخطأ و أهمته الصواب ، و مننت عليه بفضيلة البيان ، ففند بقاطع حجته قول من عارضه من أهل الزور و البهتان ، و بعد :

قدّمت فيما سبق غاية جهدي و ثمرة بحثي الذي بذلت في سبيله كل ما استطعت إليه سبيلا ، و أتضرع إلى المولى سبحانه و تعالى أن لا يضيع لي جهدا ، و أن يجعل له من القبول و الرضا في نفس أساتذتي الأفاضل ما يجعلهم يتغاضون عمّا قد يكون بدر مني من الخطأ و الزلل ، أو السهو و النسيان ؛ فالمتصفح للشيء أبصر بمواقع الخلل من منشئه ، لاسيما إذا كان ضليعا فيما قدم إليه ، و ما كان من الصواب فمن الله وحده ، و ما كان من الخطأ و النسيان فمن نفسي و الشيطان ، و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (١) .

و لعل من أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال تلك الدراسة المتواضعة

ما يلي :

- أن الصورة البديعية في الحديث القدسي ليست من قبيل الحلية اللفظية التي يمكن الاستغناء عنها ، بل هي من صلب المعنى جاءت لأن السياق و المقام يتطلبها و يستدعي وجودها في الكلام .

- يعد فناً الطباق و الجناس من أبرز الفنون البديعية الموجودة في الأحاديث القدسية و أشهرها و أكثرها شيوعاً و انتشاراً .
- تتراوح المقابلات في الأحاديث القدسية بين معنيين إلى ثلاثة معانٍ ، و عدم وجودها بأكثر من ذلك - كما يبدو لي - .
- قلة ظهور فني المبالغة و التورية في الأحاديث القدسية بالنسبة للألوان البديعية الأخرى - كما يظهر لي - .
- خلو الأحاديث القدسية - كما يبدو لي - من جناس التركيب لما يظهر فيه من تكلف و تصنع ترفضانه الفطرة السليمة و الطبع القويم .

و من أبرز التوصيات و المقترحات ما يأتي :

- ضرورة أن يكون الدارس مرناً عند تعامله مع الأحاديث القدسية ، مع الحرص على إعمال العقل و الفكر و عدم الركون و التسليم بكل ما يقع تحت أيدينا من مادة علمية على أنه شيء مقدس لا يمكن تبديله أو تنقيحه ، بل لابد أن يستخرج الدارس ما في داخل أعماقه من معاني و لطائف رآها في النص .
- ينبغي للدارس التأمل و التدبر و التريث عند تحليله الأحاديث القدسية و إطلاق الأحكام ، و عدم أخذ اللفظ على ظاهره ؛ فذلك أدعى للوصول إلى الهدف المنشود .
- أنصح الباحثين بالتوجه إلى دراسة الأحاديث القدسية و ذلك لقلة الدراسات البلاغية و اللغوية المتعلقة بها ، و أخيراً و ليس بأخر أقول :
اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا .

الفهارس الفنية

فهرس الآيات

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
١١٥	البقرة	١٥٢	● ﴿ فَادْكُرُونِي أَدْكُرْكُمْ ﴾ .
١٨٢	آل عمران	١٥٩	● ﴿ فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .
٢٠٠	آل عمران	١٦٩ - ١٧٠	● ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ .
١٥٥	آل عمران	١٩٢	● ﴿ إِنَّكَ مِنْ تَدْخِلِ النَّارِ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ ﴾ .
٣١٣	النساء	٤٠	● ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ .
٨٠	النساء	٤٨	● ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ

			<p>بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا .</p> <p>• ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .</p>
٨٠	الأنعام	٨٨	
٣	الأعراف	٤٣	<p>• ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَنَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَنَا اللَّهُ ﴾ .</p>
١٢٣	الأنفال	٧٥	<p>• ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ .</p>
١٨٣	التوبة	٧٣	<p>• ﴿ وَأَعْلَظَ عَلَيْهِمْ ﴾ .</p>
٣٥	الحجر	٩	<p>• ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .</p>
١٣٨	النحل	٩٦	<p>• ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يُنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾</p>
٨٢	الكهف	١١٠	<p>• ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾</p> <p>• ﴿ ١١٠ ﴾ .</p>
١١٢	طه	٥٢	<p>• ﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ ﴿ ٥٢ ﴾ .</p>
٩٥	العنكبوت	٢١	<p>• ﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ .</p>
٧٥	السجدة	١٧	<p>• ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ .</p>

٢٩٠	فاطر	٣٥	<ul style="list-style-type: none"> • ﴿لَا يَمْسُنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمْسُنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ .
٣٠٨	الزمر	٣	<ul style="list-style-type: none"> • ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾ .
٣١٢	فصلت	٤٦	<ul style="list-style-type: none"> • ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾ .
١٥	الأحقاف	٩	<ul style="list-style-type: none"> • ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنِ الرُّسُلِ﴾ .
٣٧	الحشر	٥	<ul style="list-style-type: none"> • ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ .
١٤٩	النازعات	-١٣	<ul style="list-style-type: none"> • ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ .
١٤٩	المزمل	١٧	<ul style="list-style-type: none"> • ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مَنفَطِرَةٌ بِهِ﴾ .
١٥٣	عبس	٤٠	<ul style="list-style-type: none"> • ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ .
٣٠٨	البينة	٥	<ul style="list-style-type: none"> • ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ .

فهرس الأحاديث

<u>الصفحة</u>	<u>الأحاديث</u>
١٤١	● (أَبَشِرْ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا ...) .
٥٥	● (ابْنِ آدَمَ ارْزَعْ لِي مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ...) .
٢٩١	● (أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ ...) .
٢١٧، ٣٢٢	● (أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، قَالَ : أَحْسَبُهُ قَالَ : فِي الْمَنَامِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ ...) .
٢٥٤	● (أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّي وَ سَعْدَيْكَ ...) .
٢٧٤	● (أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ، وَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا ، وَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا ...) .
٢٦٩	● (أَجَلٌ إِنَّهَا صَلَاةٌ رَغِبٍ ، وَ رَهْبٍ ، سَأَلْتُ رَبِّي - عَزَّ وَ جَلَّ - فِيهَا ثَلَاثَ خِصَالٍ ، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَ مَنَعَنِي وَاحِدَةً ...) .
١٣١	● (إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِيهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ ...) .
٨٢	● (إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ ...) .
٢٩٦	● (إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَأَنَا أَكْبَرُ ...) .

٢٧٩	● (أَسْلَمَ سَأَلَهَا اللَّهَ ، وَغَمَارُ غَمَرَ اللَّهَ هَا أَمَا إِنِّي لَمْ أَقْلَهَا ...) .
١٥٦	● (أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ...) .
١٠٥	● (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا ...) .
٣٠٨	● (أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ . عَنْ الشُّرْكَ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشْرَكَهُ ...) .
١١٣	● (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ...) .
١٧١	
٢٩٣	
١٣٧	● (أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ وَ قَالَ : يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ ، سَخَاءُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ ...) .
١٨١	● أَنْ هَذِهِ، الْآيَةُ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ...
٥٨	● (إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ . فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَ مَعَارِبَهَا ...) .
٦٥	● (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ : الصَّلَاةُ ...) .
٢٥٥	● (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ يَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ...) .
٧٩	● (إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ ...) .
٩٨، ٢٣٢	● (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ...) .

١١٨	● (إِنَّ اللَّهَ ، إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ، دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ...) .
١٥٩ ،	● (إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ
٢٣٤	يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَجَلًا ...) .
١٧٣ ،	● (إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ
٢٤٨ ،	عَلَيْهِ ...) .
٢٧٦	
٢٠١	● (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُفْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ . فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ...) .
٢٢٨ ،	● (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً ، يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا ...) .
٣٠١ ،	
٣١٩	● (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ ...) .
٢٦٥	● (إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ : مَا كَذَا ، مَا كَذَا ، حَتَّى يَقُولُوا : هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ ...) .
٣٠٤	● (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي .
	الْيَوْمَ أَظْلُهُمْ فِي ظِلِّي ...) .
٣١٠	● (إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ) .
	● (إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ مَعَ الدَّجَالِ إِذَا خَرَجَ مَاءٌ وَنَارًا فَأَمَّا
٣٢٤	الَّذِي يَرَى النَّاسَ أَنَّهَا النَّارُ فَمَاءٌ بَارِدٌ وَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسَ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ فَنَارٌ تُحْرِقُ ...) .
٨	● (بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ) .
٩٤	● (تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَ النَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : أُوتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَ الْمُتَحَبِّرِينَ ...) .

٢٢١	● (تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَ تَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ ...) .
١٨٨،	● (ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصَّمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ
٢٣٦	عَدَرَ ...) .
١٩٧	● (ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : رَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ ، وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةِ بَيْنِهِ وَ بَيْنَهُمْ فَمَنْعُوهُ فَتَخَلَّفَهُمْ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا ...) .
٢٥٥	● (حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ ، فَإِذَا خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ فَخَانَهُ ...) .
٩١،	● (خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَعَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ ...) .
١٢١،	
١٤٣،	
١٦٢،	
٢٧١	
٢٣٨	● (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً . سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا ...) .
	● قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ ...
١٦٧	
١٢٨	● (الكبرياءُ ردائي ، و العظمة إزاري ...) .
٢٨٤	● (كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي ...) .
٢١٣	● (مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَفْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ . هِيَ خِدَاجٌ . هِيَ خِدَاجٌ . غَيْرُ تَمَامٍ ...) .

١٣٣	● (مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَفْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ ...) .
٨٨،	● (هَلْ تَذُرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ " قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ...) .
٢١١	● (وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَحَالِسِينَ فِيَّ ...) .
١٩٥،	
٣٢٩	
٥٢	● (يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غَنَى ...) .
٢٤٤،	● (يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَزَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا . فَلَا تظَالَمُوا ...) .
٣١٢	● (يَا آدَمَ . يَقُولُ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ دُرَّتِكَ بَعْنًا إِلَى النَّارِ ...) .
١٤٨	● (يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ ...) .
١٧٨	
٧٠	● (يَدْخُلُ الْمَلِكُ عَلَى النُّطْقَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ ...) .
٨٥	● (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ ...) .
٦٢	● (يُؤَذِّنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ ...) .
١١٠	● (يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا ...) .
٢٨٧	● (يَطْوِي اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى . ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ . أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ ...) .
١٥٢	● (يَلْقَى إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ فَتْرَةٌ وَعَبْرَةٌ ...) .

٢٠٧، ٣٣٠	● (يُنَادِي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا ...) .
-------------	---

فهرس المصطلحات البلاغية

الصفحة	المصطلح البلاغي
٤٠٠، ١٥	● البديع.....
٦٨	● تجاهل العارف.....
٢٠٦	● التقسيم.....
١٢٤	● التورية.....
١٢٩	● التورية الميينة.....
١٣١	● التورية المجردة.....
١٤١	● التورية المرشحة.....
١٨٦	● الجمع.....
٢٥٩	● الجناس.....
٢٦٢	● الجناس التام.....
٢٧٣	● الجناس المحرف.....
٢٦٦	● الجناس المستوفى.....
٢٦٨	● الجناس المضارع.....
٢٧١	● الجناس المطرف.....
٢٦٢	● الجناس المماثل.....
٢٧١	● الجناس الناقص.....
٢٢٥	● حسن الابتداء.....

٢٤١	● حسن الانتهاء.....
٢٩٧	● رد العجز على الصدر.....
٢٨٠	● السجع.....
٤٨	● الطباق.....
٦١	● طباق التدييح.....
٥٤	● طباق السلب.....
٢٨٥	● الفاصلة.....
٣١٥	● لزوم ما لا يلزم.....
١٤٦	● المبالغة.....
١٦٥	● مراعاة النظر.....
٤١	● المحسنات اللفظية.....
٤١	● المحسنات المعنوية.....
١٠٢	● المشاكلة.....
٧٧	● المقابلة.....

فهرس المصادر و المراجع

- القرآن الكرم .
- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، عبد القادر القط ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، لبنان ، دون ذكر تاريخ نشر.
- الإتحافات السنوية في الأحاديث القدسية ، الشيخ العلامة : محمد المدني ، بدون ذكر عدد الطبعة ، دار المعارف ، الهند ، ١٣٢٣هـ .
- الأحاديث القدسية ، بدون ذكر مؤلف ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٦هـ .
- الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، بدون ذكر طبعة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، بدون ذكر تاريخ النشر .
- الأحاديث القدسية جمعاً و دراسة ، عمر علي عبد الله محمد ، الطبعة الأولى ، مكتبة العلوم و الحكم ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، ١٤٢٤هـ - ١٤٢٥هـ .
- الأحاديث القدسية و منزلتها في التشريع ، شعبان محمد اسماعيل ، الطبعة الأولى ، دار المريخ للنشر ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٠٢هـ .
- أدب الأحاديث القدسية ، أحمد الشرياصي ، الطبعة الثانية ، دار الاعتصام ، دون ذكر مدينة دار النشر ، ١٣٩٨هـ .
- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه و علق عليه : محمود محمد شاكر ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٤١٢هـ .

- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، دون ذكر عدد الطبعة ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٠ هـ .
- الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، لبنان ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ .
- البحث العلمي أسسه و مناهجه و أساليبه و إجراءاته ، ربحي مصطفى ، دون ذكر عدد الطبعة ، بيت الأفكار الدولية ، عمان ، دون ذكر تاريخ نشر .
- البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم ، عبد الفتاح لاشين ، دون ذكر عدد الطبعة ، دار الفكر العربي ، مصر ، القاهرة ، ١٤٣٠ هـ .
- البلاغة فنونها و أفنانها (علم البيان و البديع) ، فضل حسن عباس ، الطبعة الحادية عشر ، دار الفرقان ، عمان ، ٢٠٠٦ م .
- البيان النبوي ، محمد رجب البيومي ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، مصر ، ١٤٢٣ هـ .
- البيان و التبيين ، الجاحظ ، الطبعة الرابعة ، الجزء الثالث ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دون ذكر تاريخ نشر .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدي ، تحقيق : مصطفى حجازي ، دون ذكر عدد الطبعة ، التراث العربي ، الكويت ، ١٣٩٣ هـ .
- تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري ، تقديم و تحقيق : حنفي محمد شرف ، يشرف على إصدارها : محمد توفيق عويضة ، الجمهورية العربية المتحدة ، المجلس

الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث ، بدون ذكر عدد الطبعة أو بلد أو دار أو تاريخ النشر .

● تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، ضبط : عبد الرحمن محمد عثمان ، دون ذكر عدد الطبعة ، الجزء العاشر ، دار الفكر ، مصر ، دون ذكر تاريخ النشر .

● الجامع الكبير (سنن الترمذى) ، حققه و خرّج أحاديثه و علق عليه ، شعيب الأرنؤوط - جمال عبد اللطيف ، الطبعة الثانية ، الرسالة العلمية ، سوريا ، دمشق ، ١٤١٣ هـ .

● الحديث النبوى الشريف تاريخه و مصطلحاته ، بدران أبو العينين بدران ، دون ذكر عدد الطبعة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ م .

● دراسات منهجية فى علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، الطبعة الأولى ، دون ذكر دار النشر ، مصر ، ١٩٩٤ م .

● دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه و علق عليه : محمود محمد شاكر ، الطبعة الثالثة ، مطبعة المدنى ، مصر ، ١٤١٣ هـ .

● سنن ابن ماجه ، بشرح الإمام أبو الحسن الحنفى الشهير بالسندى ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٦ هـ .

● سنن ابن ماجه ، تعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دون ذكر عدد الطبعة ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، دون ذكر تاريخ نشر .

● سنن أبى داود ، إعداد و تعليق : عزّت عبىد الدعّاس و عادى السّىد ، الطبعة الأولى ، دار ابن حزم ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٨ هـ .

- سنن أبي داود ، إعداد و تعليق : عزّت عبید الدعّاس و عادل السيّد ، الطبعة الأولى ، دار ابن حزم ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٨ هـ .
- سنن الترمذي ، إعداد : الشيخ هشام سمير البخاري ، دون ذكر عدد طبعة ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٥ هـ .
- سنن النسائي ، بشرح الإمامين : السيوطي و السندي ، تحقيق : السيّد محمد سيّد ، علي محمد علي ، سيد عمران ، ضبط أصوله : مصطفى محمد حسين الذهبي ، الطبعة الأولى ، دار الحديث ، مصر ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ .
- شرح عقود الجمان في علم المعاني و البيان ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دون ذكر عدد طبعة ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، دون ذكر تاريخ نشر .
- شروح سنن ابن ماجه ، تحقيق : رائد بن صبري بن أبي علقمة ، الطبعة الأولى ، بيت الأفكار الدولية ، عمان ، ٢٠٠٧ م .
- الصبغ البديعي ، أحمد موسى ، دون ذكر عدد الطبعة ، مصر ، دار الكاتب العربي ، دون ذكر تاريخ نشر .
- صحيح ابن ماجه ، محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، دون ذكر تاريخ نشر .
- صحيح البخاري ، دون ذكر عدد طبعة ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤١٩ هـ .
- صحيح البخاري ، شرح الكرمانى ، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٠١ هـ .

- صحيح مسلم ، شرح النووي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الرابعة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ٢٠١٠ م .
- صحيح مسلم ، شرح النووي ، حَقَّق أصوله على خمس نسخ خطية د . محمد عبد الرحمن المرعشلي ، قدم له : محمد صبحي حلاق ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ .
- علم البديع " دراسة تاريخية و فنية لأصول البلاغة و مسائل البديع " ، بسـيوني عبد الفتاح فيود ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة المختار ، مصر ، القاهرة ، ١٤٣١ هـ .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، أخرجه الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، أكمل التعليقات : علي بن عبد العزيز الشبك ، رقم كتبها و أبوابها و أحاديثها : محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الأولى ، دار السلام ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٢١ هـ .
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، موسى شاهين لاشين ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، مصر ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ .
- في البلاغة العربية علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، دون ذكر عدد الطبعة ، دار النهضة العربية ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .
- لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، لبنان ، بيروت ، دون ذكر تاريخ نشر .
- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، دون ذكر عدد الطبعة ، مكتبة لبنان ، لبنان ، بيروت ، ١٩٩٣ م .

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، تحقيق الشيخ: جمال عيتاني ،
دون ذكر عدد الطبعة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، دون ذكر
تاريخ نشر.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، رقم أحاديثه محمد عبد السلام عبد
الشافى ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ .
- معارف السنن شرح سنن الترمذي ، محمد يوسف بن السيد محمد
الحسيني البنوري ، الطبعة الثالثة ، دون ذكر دار نشر ، باكستان ،
١٤١٣ هـ .
- معجم الأحاديث القدسية الصحيحة و معها الأربعون القدسية ، الإمام
أبي الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد القاري ، إعداد و تحقيق : أبي
عبد الرحمن كمال بن بسيوني الأبياري المصري ، الطبعة الأولى ، مؤسسة
الكتب الثقافية ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٣ هـ .
- مفتاح العلوم ، السكاكي ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى البابي
الحلبي و أولاده ، مصر ، دون تاريخ نشر .
- مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الرابعة ، دار القلم ، لبنان ، بيروت ،
١٩٨١ م .
- الموطأ. الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، كتاب إسعاف المبطأ
لرجال الموطأ ، الإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، الطبعة الثالثة ،
دار ابن حزم، لبنان ، بيروت ، ١٤١٦ هـ .
- الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، لأصحاب الفضيلة العلماء
- الإمام/ ابن شرف النووي ، و شيخ الإسلام / ابن تيمية ، و الإمام /
ابن القيم الجوزية ، و الشيخ عبد العزيز بن باز . و الشيخ / محمد

العثيمين ، و الشيخ / صالح آل الشيخ، و الشيخ / عبد العزيز
الراجحي ، جمع و ترتيب : محمد سيد فرج ، الأولى ، مطبعة العمرانية ،
١٤٣١ هـ .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
٢٣	التمهيد
٢٤	١. معنى الحديث القدسي
٣١	٢. الفرق بين القرآن و الحديث القدسي
٣٧	٣. الفرق بين الحديث النبوي و الحديث القدسي
٤٠	٤. البديع و منزلته بين الدراسات البلاغية
٤٦	الفصل الأول : الألوان البديعية المعنوية في الأحاديث القدسية ، و قيمتها البلاغية ، و يتضمن :
٤٧	❖ المبحث الأول : الطباق و المقابلة
٤٨	أولا : الطباق
٤٨	- التعريف باللون البديعي
٥٢	- الشواهد
٧٧	ثانيا : المقابلة
٧٧	- التعريف باللون البديعي
٧٩	- الشواهد
١٠١	❖ المبحث الثاني : المشاكلة
١٠٢	- التعريف باللون البديعي
١٠٤	- الشواهد
١٢٣	❖ المبحث الثالث : التورية
١٢٤	- التعريف باللون البديعي
١٢٧	- الشواهد

١٤٥	❖ <u>المبحث الرابع : المبالغة</u>
١٤٦	- التعريف باللون البديعي
١٤٧	- الشواهد
١٦٤	❖ <u>المبحث الخامس : مراعاة النظر</u>
١٦٥	- التعريف باللون البديعي
١٦٧	- الشواهد
١٨٥	❖ <u>المبحث السادس : الجمع و التقسيم</u>
١٨٦	أولاً : الجمع
١٨٦	- التعريف باللون البديعي
١٨٨	- الشواهد
٢٠٥	ثانياً : التقسيم
٢٠٥	- التعريف باللون البديعي
٢٠٧	- الشواهد
٢٢٤	❖ <u>المبحث السابع : حسن الابتداء و حسن الانتهاء</u>
٢٢٥	أولاً : حسن الابتداء
٢٢٥	- التعريف باللون البديعي
٢٢٨	- الشواهد
٢٤١	ثانياً : حسن الانتهاء
٢٤١	- التعريف باللون البديعي
٢٤٤	- الشواهد
	<u>الفصل الثاني : الألوان البديعية اللفظية في الأحاديث القدسية و</u>
٢٥٧	قيمتها البلاغية ، و يتضمن :
٢٥٨	❖ <u>المبحث الأول : الجناس</u>
٢٥٩	- التعريف باللون البديعي
٢٦١	- الشواهد

٢٧٩	❖ <u>المبحث الثاني : السجع</u>
٢٨٠	- التعريف باللون البديعي
٢٨٣	- الشواهد
٢٩٦	❖ <u>المبحث الثالث :رد العجز على الصدر</u>
٢٩٧	- التعريف باللون البديعي
٣٠٠	- الشواهد
٣١٤	❖ <u>المبحث الرابع : لزوم ما لا يلزم</u>
٣١٥	- التعريف باللون البديعي
٣١٨	- الشواهد
٣٣٢	<u>الخاتمة ، و تتضمن :</u>
٣٣٢	❖ خلاصة البحث
٣٢٢	❖ النتائج.....
٣٣٣	❖ التوصيات و المقترحات.....
٣٣٤	❖ الفهارس الفنية ، و تشمل :.....
٣٣٥	● فهرس الآيات
٣٣٨	● فهرس الأحاديث
٣٤٣	● فهرس المصطلحات البلاغية
٣٤٥	● فهرس المصادر و المراجع
٣٥٢	● فهرس الموضوعات

Al-Badie'⁽¹⁾ Image in the Divine Traditions – Rhetorical and Analytical Study

The Abstract

All praise is due and belongs to Allah alone. May the blessings and peace of Allah be upon His messenger.

In this research, I have adopted the descriptive and analytic approach, whereby I categorized the study into two chapters. The nature of the research demanded that it should comprise of an introduction and two chapters preceded by a preface and followed by a conclusion. The chapters came as follows:

Chapter One: Semantic styles of Al-Badie' in the divine traditions and their rhetorical value. It comprises of:

Sub-chapter one: Tibaq (combining between two opposite meanings in a sentence) and Muqabalah (juxtaposing two or more meanings with another in a context).

Sub-chapter two: Al-Mushakalah: Mentioning something by another's wording for falling in its company.

Sub-chapter three: Pun

Sub-chapter four: Hyperbole

Sub-chapter five: Taking into account the peer and proportionality

Sub-chapter six: Combination and partition

Sub-chapter seven: Good initiation and good completion

Chapter Two: Verbal styles of Al-Badie' in the divine traditions and their rhetorical value. It comprises of:

Sub-chapter one: Alliteration

Sub-chapter two: Assonance

⁽¹⁾ (Branch of Rhetorical science dealing with the improvement of verbal and semantic aspects of speech).

Sub-chapter three: the act of placing one of the repeated or homogeneous words, at the beginning of the paragraph and the other at the end.

Sub-chapter four: keeping to a particular style of speech unnecessarily.

The most outstanding findings of this research are as follows:

First: That Al-Badie' image in the divine traditions is not just a verbal beatification that can be done away with. Rather, it is part of the core meanings because the context requires its presence in the speech.

Second: Tibaq (combining between two opposite meanings in a sentence) and alliteration are considered as part of the most famous and widespread styles of Al- Badie' found in divine traditions.

Third: Muqabalah (juxtaposing two or more meanings with another in a context) in divine traditions occurred in two or three meanings and not more as it appeared to me.

Four: Scarcity of the styles of hyperbole and pun in the divine traditions in regards to other rhetorical styles as it appeared to me.

Five: The research has unveiled that the divine traditions are void of structural alliteration because they involve affectation and artificiality, which the sound and true human nature rejects. May Allah send His blessings and peace upon our prophet, his family and companions.